

كتب الأدب والنقد

ابن سلاّم في طبقات الشعراء

دكتور
مسير سلطان
أستاذ النقد والبلاغة المساعد
كلية الآداب - جامعة عين شمس



Bibliotheca Alexandrina



0149660

الناشر: منشورات دار الفكر
بإسكندرية
بجلال حزي وشركاه



16 5 3 8

16068

292.710

9
س د ط
1

ابن سينا الاخرى "طبقات الشعراء"

دكتور
مدير سلطان
أستاذ النفث والبلاغة المساعد
كلية الهنات جامعة عين شمس

Organization	المركز القومي للدراسات والبحوث
رقم الكتاب	292.7109
مس. ل.	10
رقم الزيد	10820

الناشر // منشأة
جلال حزي وشركاه
بالامكندرية

١ - التماس

٢ - التماس

٣ - التماس

٤ - التماس

٥ - التماس

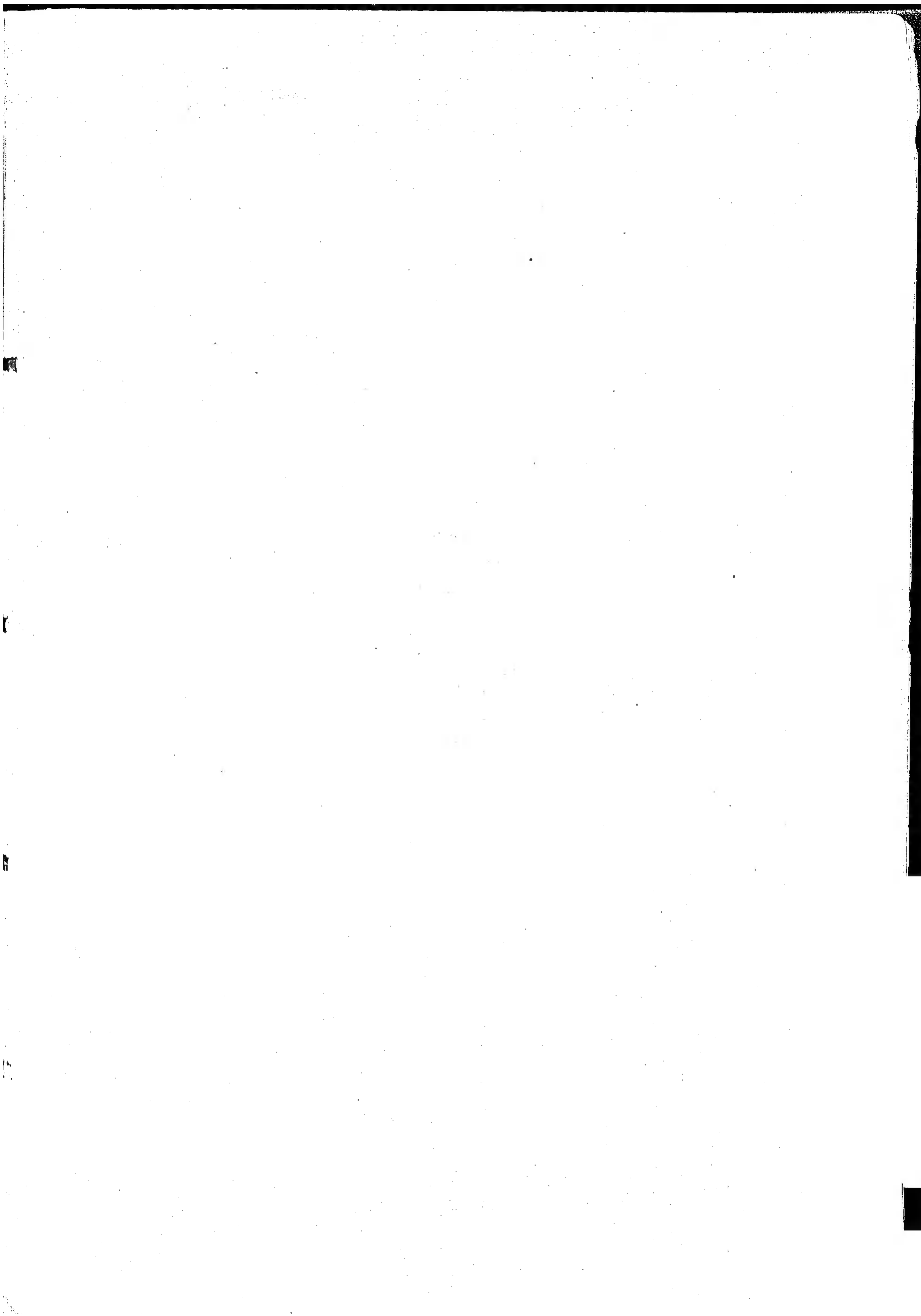
٦ - التماس

٧ - التماس

٨ - التماس

الأهداء

إلى أستاذي الذي أدينُ له بالكثير ...
إلى الأستاذ الدكتور يوسف حليّف
تحية تقديرٍ وحُبٍّ ووفاءٍ



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ
لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ «

الأعراف — ٤٣



الفهرست العام

- تمهيد : النقد الأدبي إلى نهاية القرن الثالث الهجري .
- الفصل الأول : ابن سلام الجمحي .
- الفصل الثاني : كتاب « طبقات الشعراء » .
- الفصل الثالث : ابن سلام الجمحي في العصر الحديث .
- الخاتمة .
- الفهارس الفنية .



★

.

★

★

★

★

مقدمة

الْمُضْطَرُّ يَرْكَبُ الصَّعْبَ ...

وَأَنَا قَدْ رَكِبْتُ الْهَوْلَ ...

فَبَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ ... ، بَعْدَمَا قَرَأْتُ مَاقْرَأْتُ ، وَتَعَلَّمْتُ مَا تَعَلَّمْتُ ، وَنَاقَشْتُ
مِنْ رِسَائِلِ مَا نَاقَشْتُ ، اضْطَرَرْتُ إِلَى أَنْ أُدِيرَ رَأْسِي إِلَى الْخَلْفِ ، لِأَقِفَ وَجْهًا
لَوَجْهِهِ ، أَمَامَ بَحْثِي عَنْ « ابْنِ سَلَامِ الْجَمْحِيِّ » لَطَالِبِي وَطَالِبَاتِي فِي الْجَامِعَةِ .
وَاحْتَرْتُ مَاذَا أَفْعَلُ ؟

هُوَ أَوَّلُ مَا كَتَبْتُ ، فِيهِ فَرَحَةٌ أَنْ تَجِدَ كَلَامَكَ مَطْبُوعًا فِي كِتَابٍ ، وَاسْمُكَ
« مُضِيئًا » عَلَى الْغُلَافِ ..

وَفِيهِ الْخَبْرَةُ الْمُتَوَاضِعَةُ ، وَالثَّقَافَةُ الْمَحْدُودَةُ ، وَالْأَخْطَاءُ الْمُضْحَكَةُ ، ...
وَلَكِنْ

فِيهِ الْإِخْلَاصُ وَالْحُبُّ وَالْوَفَاءُ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ .

أَقُولُ ، احْتَرْتُ مَاذَا أَفْعَلُ ؟

أَكْتُبُ بَحْثًا آخَرَ فِي « ابْنِ سَلَامٍ » ؟ كَمْ تَمْنِيثُ .

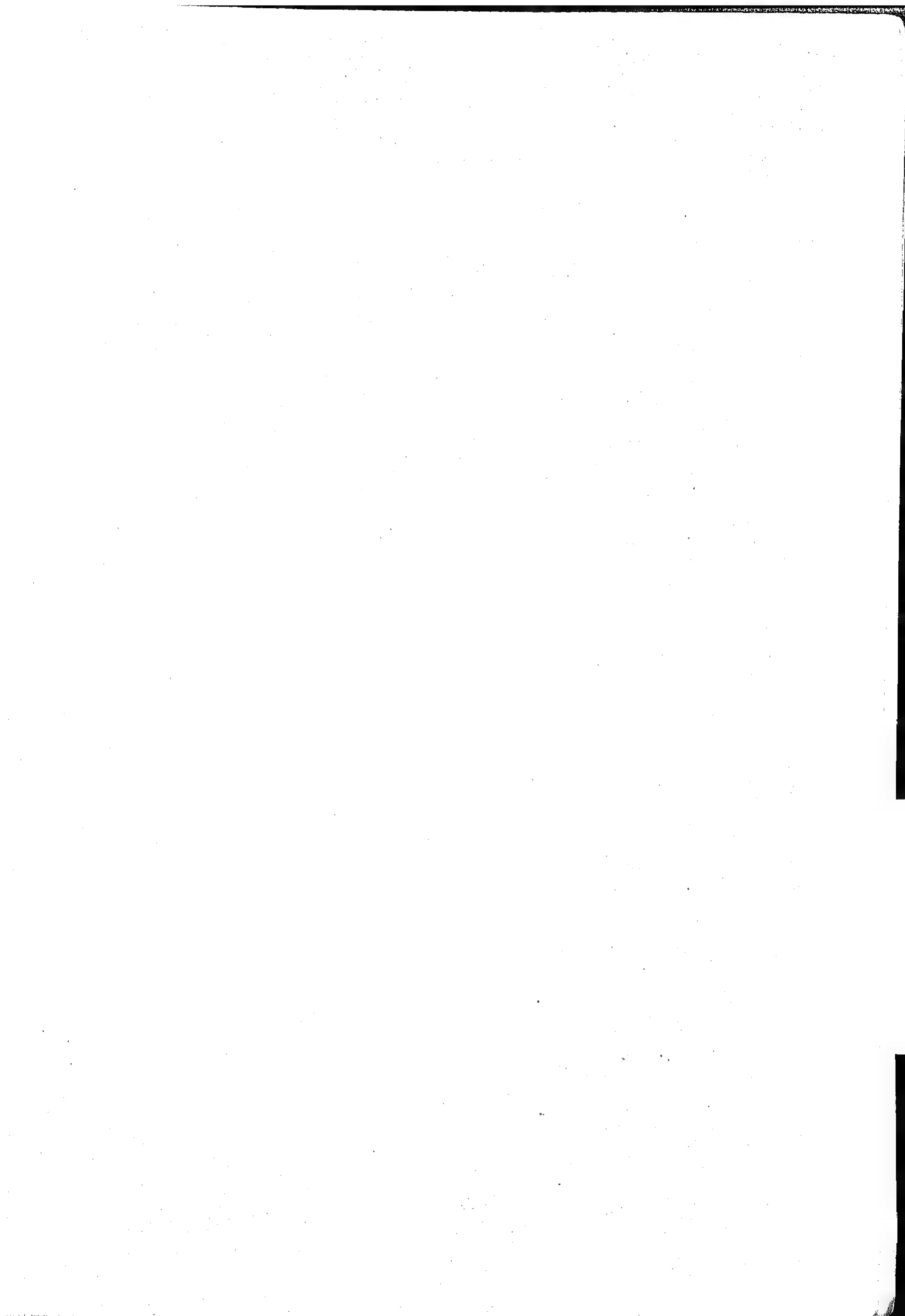
أَأُتْسِي الْمَوْضُوعَ بِرُمَّتِهِ !؟ لَا أَمْلِكُ ...

إِذَنْ ، لَيْسَ أَمَامِي إِلَّا أَنْ أُعِيدَ النَّظَرَ فِيمَا كَتَبْتُ ، وَأَعْمَلَ عَلَى تَنْقِيهِهِ مِنْ كُلِّ
مَائِشِيئَةٍ ، وَأَتَمْنَى عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ تُتَّاحَ لِيَ الْفُرْصَةُ ، لِأَعُودَ إِلَى ابْنِ سَلَامٍ
وَطَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، ثَانِيَةً ، أَذْرُسُهُ ، بِحِمَاسِ الْمَاضِي وَإِخْلَاصِهِ ، وَوَعْيِ الْحَاضِرِ
وَخَبْرَتِهِ .

وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

منير سلطان

٦٨ ش السيد محمد كريم — الإسكندرية



||ཐོག་མའི་ཁྱེད་ཀྱི་ལྷ་མོ་|| = ༤༧༦༡༢

||ཐོག་མའི་ཁྱེད་ཀྱི་ལྷ་མོ་|| = ༨༨༦༡༢



تمهيد :

النقد الأدبي إلى نهاية القرن الثالث الهجري

النقد الأدبي لم يخرج عن حيز أنه : تمييزٌ وتحليلٌ للقطع الأدبية ، ثم تأتي مرحلة تقييم العمل الأدبي من الناحية الفنية ببيان قيمته الموضوعية ، وقيمه التعبيرية ، ثم تعيين مكانه في خط سير الأدب ، وتحديد مآضاه إلى التراث الأدبي (١) .

أولاً : النقد في العصر الجاهلي :

إن ماوصل إلينا من الشعر الجاهلي أقل القليل ، إنه أثارة ضئيلة بالقياس إلى ماينبغي أن يكون قد صدر عن هذا العصر ، يقول أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » ، وهذا القليل الذي نخلص إلينا إنما يمثل المرحلة الأخيرة الناضجة للشعر الجاهلي ، والتي بدأت بالمهلهل بين ربيعة وامرئ القيس .

في هذه المرحلة استقرت للشعر أصوله ، وثبتت قواعده حتى غدت تقاليد ، يقول ابن قتيبة « وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكي وشكا ، وخاطب الرثع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كانت نازلة العمدة (٣) في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر (٤) لانتقالهم عن ماء إلى ماء ، وانتجاعهم

(١) انظر مادة « نقد » في المعاجم اللغوية « أساس البلاغة » ، وانظر تعريف مؤرخي النقد الأدبي « دكتور شوقي ضيف - النقد ص ٨ ، ودكتور بدوي طبانة - « قدامة بن جعفر » ض ٦ ، ودراسات في نقد الأدب العربي - ص ٢١ . ودكتور محمد مندور - النقد المنهجي ص ١٢ ، وسيد قطب - في النقد الأدبي أصوله ومناهجه ص ٤ ، وغيرها مما كتب الدكتور محمد زغلول سلام والدكتور محمد غنيمي هلال والدكتور مصطفى الجويني والدكتور عبدالعزيز عتيق ..

(٢) ابن سلام - طبقات الشعراء - المنشور بتحقيق الأستاذ محمود شاكر بعنوان « طبقات فحول الشعراء » ط المدي ١٩٧٤ - ٢٥ وهذه التي سنعتمد عليها في دراستنا .

(٣) يقال لأصحاب الأخبية أهل عمود وعمود وعماد .

(٤) نازلة المدر : ساكنو القرى .

الكلا، وتَبِعَهُمْ مساقط الغيث، حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب/فشكا
شِدَّةَ الوجد، وألم الفراق، وفَرَطَ الصبابة والشوق، ليميل نَحْوَهُ القلوب، ويصرف
إليه الوجوه، وليستدعى به إصغاء الأسماع إليه، فاذا علم أنه قد استوثق من
الإصغاء إليه، والاستماع له، عَقَّبَ بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره وشكا
النَّصَب، والسَّهَر، وسُرَى الليل، وحرَّ الهجير وإنضاء الراحلة^(١) والبعير،
فاذا عَلم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل^(٢)، وقرر عنده ماناله
من المكارة في المسير، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهَزَّهُ للسماح، وفضَّلَهُ
على الأشباه، وصَغَّرَ في قَدْرِهِ الجزيل^(٣).

والشاعر يظل منذ نشأته مهتما بأمر نفسه خاضعا لضروب المراتة والتعليم حتى
يكونَ جديرا بلقب شاعر، فهو يروى لأسلافه الشعراء ماأبدعوه من شعر ويتباهى
بذلك، يقول الأصمعي: «لايصير الشاعر في قريض الشعر فحلا، حتى يَروى
أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ»^(٤)
والأخبار التي يتحدث عنها الأصمعي هي أخبار بيئة الشاعر وبخاصة قَبِيلَتِهِ،
فعليه أن يَعْرِف شئونها وأمجادها وأيام فخرها وعزها الخ

وعنصر ثالث يعتبر من سمات الحياة الأدبية الراقية في هذه الفترة، هو
«الجمهور الشعري الشعبي» ذلك الذي كان يهتم بالشعر ويتذوقه ويتجاوب مع
قائله، فهو يتحلق حول الشاعر مُنْصِتًا، فَإِنْ أَحْسَنَ هتف، وإن أخطأ
سخط، هو الرأي العام المستنير بالنسبة للشاعر، وعلى تأييده يعتمد اعتمادا
في ذبوع صيته وانتشار شعره، وويل للشاعر إذا سخطت هذه الفئة المستنيرة.
وهكذا تآزرت العوامل السابقة وساعدت على وجود تراث من الشعر الجاهلي
لايستهان به.

وبزغ نور الإسلام وأرادها الله إيمانا وهُدًى، ونزل القرآن كتابا عربيا يهدي للتي

(١) إنضاء الراحلة: إهزافها.

(٢) ذمامة التأميل: عهد بالتوال.

(٣) ابن قتيبة — الشعر والشعراء: ٨٠ و ٨١ تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثة ١٩٧٧م

(٤) ابن رشيق: العمدة ١٧٢/١ ط حجازي

هى أقوم ، فاستطاع أن يقتحم على العرب قلوبهم وقد أحاطوها بميتين السياج ، واستطاع أن يخلّب ألبابهم . يحكى أن أبا سفيان وأبا جهل والأخفش بن شريق ، كانوا يتسللون ليلا وقد حرص كل منهم جهده أن يخفى أمره — للاستماع إلى قراءة الرسول ﷺ وهو يصلى فى بيته ، فإذا اطلع بعضهم على سر بعض تلاوموا ثم تعاهدوا على ألا يعودوا إلى مثلها ويفتنهم البيان ، وهم أهل الفصاحة واللسن فتضعف عزائمهم ، ولا يلبثون حتى يعودوا إلى ما تناهوا عنه ، فلم يجدوا مناصا إلا أن يُقسِمُوا فيما بينهم على ألا يعودوا ، ولو لم يقسموا ، لعادوا ثم تلاوموا ... (١) .

وليس صحيحا أن تدقق الشعر الجاهلى قد هدأ بنزول القرآن الكريم ، فإن من يقرأ فى كتب الأدب والتاريخ مثل « الأغاني » والطبرى « و » سيرة ابن هشام « وما كتب عن الصحابة فى مثل « الإصابة » سيجد الشعر قد سال على كل لسان (٢) .

مقاييس النقد فى العصر الجاهلى :

أجملنا سمات الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى فى : استقرار المناهج الشعرية ، والتقاليد الأدبية على وجه من الوجوه ، ثم الدراسة الشعرية المتمثلة فى الرواية والأخذ بألوان الثقافة المعاصرة ، وأخيرا الجمهور الشعرى الذى أقام لهذه الحياة غير قليل من القوة والحيوية والسداد ، ونضيف إلى « الجمهور الشعرى الشعبى » ، نضيف الملوك والأمراء الذين وفد إليهم الشعراء ، فهم يمثلون الطبقة المستفيدة سياسيا من مدح الشعراء ، ، والشعراء بدورهم يُجودون شعرهم ليحفظوا بالمنزلة والنوال الوفير ، فقد كان النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر وفى عصره (٣) وشخص إلى ملوك غسان وامتدحهم (٤) والنابغة الجعدى عَمَّر مع المنذر بن المحرق قبل الذبياني (٥) والأعشى كان يخرج إلى اليمن يريد قيس بن مَعَدٍ يكرب (٦) وحسان بن

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ط الحلبي ١٩٣٦ م

(٢) د . شوقي ضيف — العصر الإسلامى ص ٤٢ ط دار المعارف — ٤

(٣) الأغاني : ط وزارة الثقافة ٦١/٥

(٤) المصدر السابق ٣٣٧/١

(٥) المصدر السابق ٦/٥

(٦) المصدر السابق ١١٧/٩

ثابت كان منقطعاً إلى جبلة بن الأيهم^(٢) وكذا عمر بن الحارث^(٣) الذي قدم على النعمان بن المنذر وامتدحه^(٤).

نقول : هذه السمات الثلاث التي نجعلنا ننظر إلى الحياة الأدبية الجاهلية بعين الإنصاف ، من شأنها أن تحملنا على أن ننصف النقد الأدبي في العصر الجاهلي ، فهي في حقيقة الأمر من أصل العناصر صيلةً بالنقد الأدبي ، فما يمكن أن نتصور قيام هذه القواعد والحدود دون أن نتصور أنها استكملت نسقها بتأثير العامل النقدي ، يوجهها ويتبعها وينبه عليها .

فتقاليد الصناعة الشعرية كانت تأتي على الشاعر أن يقوى أو يساند أو يكفى أو يوطى ، وقد أقوى النابغة في بيتين قوله^(٥)

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٌ أَمْ مُغْتَدِي .: عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدٍ^(٦)
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا .: وَبِذَاكَ نَحْبَرْنَا الْغَرَابُ الْأَسْوَدُ^(٧)
وقوله :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ .: فَتَنَاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَسَدِ^(٨)
بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَانَ بَنَانُهُ .: عَنْمٌ يَكَاذُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ^(٩)
والإقواء رفع بيت وجر آخر ، أما الإكفاء فاختلاف حرف الروي، والسناد

(١) المصدر السابق ٣٩/١١

(٢) المصدر السابق ٢٨٥/١٢

(٣) المصدر السابق ٢٧/١١

(٤) النابغة الذبياني : الديوان ص ٤٩ ط صادر بيروت ١٩٥٣ بتحقيق كرم البستاني وللدكتور إبراهيم أنيس رأى صائب في الإقواء ، إذ يرى : أن الإقواء في الحقيقة ليس إلا لحناً في الأعراب ، وخروجاً عن قواعده ، انظر كتابه في اللهجات العربية ص ٧٥ الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٢ لجنة البيان العربي .

(٥) المغتدي : المبكر ، والرائح : الجاني في العشية ، (مُزَوَّد بالكسر) .

(٦) البوارح جمع بارح ، وهو من الظباء والطير والوحش ما يمر عن يمينك وإلى يسارك ، وبعض العرب تنطير به (الأسود بالضم) .

(٧) النصيف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها (اليد بالكسر) .

(٨) بمخضَّب : يعني كفيها وقد مُخَضَّبَت بالحناء ، ورَخِصٍ : ناعم البشرة ، وعَنْمٌ : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يُشَبَّه بها البنان المخضوب (يعقد بالضم) .

اختلاف كل حركة قبل الروي ، والإيطاء أن يُقَفَّى بكلمة ثم يُقَفَّى بها في بيت آخر (١) .

والصناعة الشعرية تفرض على الشاعر أن يلتزم المثل الأعلى للمدح، ذلك المثل الذي ارتضته العرب . ورغبت أن يكون مصورا بدقة في الشعر ، وخسان بن ثابت قد خرج على هذه التقاليد حين أنشد النابغة (٢) :

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعن بالضحي . . وأسيفنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمًا
وَلَدْنَا بني العنقاء وابني مُحَرِّقٍ . . فَأَكْرِمَ بَنَانًا خَالًا وَأَكْرِمَ بَنَانًا (٣)

فقال له النابغة « إنك لشاعر لولا أنك أقللت جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . ولو قلت : الجفان لكان أكثر ، قلت : يلمعن في الضحي . ولو قلت : يبرقن بالدجى ، لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف بالليل أكثر طروقا ، وقلت يقطرن من نجدة دما ، فدللت على قلة القتل ولو قلت : يجرين ، لكان أكثر ، لانصباب الدم وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، فقام حسان منكسرا ، منقطعا (٤) .

والدراسة الشعرية تقى الشاعر من الخلط بين الأوصاف ، والاضطراب بين الأشياء ، فقد مرَّ المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه ، فأنشدهم :

(١) المرزباني : الموشح ط النهضة تحقيق محمد علي البجاوي ص ٤ وما بعدها .

(٢) حسان بن ثابت : الديوان ط التونسية ١٢٨١ ص ٨٦ .

(٣) العنقاء : هو ثعلبة بن عمرو بن مزريق بن عامر بن ماء السماء أحد أجداد الأزد في اليمن ، ويريد بالحرث : الحارث بن عمرو بن مزريقا وكان أول من عاقب بالنار ، وابنا : ابنا والميم في ابنا زائدة ، والجففات : القصاص والغر : البيض من كثرة الشحم الذي فيه وكثرته دليل على الكرم .

(٤) قدامة بن جعفر — نقد الشعر — ٦٣ والمرزباني : الموشح ٨٢ ، وقد اعترض الأستاذ طه إبراهيم على هذا النقد لبعده عن أفهام العرب : انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٣٧ ص ١٨ — ورفض د . طه الحاجري ود . بدوي طبانة هذا الاعتراض — انظر د . الحاجري — تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ط رويال بالاسكندرية ١٩٥٣ ص ٤٢ . ود . طبانه — دراسات في نقد الأدب العربي ط الأنجلو ١٩٦٠ ص ٥٣ — ورأيا أن العرب فهمت المعنى ثم جاء العلماء وصاغوا لهذا المعنى مصطلحات ، وأقول ولعل عبد القاهر خير من أدرك هذا المعنى وعبر عنه بقوله « إن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات » الدلائل ط الموسوعات — القاهرة ١٣٢١ ص ٣٠٠ .

ألا انعم صباحاً أيها الربيع واسلم .: نُحْيِيكَ عَنْ شَحْطٍ وَإِنْ لَمْ تُكَلِّمْ
فلما بلغ قوله :
وقد أتناسى الهم عند أدكاره .: بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيِّعَةُ مُكْدَمٌ
قال طرفة : « اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ » ، إذ أنكر عليه استعمال « الصَّيِّعَةُ » وهي سِمْةٌ
للنوق لا للفحول (١) .

وهي أيضاً تقي الشاعر من سوء اختيار الألفاظ ، فهذا الأعشى أنشد قيس بن
مَعْدٍ يَكْرِبُ — أحد أشراف اليمن — فقال فيما قال :

وَبُئِثْتُ قَيْسًا وَلَمْ آتِهِ .: وَقَدْ رَغِمُوا سَادَ أَهْلَ الْيَمَنِ
فعابه قيس ، لأن (الزَّغَم) هو : القول الكاذب ، ولم يَنْفَعِ الأعشى أن جعل
البيت بعد ذلك :

وَبُئِثْتُ قَيْسًا وَلَمْ آتِهِ .: عَلَى نَأْيِهِ سَادَ أَهْلَ الْيَمَنِ (٢)
وهناك أمثلة عديدة أفرد لها المرزباني جزءاً كبيراً من كتابه « الموشح » في مآخذ
العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر (٣) .

والجمهور الأدبي كان أكثر اجتماعه في الأسواق ، تلك التي كانت مجالا رحباً
لممارسة عدة أنشطة حيوية ، بالإضافة إلى أنها زخرت بألوان من النشاط الأدبي
والنقدي ، يحكي أن النابغة كانت تُضْرَبُ له قبة حمراء من أديم ، بسوق عكاظ ،
فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، وهو نفسه حين قدم المدينة على الأوس
والخزرج وأنشدتهم أبياتاً التي أقوى فيها ، أظهروا له خطأه ، وحين لم يفهم ما
يريدون باصطلاح « إقواء » أحضروا له جارية تُغْنِي الأبيات ، وأوصوها إذا أتت
إلى القافية أشبعت حركة الدال وأطالتها في « مُزَوِّد » ، و « الأسود » ففطن لذلك
وقال « دخلت يثرب في شعري صنعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس » (٤) .

(١) الأغاني ط دار الكتب ١٣٢/٢١ ، والمرزباني : الموشح ١١٠ .

(٢) المرزباني : الموشح ص ٧٣ .

(٣) المرزباني : الموشح : من ص ٢ إلى ص ٢٥ .

(٤) ابن سلام : طبقات الشعراء ٦٨ طبعة المذني ١٩٧٤م

وقلنا أن المسيَّب بن عَلس قد مر بمجلس بنى قيس بن ثعلبة، وما ذاك المجلس وغيره إلا الجمهور الأدبي المتذوق للشعر، الناقد له، الذى ترك بصماته واضحة فى تطور النقد الأدبى .

وليس لنا أن نعتبر هذه العناصر الثلاثة من استقرار قواعد الشعر، إلى دراسة جادة يقوم بها الشاعر، إلى جمهور أدبى واع يراقب الخلق الفنى، ليس لنا أن نعتبرها مقاييس للنقد، ولكن سنرى من خلالها أن النقد الجاهلى كان يقيس الشعر بمقاييسين بارزين هما مقياس الذاتية والمقياس البيئى .

مقياس الذاتية :

لا أريد هنا أن أذهب بعيداً، وأقر أن الجاهليين قد عاشوا حياة ساذجة وأنهم حرّموا العلوم والفنون والرقى، فجاء شعرهم مفتقداً المنهجية والموضوعية، فهذا ظلم قد استرحنا له (١)، إنما نقول إن النقد الجاهلى كان انطباعاً أكثر منه تعليلاً . وكان تسجيلاً للحس الذاتى للنقد، إزاء البيت أو الصورة، وليس هذا عيباً، فالفطرة تتسم بالصدق، والذاتية ترجمة لما فى النفس من أثر إزاء العمل الفنى . فالنابغة يرى ليلى وهو غلام جاء مع أعمامه إلى النعمان بن المنذر فيتوسم فيه الشاعرية، ويسأل عنه فينسبونه، فيقول له : يا غلام إن عينيك لعينا شاعر، أفقرض من الشعر شيئاً، فينشده :

.. ألم ترّبع على الدّمن الخوّالى ..

فيقول له : يا غلام أنت أشعر بنى عامر، زدنى، فينشده فيقول :

.. طللّ لحوّلة فى الرّئيس قديم ..

فضرب يديه على جبينه، ويقول : اذهب فأنت أشعر من قيس كلّها (٢)، وتنشده الحنساء قصيدتها فى رثاء أخيها صخر :

قدى بعينك أم بالعين عوّار .. أم أققرت مدخلت من أهلها الدار

(١) انظر: حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعتر — الطبعة الثانية — الحلبي،

الفصل الثالث ص ١٠٨، وما بعدها بعنوان « الوهم فى ممجية العرب قبل محمد ﷺ » .

(٢) الأغاني — ٣٧٧/١٥

فيقول لها : والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت أنك أشعر الجن والإنس (١) .

ويسأل الحطيئة — وكان يتكسب بشعره — من أشعر الشعراء ؟ ، فيقول :
الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ . . . يَفِرُّ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ
يعنى « زهيرا » ، ويسألونه ثم من ؟ يقول : الذي يقول :
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ . . . وَسَأَلُ اللَّهِ لَا يَحِبُّ
يعنى عبيد بن الأبرص (٢) .

فهذا نقد ذاتي لا تحليل ولا تعليل ولا شمول ، وإذا كانت هذه الأمثلة توقفت في حكمها على البيت أو البيتين باعتبارهما الوحدة الفنية للقصيدة في معظم ما ترك لنا الجاهليون — فإننا نرى أحكاما تصدت لشعر الشاعر كله وقررت فيه رأيا — تحاكم الزبيرقان بن بدر ، والمخبل السعدي ، وعبد بن الطيب ، وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر ، أيهم أشعر ؟ فقال : أما عمرو فشعره برود يمنية تنشر وتطوى ، وأما أنت يا زبيرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ولم يترك نيباً فينتفع به ، وأما أنت يا مخبل فشعرك شهب من نار الله يلقيها على من يشاء ، وأما أنت يا عبد فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء (٣) وقد أطلقوا على عدى بن ربيعة لقب « المهلهل » لهلهة شعره كهلهة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه ، أو لأنه أول من رقق الشعر وتجنب الكلام الغريب الوحشي (٤) .

فهذا نقد أدبي يعتمد على الحاسة الفنية ويقوم على فهم الشاعر جُملةً ، وعلى تذوق الروح العامة لشعره والحكم عليه بذلك ، وأيضا ، هو لا يعلل ولا يحلل وإنما هي انفعالات ذاتية .

(١) ابن قتيبة — الشعر والشعراء — ٣٥١/١ تحقيق أحمد محمد شاكر ط الحلبى الثالثة — ١٩٧٧ م

(٢) المصدر السابق ٣٣٠/١ . ويفره يجعله وافرا .

(٣) الأغاني : ط وزارة الثقافة ١٩٧/١٣ و ١٩٨ والموشح — ١٠٧

(٤) ابن سلام : الطبقات ص ٣٩ والموشح ١٠٦

المقياس البيئي :

فرق ابن سلام بين شعراء البادية وشعراء القرى العربية : المدينة والطائف واليمامة والبحرين ، فجعل شعراء القرى طبقةً ، وهو على حق فيما ذهب ، فأسلوب الحياة وأسلوب التفكير وكيفية فهم الشعر وتذوقه ثم نقده ، في البادية ، غيرها في الحضر .

في البادية رأينا الأسواق التي كانت مجالس ومحافل أدبية ، ورأينا النابغة تضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها . ولم يكن النقد بعيدا عن تيار الحياة البدوية ، فأحيانا يتذكر النقاد رُوحَهُم القَبِيلِيَّةَ حين ينضلون شاعرا على شاعر ، فتأتي أحكامهم تنضح بما سقطوا فيه .

ومما يلاحظ أيضا على نقد البادية، اتجاهه إلى المعاني الشعرية من ناحية التعبير عنها والتنبيه على ما يكون فيها من خطأ ثم ما قد يكون من تقصير .

أما عن بيئة الحضر، فعرب المدينة معظمهم من عرب اليمن ذوى الحضارة العريقة ، ومكة بلدٌ تاجرٌ ، واحتكاك المكيين بمن جاورهم معروف مشهور ، وهذا الأمر ينسحب على بقية القرى العربية ، أو تلك البيئات المتحضرة بالنسبة للبادية ، فليس غريبا أن ترى أهل المدينة يُنَبِّهُونَ النابغة على خطئه الموسيقي ، وهذا ما لم يَتَنَبَّهْ إليه الشعراء الأعراب ، ومجالس الغناء والطرب التي كانت تعقد في المدينة لها يدٌ في ذلك .

وشئ آخر من خصائص هذه الحياة الحضرية ، هو الكتابة ، فإحاطة أهل القرى بها واصطناعهم لها جعل أصوات اللُّغة تأخذ في أذهانهم صورا متميزة ، والأعرابي قد لا يَفْطِنُ لما بين الميم والنون، أو ما بين الدال والطاء من تقارب ، يقول ابن سلام وقد يَغْلِطُونَ في السين والصاد والميم والنون والدال والطاء وأحرف يتقارب مخرجها من اللسان تُشْتَبِهُ عليهم ، أنشدني أبو العطف :

أَرَمِي بِهَا مَطَالِيعَ النُّجُومِ رَمَى سَلِيمَانُ بِدَى غُضُونِ
وقال زُغَيْبُ بْنُ نُسَيْرٍ الْعَنْبَرِي :

نَظَرْتُ بِأَعْلَى الصُّوقِ وَالْبَابِ دُونَهُ إِلَى نَعَمٍ تَرَعَى قَوَافِي مَسَرِدِ

الصوق : يريد السوق ، ثم قال : كَحَيْلٌ مُخْلَطٌ « فقلت له ، قل « مُعَقَّدٌ »
فيصح لك المعنى وتستقيم القوافي ، قال : أجل ، فاستعدته : فعاد إلى قوله
الأول « (١) .

وهناك نصوص عديدة (٢) ، تخدم دراسة النقد في العصر الجاهلي ولكنها — في
رأى — تدور في إطار المقياسين البارزين اللذين أشرت إليهما ، وهي في الوقت
نفسه منبثقة من سمات الحياة الأدبية في تاريخ النقد الجاهلي .

(١) ابن سلام : الطبقات ٨٠ — الكحيل بالتصغير : القطران تطلّى به الإبل الجُرّين ، والعقد : من
قوسم : عقد القطران والعسل وأعقده : طبعه حتى يخنز ويغلظ .
(٢) انظر الموشح للمرزباني — ص ٤ وما بعدها .

النقد في عصر صدر الاسلام

وفي عصر صدر الإسلام اختلفت الدوافع وتغيرت الأوضاع وتحولت الأسباب التي تهيج من كوامن الشعر والشعراء ، وحدثت عملية استعلاء نفسى ، فخفضت حدة القبلية والعصبية والعادات المذمومة وحلّت محلّها عادات أرفع وتقاليده أرحب ، ونظّم أجدى بالإنسان والإنسانية .

جاء الرسول الكريم ، ووقف صامدا أمام طغيان الظلام ، وقرر أن تنتشر الدعوة أو يهلك دونها ، وحدث مانعوه جميعا وصالت قريش صولتها ، ورمت المسلمين بأفلاذ كبدها أبى سفيان وخالد بن الوليد وأبى جهل وعُتْبَة وشيبة ابنى ربيعة وأمّية بن خلف الجمحى وغيرهم من القادة الدّهاة ، فهزمت واندحرت ، وكان النصر حليف الإسلام .

وقد أثر عن الرسول بعض كلمات تعبر عن مفهومه للشعر وعن الميزان الذى يرتضيه لتقديره والتميز بين ما يستحسنه وما لا يستحسنه ، منها قوله « الشعر كلام من كلام العرب ، جزل ، تتكلم به فى بواديه ، وتُسَلُّ به الضغائن من بينها » (١) وقوله « وإنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحقّ منه فهو حسن وما لم يوافق الحقّ منه فلا خير فيه » (٢) وقوله « إنّما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب » (٣) .

فالشعر عنده كلام من جنس كلام العرب يتميز بالتأليف أى النظم كما تمتاز ألفاظه بصفة الجزالة وقوة الأسر .

أما ميزان الشعر عنده فيتمثل فى مدى مطابقته للحق ، أو عدم مطابقته ، فالحسن منه ماوافق الحق ، وما لم يوافق فلا خير فيه ، إنه ميزان مستمد من تعاليم الإسلام الحنيفية .

(١) ابن رشيّق : العمدة ، ط التجارية تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٨ كـ

٢٨/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٧/١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧/١ .

وقد كان الشعر يُؤثر في نفسه الكريمة ، يُروى أن فتيلة بنت النضر بن الحارث بعد مقتل أبيها عرضت للنبي وهو يطوف ، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف عن منكبيه ، ثم أنشدته قصيدة منها :

أحمدُ وَلَدَتُكَ خَيْرُ نَجِيَّةٍ : من قومها والفحل فحل مُعْرِقُ
ما كان ضُرُّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّمَا : من الفتى وهو المغيظ المَحْنَقُ
فالنضر أقرب من قَتَلْت قَرَابَةً : وأحقهم إن كان عَتَقُ يُعْتَقُ
ويروى أن الرسول لما سمع شعرها رَق لها حتى دمعت عيناه وقال « لو سمعت
شعرها هذا قبل قتله لمننت عليه » (١) صلى الله عليك وسلم يابى الرحمة .

كذلك أبدى رأيه فيمن هو أشعر شعراء الجاهلية والمشركون ، فقد روى عنه في امرئ القيس « أنه قائد الشعراء إلى النار » (٢) ، والرسول مدرك لقيمة الشعر الاجتماعية والسياسية ومدرك لأثره في الدعاية ، فنراه أمام هجوم الشعراء المشركون يقول للأنصار « ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألستهم ؟ » فقال حسان بن ثابت : « أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرنى به مَقُول بين بُصْرَى وصَنْعَاء » (٣) وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رَوَاحَة ، واحتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة ، وقصة وفد تميم وشاعرهم الزُّبَيْرَان بن بدر ، وخطيبهم عَطَّارْد بن حاجب معروفة ، ذهبوا للرسول الكريم يفاخرونه فانهزموا على يد شاعر المسلمين حسان بن ثابت وخطيب المسلمين قيس بن الشَّمَّاس (٤) .

والقرآن الكريم قد تحدى العرب ببلاغته وروعته ، وكان سلاحا هزم المشركون في ميدان تفوقهم ونبوغهم ، وما انصرف من انصرف من الشعراء عن شعرهم إلا

(١) ابن رشيقي : العمدة ٥٦/١ وابن الأثير : الكامل ط الأزهرية القاهرة ١٣٠١ هـ ٩١/١ المعرق : الكريم من عراقة الأصل .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٣٢/١ — وانظر دراسة المحقق في ضعف هذا الحديث ، هامش ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٣) الأغاني : ط وزارة الثقافة ١٣٧/٤ . والمقول : اللسان .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية : ط الحلبي ١٩٣٦ — ٢٠٦/٤

صَدَى عَمِيقٍ لِاحْسَاسِهِمْ ، بَأَنَّ هُنَاكَ كَلَامًا أَبْلَغَ مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِمْ .

وعلى سَنَنِ الرِّسُولِ وَهَدْيِهِ سَارَ خَلْفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ وَنَهَجُوا نَهْجَهُ ، كَانُوا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ شَعْرٍ وَشَعْرٍ ، فَيَحْضُونَ عَلَى مَا هُوَ حَسَنٌ مُفِيدٌ ، وَيَعَاقِبُونَ عَلَى مَا هُوَ شَائِنٌ ضَارٌّ ، وَمَا فِيهِمْ إِلَّا وَقَدْ تَمَثَّلَ بِالشَّعْرِ ، أَوْ دَعَا إِلَى رَوَايَتِهِ ، وَاعْتَبَرُوا مِنْ تَمَامِ الْمَرْوَةِ وَالْمَعْرِفَةِ . فَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْدِمُ النَّابِغَةَ وَيَقُولُ هُوَ أَحْسَنُهُمْ شَعْرًا وَأَعْدَهُمْ بَحْرًا وَأَبْعَدُهُمْ قَعْرًا (١) . وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ يُعْجَبُ بِشَعْرِ زَهِيرٍ لَمَّا يَتَجَلَّى فِيهِ مِنْ صَدَقٍ ، فَقَدْ أُنْشِدَ قَوْلَ زَهِيرٍ :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ .. وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ، تُعَلِّمُ فَقَالَ : أَحْسَنُ زَهِيرٍ وَصَدَقَ ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتًا فِي جَوْفِ بَيْتٍ لَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ (٢) ، وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَفْضِلُ امْرَأَ الْقَيْسِ لِأَنَّهُ رَأَاهُ « أَحْسَنُهُمْ نَادِمَةً وَأَسْبَقَهُمْ بَادِرَةً وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ » (٣) .

لَمْ يَسْتَرْحِ الْمُسْلِمُونَ لَحْظَةً مِنْذُ أَوَاخِرِ عَهْدِ النَّبِيِّ وَخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَدْ خَرَجَتْ الْجُيُوشُ إِلَى كُلِّ صَوْبٍ تَبْغِي نَشْرَ الْإِسْلَامِ أَوْ الْجَزِيَّةَ أَوْ الْقِتَالَ ، وَتَتَوَالَى الْإِنْتِصَارَاتُ وَتَرْجِعُ الثِّقَةُ إِلَى نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ فَتَفْتَحُ الْأَمْصَارُ .. وَاسْتَمَرَّتِ الْحَالُ عَلَى أَشَدِّهَا فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَفِي أَوَاخِرِ عَهْدِهِ بَدَأَ الْمُسْلِمُونَ يَثُوبُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيُؤْوُونَ إِلَى جَزِيرَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيْثًا عَظِيمًا .

وَتَفَرَّغَ عُمَرُ لِسِيَاسَةِ دَوْلَةٍ شَاسِعَةِ الْأَطْرَافِ ، بِمِهْمَةٍ لَا تَعْرِفُ الْكُلُلَ ، وَكَانَتْ مِهْمَةٌ شَاقَّةٌ ، فَالْحَالُ مُتَغَيِّرٌ وَثَمَّ أُسْرَى وَعَبِيدٌ وَجَوَارٍ زَحَمُوا الْجَزِيرَةَ وَسَدُّوا عَلَيْهَا طُرُقَاتِهَا . وَازْدَادَتِ الْمَشْكَلَاتُ وَالرَّغْبَاتُ وَتَعَدَّدَتِ النَّزَوَاتُ وَلَوْلَا حَزْمُ عُمَرَ لَانْفَلَتَ الزَّمَامُ . وَقَدْ نَهَى النَّاسَ أَنْ يَنْشُدُوا شَيْئًا مِنْ مَنَاقِضَةِ الْأَنْصَارِ وَمَشْرَكِي قُرَيْشٍ (٤) لِأَنَّ فِي ذَلِكَ شَتْمَ الْحَيِّ بِالْمَيْتِ ، وَتَجْدِيدَ الضَّغَائِنِ ، حِيَاظَةً مِنْهُ لِلْمَجْتَمَعِ ، وَحِرْصًا عَلَى سَلَامَةِ كِيَانِهِ .

(١) ابن رشيقي : العمدة ٩٥/١

(٢) ابن رشيقي : العمدة ٩٥/١

(٣) الأغاني : وزارة الثقافة ٣٠٦/١٠

(٤) ابن رشيقي : العمدة ٩٤/١

وهذا مادفعه ، حين استعداه الزبرقان بن بدر على الخطيئة لقوله فيه :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا :: واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
أَنْ يَقُولَ لَهُ : مَا أَعْلَمُهُ هَجَاكَ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ طَاعِمًا كَاسِيًّا (١) .

وحين استعداه بنو العجلان على النجاشي الشاعر الذي هاجمهم بقوله :
قَبِيلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ :: وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
قال : ليت آل الخطاب هكذا ! وحين قَدِّمُوا له بيتا آخر فيهم وهو :
وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا :: إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
قال : ذلك أَقْلٌ لِلْكَأَكِ (٢) .

فعمر لم يجهل معنى الشعر وأساليب الهجاء (٣) ولكي لا تتسع الفجوة ، وتغور
الهوة ، وتتأجج نار المشاحنات والعصبيات ، فسر الشعر بمفهوم إسلامي ، وقد
انتهج ألا يعاقب شاعرا على هجاء مقذع إلا بعد أن يسمع حكم أصحاب
الصنعة ، حدث هذا مع الخطيئة والزبرقان ، فَإِنَّ عُمَرَ اسْتَدْعَى حَسَانًا وَسَأَلَهُ ،
فقال : لَمْ يَهْجُهُ وَلَكِنَّهُ سَلَحَ عَلَيْهِ ، ويقال إنه سأل لبيدا عن ذلك فقال :
ما يسرنى أنه لحقنى عن هذا الشعر مالحقه ، وَأَنْ لِي حُمْرُ النَّعَمِ — فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ
فَجُعِلَ فِي نَقِيرٍ فِي بَثْرٍ ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، فقال :
:: ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَجٍ (٤) ::

ومما يعزز الجانب الإسلامي في تقييم الشعر عند عمر ، أن سُحَيْبًا عَبْدُ بَنِي
الحسحاس أنشد عمر بن الخطاب قوله :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ أَنْ تَجْهَزَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا (٥) .

(١) المصدر السابق ١٨٦/٢

(٢) ابن قتيبة : الشعر و الشعراء — ٣٣٨/١

(٣) يروى أنه قال « رَوْوَا أَوْلَادَكُمْ مَا يَجْمُلُ مِنَ الشَّعْرِ » المبرد : الكامل ط الاستقامة بالقاهرة ١٥٥/١ وقال

« خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف اللئيم ،

الجاحظ : البيان والتبيين ٣٢٠/٢ بتحقيق عبدالسلام هارون ١١٠/٢ .

(٤) الأغاني : ط وزارة الثقافة ١٨٦/٢ وانظر الطبقات لابن سلام ص ١١٦ — النقيير : مأثور من حجر

أو خشب ونحوهما ، وذو مَرَجٍ : وادٍ بالحجاز

(٥) غاديا : مبكرا بالرحيل .

فقال عمر : لو قلت شعرك كُله مثل هذا لأعطيتك عليه ، وذكر الجاحظ أن
عمر قال له : لو قَدَّمْتُ الإسلامَ على الشَّيب لأجزتك ، فقال سُحَيْم : ما
سَعَرْتُ ، يريد ما شعرت ، جعل الشين سينا .
ولما أنشد سُحَيْمُ هذا قوله :

فَبَاتَ وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحِقْفٍ تَهَادَاهُ الرِّيَاحُ تَهَادِيَا
وَهَبَّتْ شَمَالًا آخَرَ اللَّيْلِ قَرَّةٌ وَلَا ثَوْبٌ إِلَّا دِرْعُهَا وَرَدَائِيَا
فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوْبَ بَالِيَا

قال له عمر : ويلك أنت مقتول^(١) وقد قُتِلَ بسبب تشبيهه بنساء مولاة .
وروى الأصفهاني عن ابن عباس قوله : « خرجت مع عمر في أول غزوة غزاها
فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء ، قلت : ومن هو يا أمير
المؤمنين ؟ قال ابن أبي سلمى ، قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع
خوشية الكلام ، ولا يعاظم في المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا
بما فيه ، أليس الذي يقول :

إِذَا ابْتَدَرْتُ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً مِنَ الْمَجْدِ ، مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يُسَوِّدُ
سَبْقَتِهَا إِلَيْهَا كُلُّ طَلِقٍ مُبَرِّزٍ سَبْقِي إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرَ مُزِيدٍ
كَفَعَلِ جَوَادٍ يَسْبِقُ الْخَيْلَ عَفْوُهُ السَّرَّاعَ وَأَنْ يَجْهَدَ وَيَجْهَدَنَّ يَبْعِدُ
وَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ يُمْتْ وَلَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ
أنشدني له : فأنشدته حتى برق الفجر ، فقال : حَسْبُكَ الْآنَ ، اقرأ

(١) ابن سلام : الطبقات ١٨٧ ، والجاحظ : البيان والتبيين ٧١/١ ، والأغاني ٦/٢٥ ، العليانة :
شجرة خضراء مظلمة الخضرة ، ليس لها ورق ، والحِقْفُ : ما استطال واعوج وأشرف من الرمل ،
تهاداه : أصلها تهاداه ، يصف الرمل بالنعومة — والشمال : ريح الشمال الباردة ، والقرة : الشديدة
البرد ، ودرع المرأة : ثوب ذو يدين تلبسه العواتق ، يقول : أن شدة البرد ألجأت كل واحد إلى
حضن صاحبه .

القرآن ، قلت : وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتها فنزل فأذن فصلى . (١) .

وحوشى الكلام ووحشية هو الذى لا يتكرر فى كلام العرب كثيرا ، فإذا وردَّ وردَّ مستهجنا ، أى هو الغريب المستهجن من الألفاظ ، أما المعاطلة فى الكلام . فهى إركاب بعض ألفاظه رقاب بعض ، أو هى شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض ، ومداخله لفظة من لفظة أخرى تشبيها أو تجانسا ، ولو اختلف المعنى بعض الاختلال . وكان عمر الناقد اذ يذكر حوشى الكلام والمعاطلة كان يريد أن يقرر أن صفات الألفاظ ونظم الكلام وتلاحم أجزائه من الأمور التى ينبغى أخذها فى الاعتبار عند الحكم على الشعر وتقديره .

هذا ما يرجع إلى صياغة زهير اللفظية أو خصائص ألفاظه عند عمر ، وأما ما يرجع إلى معانيه فصفتان : إحداهما أنه لا يقول إلا ما يعرف ، والأخرى أنه لا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه ، ومعنى ذلك أن الصدق عنصر أصيل فى النقد عند عمر ، لأنه كان يرى أن الشعر وسيلة من وسائل التهذيب الخلقى والسمو النفسى ، والدقة فى التعبير ، ألم يقل الرسول أن أحسن الشعر ما وافق الحق ومالم يوافق الحق منه فلا خير فيه !!!

(١) الأغاني ٢٩٠/١٠ و ٢٩١ — يقول فى البيت الأول : إذا تسابقت قيس بن عيلان ، لإدراك غاية من المجد . تسود من سبق إليها . كنت السابق إليها ، وقيس بن عيلان قبيلة ، ويقال : رجل طلق اليمين إذا كان معطاء ، وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماضٍ بخير بما عنده من العلو ، والمبرز : الذى سبق الناس إلى الكرم ، والمزند : هنا البخيل ، واللثيم .

النقد في الحجاز والعراق والشام

أولاً : الحجاز :

حينما جاءت الدولة الأموية اصطحبت معها مشكلاتٍ وخلافاتٍ شتى ، فقد كانت ظروف البيت الأموي صعبة والمهام التي تُصَدَّى لها مُضنية ، ولكنه وجد أمامه فرصة سيادة البيت الهاشمي فاغتنمها ، وتشبث بها ، وكان فيها هلاكه — ففي سبيل هذه السيادة ارتضى أن يقيم سلطانه الأموي على أعمدة من الحقد والعسف والإكراه ، واكتفى بامتلاك رقاب الرجال وترك قلوبهم ترعى مراعى الهوى ، ومهاوى النزعات والشطحات ، فلم تكن الدولة الأموية سوى أقاليم متباينة تنضوى تحت اسم واحد — حينما جعلت الدولة سلطانها في الشام أصبح في الشام لون أدبي مخالف لما في الحجاز من أدب ، مغاير لما في العراق ، هو في الظاهر أدب له صورة واحدة متصلة بعصر الدولة الأموية لكنه لم يخلُ من خصائص تربطه بالبيئة .

فنقد الأدب في الحجاز — وقد أغرق الأمويون أهله بالمال ليضمنوا سكوتهم كيلا يثوروا أو يطالبوا بالمسلوب من حقهم ، أو حتى يناقشوا ما يدور حولهم^(١) — هذا النقد تأثر بروح الحجاز ، التي تكونت من روح الدعة والطمأنينة والخير العميم ، الخير الذي نتج عن نظام العطاء منذ عهد عمر بن الخطاب الذي فرض العطاء على أساسين : القرابة من رسول الله ثم السابقة في الإسلام^(٢) .

وازدادت الفتوح على عهد عمر وعثمان ، فازداد أهل الحجاز مالا وثراءً فكوثوا طبقة لاتعمل شيئاً ، وإنما يعمل لها ما جلبت من الرقيق . تُنفق وقتها في فنون اللهو والعبث والمجون . ونشأ عن هذا أن جلبت الحضارة جلباً إلى الحجاز ، وبلاد العرب ، وكانت الفنون التي تنشأ من الترف والتبطل ، فكان الغناء والإيقاع

(١) كُرد على : الإدارة الإسلامية في عز العرب ط مصر ١٩١٤ ك ص ٨٢

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ط الحلي ، القاهرة ١٩٣٨ ك ص ١٧

والرقص والشعر الذى لا يُصَوَّرُ جِدًّا ولا نشاطا ، وإنما يصور بطالة وفراغا ، وتهالكا من أجل ذلك على اللذة ، أو عكوفاً من أجل ذلك على النفس (١) فوجدنا إقليم الحجاز غنيا بفننى الغناء والمنادرة كما كان غنيا بالفقه والحديث (٢) .

والحقيقة أن الحياة البراقة التى كانت فى الحجاز جاءت نتيجة تدبير سياسى محكم من الأمويين ، فشباب الحجاز الجدير بامتلاك أَعِنَّةِ الأمور كعبدالله بن عمر بن الخطاب ، والحسين بن على بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وسعيد بن عثمان بن عفان ، وغيرهم من أبناء مكة وأبناء المدينة الذين كانوا يَرُون أنفُسَهُمْ أَحَقَّ بالخلافة من يزيد بن معاوية نسباً وشرفاً وكفاءة ، نجد هؤلاء محاصرين بالمهادنة والملاطفة ومُعْرِقِينَ بالأموال وبتهيئة الحياة السهلة الناعمة المترفة .

فإقليم الحجاز قد فُرِضَتْ على شبابه أحكامٌ عرفية عسكرية ، لا يجاوز الحجاز إلا بإذن ، ولا يخرج منها إلا فى حاجة ماسة (٣) ولا ينازعون الأمر أهله ، ويقبعون فى مدنهم لاهين عابثين يائسين محطمين من تسلط الحاكمين ، ومن هنا ثار عبدالله ابن الزبير ، وثار الحسين بن على ، وترك السياسة للفقه عبد الله بن عمر ، وهم فى لهوهم وفى فقههم أفادوا الأدب كثيراً وأفادوا النقد كثيراً . ازدانت هذه الحياة بشخصية تعتبر صورة صادقة مترجمة من قريب لأحواله هى « سُكَيْنَةُ بنت الحسين » ومثلها « ابن أبى عتيق » وهما ناقدان ذواقان ظريفان ، على أيديهما وصل إلينا عديد من الصور النقدية ، لأشكال التعبير ، نستطيع معها أن نحكم على مفهوم الأدب ومدى ماوصل إليه النقد فى عصر الحجاز الأموى :

فقد جاء جريرٌ بيتَ سُكَيْنَةَ بنت الحسين يستأذن ، فلم تأذن وخرجت إليه جارية لها : فقالت : تقول لك سيدتى : أنت القائل :

طَرَفْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وليس ذا . . . حِينَ الزِّيَارَةِ فارجعى بسلام
قال : نعم ، قالت : فألاً أخذت ييدها فرحبت بها وأدנית مجلسها ، وقلت

(١) د . طه حسين : الفتنة الكبرى ط دار المعارف ١٩٤٧ ص ١٠٥

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ط الاعتدال القاهرة ١٩٢٨ ص ١٠٥

(٣) د . طه حسين : حديث الأربعاء ١/٢٢٦ .

لها ما يقال لمثلها ، أنت عفيف وفيك ضعف ، فخذ هذين الألفى الدرهم فالحق بأهلك (١) .

وسُكِّنت هذه هي التي أنشِدت أبيات عروة بن أذينة في أخيه التي يقول فيها :
سَرَى هَمِيَّ وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي . . وَغَارَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فِثْرِ
فلما انتهى إلى قوله :

بُحْزِنْ مَا أزالَ له مُدِيمًا . . كَانَ الْقَلْبَ أَشْعَرَ حَرِّ جَمْرٍ
على بكر أخى وَلَّى حَمِيدًا . . وَأَيَّ الْعِيشِ يَحْسُنُ بَعْدَ بَكْرٍ

تساءلت : ومن أخوه بكر ؟ أليس الدَّحْدَاحُ الأَسِيدُ القصير الذي كان يمر بنا صباحا ومساء ؟ قالوا : نعم ، قالت : كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت (٢) .

وتقول لكثير حين أنشدها قصيدته التي أولها :
أَشَاقُكَ بَرَقَ آخِرَ اللَّيْلِ وَاصِيبُ . . تَضَمَّنَهُ فَرَشُ الْجَبَا فَاَلْمَسَارِبُ (٣)
تَأَلَّقَ : وَأَحْمَمُوْنِي وَخَيَّمْ بِالرَّيْسِ . . أَحَمُّ الذُّرَى ذَوْهَيْدِبٍ مُتْرَاكِبُ (٤) .
إِذَا زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ أَرْزَمَ جَانِبُ . . بَلَا خَلْفٍ مِنْهُ وَأَوْمَضَ جَانِبُ
وَهَبْتُ لِسُعْدَى مَاءَهُ وَنَبَاتَهُ . . كَمَا كُلُّ ذِي وَدٍّ لِمَنْ وَدَّ وَاهِبُ
لِتُرَوِّى بِهِ سُعْدَى وَيُرَوِّى صَدِيقَهَا . . وَيُغْدِقُ أَعْدَادَ لَهَا وَمَشَارِبُ
تقول له : أتهب لها غيثا عاما جعلك الله والناس فيه أسوة ؟ فقال : يابنت رسول الله ﷺ ، وصفت غيثا فأحسنته وأمطرته وأنبتته وأكملته ثم وهبته لها ، فقالت : فهلاً وهبت لها دنائير ودراهم (٥) .

(١) الأغاني : ط وزارة الثقافة ٣٨/٨

(٢) المصدر السابق : ٦٣/٧ قيد فتر : قدر فتر والدحداح : القصير الغليظ ، والأسيد : تصغير الأسود .

(٣) واصب : دائم ، فرش الجبا والمسارب : موضعان .

(٤) واحمومي : صار أسود ، أحم : اقترب .

(٥) أرزم : رعد رعدا شديداً ، بلا خلف ، أى بدون تغير في شدته وعنفه .

ومثلها في فنها وظرفها ونقدها — ابن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن أبي عتيق
ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو من نُسك قريش وظرفائها بل كان قد برَّهم
ظرفاً^(١) يقول لابن قيس الرقيات حينما سلم عليه : وعليك السلام يافارس
العميان . ويقول ابن قيس : ماهذا الاسم الحادث ياأبا محمد ؟ بأبي أنت —
يقول ابن عتيق : أنت سميت نفسك حين تقول :

تَقَدَّتْ بِي الشَّهَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ ، سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا

فما يستوى الليل والنهار إلا على عمياء ، قال : إنما عَنيت التعب ، قال :
فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان له^(٢) . فالبساطة وسهولة المأخذ في صياغة
الفكرة تحتم على الشاعر البعد عن الغموض ، أما عمر بن أبي ربيعة فحين ينشده
قوله في المرأة التي سَفَرَتْ بينه وبين صاحبتة ونجحت في مسعاها :

فَأَتَتْهَا طَبَّـةٌ عَالِمَةٌ . تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَارًا بِاللَّعِبِ^(٣)
تُغْلِظُ الْقَوْلَ إِذَا لَأَتْهَا . وَتَرَاحِي بَعْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ^(٤)
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا . وَتَأْتَاهَا بِرَفْقٍ وَأَدَبٍ

قال ابن أبي عتيق : الناس يطلبون خليفة مُدَّ قتل عثمان في صفة قَوَادَتِكَ
هذه ، يدبر أمورهم فما يجدونه^(٥)

وحضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله :
وَمَنْ كَانَ مُحْزُونًا بِأَهْرَاقِ عَبْرَةٍ . وَهِيَ غَرْبُهَا فليأتنا نُبْكِهِ غَدًا^(٦)
نُعْنُهُ عَلَى الْإِثْكَالِ إِنْ كَانَ ثَاكِلًا . وَإِنْ كَانَ مُحْرَبًا وَإِنْ كَانَ مُقْصِدًا^(٧)
فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدا البخريّ وقال له : قم بنا إلى عمر ،
فمضيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك ، قال : وأى موعد

(١) المبرد : الكامل ط الاستقامة القاهرة ٣٧٨/٢

(٢) الأغاني : ط وزارة الثقافة ٨٩/٥ أى شقت طريقها

(٣) طبة : حاذقة رقيقة .

(٤) السورة : الحدة .

(٥) تأناها : تتمهل عليها (بخذف إحدى تائيه) .

(٦) الأغاني : ط وزارة الثقافة ١٣٥/١

(٧) وهى عربها : يريد ضعف دمعها ، ونبكه هنا أى نُعْنُهُ على البكاء .

(٨) المحروب من سلب ماله ، والمقصد : من طعن أو رمى بسهم ولم يخطئ . مقابلة .

بيننا ؟ قال : قولك « فليأتنا نبكه غدا » قد جئناك ، والله لا نبرح أو تبكى إن كنت صادقا في قولك أو ننصرف على أنك غير صادق (١) .

ماج الحجاز بالشعر وتحدثت به الركبان في المجالس الخاصة والعامة وفي المسجد الحرام وفي الأسواق وفي موسم الحج ، وفي كل مكان من الممكن أن يقال فيه شعر أو أن يوحى بشعر :

واتجه النقد إلى إيثار الفن الجميل وتصوره ، وإلى التصوير المتقن وتشجيعه ، وإلى البساطة في عرض المشاعر ، وقرب المأخذ ، والبعد عن التعقيد ، فسكينة أرادت أن تبين للشاعر أنه أساء معاملة المرأة ، وبدلاً من أن يقول لها « ارجعي بسلام » كان يقول « ادخلي بسلام » تكريماً لها ، ورأيها تكره المبالغة الشديدة في وصف الحزن ، وهي مع ذلك تطالب كثيراً بأن يهب لصاحبه شيئاً خاصاً بها ، لا يشركها فيه أحد ، وهي تفتن هنا أيضاً إلى المبالغة المسرفة في قول كثير ، وابن أبي عتيق يلمح عيب المشاركة ، فلو أن الشاعر تبسّط في صياغة فكرته لما وقع في الغموض . إن ظروف المجتمع تفرض أحكاماً فنية على الشعراء وعليهم أن يطبقوها ، ألم يتمنّ الإمام مالك أن يكون مغنياً ؟ فقالت له أمه : يا بني إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يُلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه فإنه لا يضير معه قبح وجهه (٢) ؟ وحين ينشد ابن جندب الهذلي ناقدنا ابن أبي عتيق قول العرجي :

مأنس م الأشياء لا أنس قولها . : لخادمها قومي أسألى لي عن الوتر (٣)
قالت يقول الناس في سِتِّ عَشْرَةَ . : فلا تعجلي منه فإِنَّكَ في أَجْرِ
فما ليلة عندي وإن قيل جمعة . : ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الاثنين عندي وبالأحرى . : يكون سواء منهما ليلة القدر

(١) الأغاني : ط وزارة الثقافة ١٥٢/١

(٢) أمين الخولي — مالك — ص ٧٥ . أعلام العرب العدد (١١) ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٣) الوتر : يوم عرفة .

يقول : أشهدكم أنها حرة من مالى ، إن أجاز ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب (١) .

وهذه عزة التي اشتهرت بحب كثير لها تتعقب مايقوله فيها وتجلس لتوازن بين فتى القول . قول كثير فيها وقول الأحوص ، وقد أعجبها قول الأحوص :

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى .: إذا لم يزر لا بد أن سيُزور
وقوله :

ومالعيش إلا مائلدٌ وتشتهى .: وإن لآم فيه ذو الشنان وفندا
بينما تلوم كثيراً حين يقول فيها :

يُحاذِرُن مِنِّي غَيْرَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا .: لَدَى فَمَا يَضْحَكُن إِلَّا تَبَسُّمًا
ويشق عليها قوله :

وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَكْرَةٌ .: هَجَانٌ وَأَنْى مَصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ (٢)
كَلَانَا بِهِ عُرٌّ مِنْ يَرْنَا يَقْلٌ عَلَى حَسَنَاهَا جَرَبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرُبُ (٣)

وتقول له : ويحك ، لقد أردت بى الشقاء الطويل ، ومن المنى ما هو أعفى من هذا وأطيب (٤) .

ثانياً — العراق :

والأمر يختلف بالنسبة للعراق بمصريه ، فالعراق قد تعاقبت عليه الأمم المتحضرة ، من نحو ثلاثين قرناً قبل الميلاد ، فالبابليون والآشوريون (٥) والكلدانيون والفرس والروم كل أولئك — أنشأوا فى العراق ممالك تختلف فى صبغتها عن جيرانها الأقربين — حضارةً وأدباً وفناً وعلماً — .

(١) الأغاني : ط وزارة الثقافة ٣٩٩/١ وابن شهاب هو : الزهرى . محمد بن مسلم بن عبد الله بن

(٢) شهاب . أبو بكر ، أول من دَوَّن الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء . تابعى من أهل المدينة .

(٣) توفى — ١٢٤ هـ . الأعلام ٩٧/٧

(٤) هَجَانٌ : ناقة بيضاء كريهة ، وبكرة : الفتى من الإبل ، مصعب : الفحل .

العر : الجرب .

المرزبانى : الموشح ٢٤٧ .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ط بولاق ١٢٨٣ هـ ٣/٢ .

بجد البصرة كانت أكثر تأثراً بالحضارة الأجنبية لقربها من فارس ولكثرة من بها من غير العرب من الموالى والفرس والنبط والسريان وغيرهم — كذا الكوفة كانت تجمع أشتاتاً من القبائل المختلفة — وكانت أقرب إلى الحيرة المشهورة بأديرتها وبأثر المسيحية فيها .

والعراق هذا — كان مسرحاً عجباً لأحداث وفتن متعاقبة في عهد الدولة الأموية فمئذ مقتل عثمان — يوم الدار — بالزحف المشتعل ، ذهبت عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة فذهب علي بن أبي طالب إلى الكوفة ، وكانت بين البصرة والكوفة واقعة الجمل (١) ثم ذهب الحسين إلى الكوفة وبها لقي مقتله ، وخرج المختار الثقفي بالكوفة يطلب بثأر الحسين فاستولى مصعب بن الزبير على البصرة وسار إلى الكوفة فقتل بها المختار (٢) وجَهَّزَ عبد الملك جيشاً وسار إلى العراق فقتل مُصعباً (٣) وتغلب عبد الرحمن بن الأشعث على الكوفة فسار إليه الحجاج وتغلب عليه (٤) .

حروب وفتن وقتل وقتلى منذ مقتل عثمان إلى ما بعده بأمد بعيد ، ولقد حدد العراق موقفه منذ البداية ، المعارضة والمناهضة والصد العنيد للأمويين ودولتهم ، فدفع أبناءه ثمناً لشموسيه ، ولم يكن هذا إلا صورة لما يُكنُّه العراقيون من بُغضٍ للشاميين ، أو بالأصح لم يكن إلا صورة لما كان في الجاهلية بين الغساسنة والمناذرة (٥) ، أو ما كان بين الدولة الرومانية في الشام والفارسية في العراق (٦) ، ومن ثمَّ فقد العراقيون إلا القليل منهم الشعور بالانضواء تحت لواء دولة عاصمتها دمشق ، فمال كل فرد إلى قبيلته ، ومالت القبائل إلى الأحزاب ، وقد كثرت الأحزاب واختلفت برامجها ، وهكذا اختلفت أسماء الأحزاب ولكنها اتفقت على ضرورة القضاء على الدولة الحاكمة .

(١) المصدر السابق والطبعة ٩٠ / ٢ .

(٢) المصدر السابق والطبعة ١١٤ / ٢ .

(٣) المصدر السابق والطبعة ١٢٠ / ٢ .

(٤) المصدر السابق والطبعة ١٣٥ / ٢ .

(٥) د . سيدة الكاشف : الوليد بن عبد الملك : سلسلة أعلام العرب رقم ١٧ ط وزارة الثقافة مايو

١٩٦٣ ص ٦١ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ط لندن ١٨٦٦ م ص ٢٧٦ .

وتجاه هذا لم يكن أمام الخلفاء إلا اتباع سياسة التفرقة بين القبائل والإيقاع بينها^(١) ، وتأليب الشعراء عليهم وعلى أنفسهم وإثارة الفتن بين صفوفهم حتى يتمكنوا من السيطرة عليهم ، فكان الشعر أمضى أسلحتهم بطبيعة الحال ، ومن أنسب ألوان الشعر في هذه الأحقاد السياسية ، الهجاء القبلي والمدح السياسي .

ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء كما يقول الجاحظ^(٢) ومن ثم علا شأن الفرزدق وجريز والأخطل ومن سار في دريهم .

ونقدم فن الهجاء الألوان الأدبية في العراق فتشكل النقد بشكل الأدر بعد ماتأثر الأدب بمصلحة الخلفاء .

في العراق حدثت رجعة إلى الوراء طى السنين ، حدثت انتقالة كبرى من سماحة الإسلام إلى نغرة الجاهلية وطيشها^(٣) يجتمع جريز والفرزدق والأخطل ينهشون أعراض الحى والميت ، ويرجفون بأبذر العبارات والناس من حولهم يستمعون ويستزيدون ، ألم يعرف جريز بنفسه قائلا :

إني امرؤ خلقت شكساً أشوساً .. إن تضرسانى تضرساً مضرساً^(٤)

والذى نقرؤه عنهم يجب ألا نأخذهُ مأخذ الجد . فهجاؤهم أقرب إلى اللهو والعبث ونتيجة للبطالة والفراغ ، كانوا يتهاجون ويتشائمون وغرضهم الأساسى إعجاب الجمهور من الخصوم وغير الخصوم^(٥) . لقد تعصب الجمهور لهؤلاء الثلاثة وشغف بتتبع أخبارهم — يحكى ابن سلام : اجتمعنا جماعة ، فقوم تقلدوا حذق الفرزدق وقوم تقلدوا حذق جريز ، فقلنا لبعضهم اذهب فأخرج مقلدات الفرزدق . وقلنا لآخر اذهب فأخرج مقلدات جريز ، فجاء صاحب الفرزدق

(١) المسعودى : مروج الذهب — ١٩/٢ ، انظر باب ذكر السبب في العصبية بين النزارية واليمينية .

(١) الجاحظ — الحيوان ١ / ٣٥٩ .

(٢) يقول أحمد أمين : « رحل العرب إلى العراق يحملون بين جنوبهم العصبية القبلية ، وارتقراطية الفاتح فكان من مظاهر الأمر الأول .. » ، ضحى الإسلام ط لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة

١٩٥٥ ص ١٨٠ .

(٤) الأغاني ط وزارة الثقافة ٨ / ٥٤ .

(٤) د . شوقي ضيف : التطور والتجديد ط دار المعارف — الثالثة — القاهرة ١٩٦٥ .

فأخرج معايب شعر الفرزدق ، وجاء هذا وأخرج المقلدات ، فكانت مقلدات جرير أكثر من معايب الفرزدق (١) وأبو حاتم كان يسمع الأصمعي يفضل جريرا على الفرزدق كثيرا (٢) وكان ابن سلام الجمحي يفضل الفرزدق (٣) واجتمع مجلس وتذاكروا جريرا والفرزدق والأخطل ففضله سلمة بن عياش عليهما (٤) وكذا عباد بن الحجاج أبو الخطاب كان عالما بالشعر مائلا إلى الأخطل (٥) .

نعم ، لقد صار هذا الثلاثي حديث الجمهور في الحرب ، فيقاتل المهلب بن أبي صفرة الأزرق ، فيسمع جلبة وصياحا ، يسأل عن كنهها ، فيقولون جماعة من العرب تحاكموا إليك في شيء فأذن لهم ، فقالوا : إننا اختلفنا في جرير والفرزدق (٦) .

وفي قصور الأمراء أيضا : يقول لهم الحجاج وهو في قصره بالبصرة : ايتياني في لباس آبائكما في الجاهلية (٧) .

شغل الهجاء الناس حتى تعجب ذو الرمة أن لا ينال شهرتهما ويسأل الفرزدق في هذا وهو ينشده :

أمنزلتني مئى سلام عليكما .: هل الأزمن اللاتي مضمين رواجع

قال : كيف ترى يا أبا فراس ؟ قال : أرى خيرا . قال : فما لي لا أعُدُّ من الفحول ، قال : بمنغك من ذلك صفة الصحاري وأبعار الإبل (٨) .

ولا يفهم من هذا أن الشعر في العراق تحول إلى هجاء ، فلقد كانت فيه الأغراض كلها ولكثرة ماتهاجي الفرزدق وجرير والأخطل شهروا به ، فالفرزدق كان يقول في كل شيء وكان سريع الجواب (٨) ، وقال يصف مجلس شراب له مع

(١) المرزباني : الموشح ١٨٥ .

(٢) الأصمعي : فحولة الشعراء ، تحقيق الزيني وخفاجي المطبعة المنيرة بالقاهرة ١٩٥٣ ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق والطبعة ١٨٦ .

(٤) الأغاني : ط وزارة الثقافة ٨ / ٢٨٤ .

(٥) المرزباني : الموشح ٢٢٥ .

(٦) الأغاني — ط وزارة الثقافة ٨ / ٤٢ و ٤٣ .

(٧) المصدر السابق والطبعة ٨ / ٧٦ .

(٨) المرزباني : الموشح ٢٧٣ .

(٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : تحقيق أحمد محمد شاكر ط الحلبي سنة ١٣٦٤ هـ ص ١ / ٤٤٥ .

الشاعر يحيى بن الحصين الرقاشي... (١) ورث ابن أخيه محمداً بأبيات
مقلّدت... وكذا فعل جرير في ابنه سودة (٢) . وفي أم حُرّة زوجته التي رثاها
جرير بأبيات كان يُسمّيها الجوساء لذهابها في البلاد (٣) .

قالوا في شتّى الأغراض ، وأكثروا ، وكذا الأخطل بكى ورثي . ووصف الخمر
والقيان واللهو ، ومدح (٤) ولكن شهرته نقائضه .

وكان النقد يلتفت إلى مدى التفنن في الوصول إلى مايكيد ويغيظ ، وبيت
جرير في الراعي « فَعُضُّ الطَّرَفِ » قد حفظه الصغار والكبار ، وجعل بني نُمَيْر
تُسبُّ الراعي وابنه ويتشاءمون به (٥) .

ونجد نقداً آخر ، يعتبر فنياً لذات الفن ، كان يقوم به الفرزدق وغيره من
الشعراء ، فحين يُسأل من أشعر الناس ؟ يقول : ذو القروح ، يعني امرأ
القيس ، حين يقول :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ . بِنَى أَيِّهِمْ . . وبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ
وَأَفْلَتْهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضاً . . وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ ، صَفِرَ الْوِطَابُ (٦)

ومن ذلك رأيه في النابغة الجعدي ، فإنه في رأيه ، كان صاحب خُلُقَان ،
عنده مُطَرَفٌ بآلاف ، وخمار بواف (٧) ومثله نقد جرير لعمر بن لجأ في قوله في
أرجوزته يصف فيها إبله :

(١) المصدر السابق والطبعة ١ / ٤٤٧ .

(٢) ابن سلام : الطبقات ٤٥٦ و ٤٦١ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١ / ٤٦٤ .

(٤) الأخطل : شعر الأخطل ، رواية أبي عبدالله محمد اليزيدي ، وتعليق الأب صالحاني ، ط بيروت

١٩٨١م — في أماكن متفرقة .

(٥) الأغاني — ط وزارة الثقافة — ٨١/٨ و ٢٨٨ و ٣٠٢ و ٣٠٤ و ٣٠٦ و ٣١٧ .

(٦) ابن سلام — الطبقات — ٥٣ . والجد : الحظ والسعد ، والأشقين : جمع أشقى ، يعني الأشقياء

الذين ساء حظهم ، ولاذنب لهم ، وهم بنو كنانة ، الذي وضع فيهم امرؤ القيس سلاحه . يحسبهم

بنو أسد . وقد وثق الحظ بنو أسد ببني كنانة ، وهما أبناء عمومتهم ، وعلباء : هو علياء بن الحارث

الكاظمي وكان ممن أعان على قتل أبي امرئ القيس . يقال : أفلت جريضاً : أي من بعد شر كاد

يقضى عليه من الجهد ، والجرض : غصص الموت ، والوطاب : جمع وطب ، سقاء من نجلد يكون فيه

اللبن .

(٧) ابن قتيبة : الشعر والشعراء — ٢٧/١ . والأغاني — ٢٨/٥ ط وزارة الثقافة ، والواف يعني درهما .

قَدْ وَرَدَتْ قَبْلَ إِنِّي ضِيحَائَهَا .: تَقْرُشُ الْحَيَاتِ فِي خِرَشَائِهَا
جَرَّ الْعَجُوزِ الشَّيْ مِنْ رِدَائِهَا .

فقال له : أخففت مرَّها ، فقال ، فكيف أقول ؟ قال : جر العروس الشَّيْ
من رِدَائِهَا (١) .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل كان الشعراء يجتمعون في شبه ندوات ،
ويناقشون أعمالهم الفنية ، فنَصَبُ الكميت وذو الرمة يجلسون ، فينشدهما
الكميت .

.. هَلْ أَنْتَ عَنْ طَلَبِ الْإِيْفَاعِ مُنْقَلِبُ (٢) .:

حتى بلغ قوله :

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعَلْيَاءِ نَافِعَةٌ .: وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الْأَنْسُ وَالشَّنْبُ (٣)
فعقد نصيب واحدة — فقال له الكميت : ماذا تحصى ؟ قال : خَطَاكَ ،
باعدت في القول ما الأنس من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :
لَمَيَاءٌ فِي شَفْتَيْهَا حُوءٌ لَعَسُ .: وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَثْيَابِهَا شَنْبُ (٤)
ثم أنشدهما قوله :

إِذَا مَا الْهَجَارِسُ غَنَيْنَهَا .: تُجَاوِزُنِ بِالْفَلَوَاتِ الْوَبَارِ (٥)

(١) ابن سلام — الطبقات — ٤٢٤ ، أنى الشيء يأى . أدرك وحان وقته ، والضحاء : الغداء الذى
يؤكل صُحَّى إذا ارتفع النهار ، وضحاء الإبل مرعاها فى ذلك الوقت . تفرش أو تفرس ، تجمع
الفريسة ، وتدقها وتكسر عنقها ، والخرشاء : جلد الحية ، وأخففت مرَّها : أى جعلت مرورها
خفيفا . والإبل تمدح بشدة وطئها فى مرَّها ، والعجوز بطيئة الحركة خفية الأثر على الأرض .
(٢) الأيفاع : الكواعب التى شارفت البلوغ .

(٣) العلياء : اسم بلد . الشنب : رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان .

(٤) اللمياء : البيئة اللَّمَى وهى سمرة الشفتين واللثات . والحوة : سمرة الشفة ، واللَّعَسُ : سواد اللثة والشفة
فى حمرة وهو بدل مما قبله .

(٥) الهجارس : جمع هجرس وهو القرد والشعلب أو ولده ، وهو الدب أيضا . الوبارج وَّير وهو دويبة على
قدر السنور غبراء أو بيضاء . تُدَجِّنُ فى البيوت ، حسنة العينين شديدة الحياء ، تكون بالغور والأنثى
وبرة .

فقال له النصيب : الوبار لاتسكن الفلوات ، ثم أنشد حتى بلغ منها ، قوله :
كَأَنَّ الْغُطَامِطَ مِنْ غَلِيهَا . . أَرَا جِزُّ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَاراً (١)
فقال له النصيب : ماهجت أَسْلَمَ غِفَاراً قط ، فأنكسر الكميت
وَأَمْسَكَ (٢) .

وهذا النقد الذى دار بين الشعراء يقوم على مائتقرر على وجه ما من مقتضيات
الصناعة ، إذ تتطلب من الشاعر أن يلائم بين الصور ويوائم بين المعانى (٣) .

وفي العراق ساد لون آخر من الأدب والنقد ، هو أدب ونقد الخوارج (٤) أو
الشُّرَاة (٥) أو الحرورية (٦) .

وأدبهم لايهجو ولا يمدح ، وإنما يتعفف في رُوحانية سامية ، ورقة دينية
شفافة . يروون أن عمران بن حطان مر على الفرزدق وهو ينشد الناس فوقف عليه
ثم قال :

أيها المادح العباد ليعطى . . إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم . . وارج نفع المنزل العواد
لاتقل في الجواد ما ليس فيه . . وتسمى البخيل باسم الجواد (٧)

وكان بعض الخوارج يسمى عاصم بن الحذثان — أحد شعراء الخوارج شاعر

(١) الغُطَامِط : بضم الغين صوت غليان القدر ، أَسْلَم وعفار : قيلتان .

(٢) الأغاني : ط وزارة الثقافة ٣٤٨/١ .

(٣) د . طه الحاجرى : تاريخ المذاهب الأدبية ١١٣ .

(٤) كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام
الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين لهم بأحسن والأئمة في كل زمان — انظر
الشهرستاني — الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلاني ط الحلبي ١١٤/١ .

(٥) أخذ بقوله تعالى «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» (التوبة — ١١١) .

(٦) نسبة إلى صحراء حروراء التى اعتزلوا فيها علياً ساعة التحكيم .

(٧) الأغاني : ط الوزارة ٢٣٧/٧ . وشعر الخوارج — ١٨٤ جمع د . إحسان عباس ط بيروت ١٩٧٤ م

المؤمنين ، والفرزدق شاعر الكافرين ، أنهم يزنون الشعراء بميزان الدين والأخلاق (١) ويرجع ذلك إلى تكوينهم وشعورهم الديني (٢) .

ونجد النقد اللغوي العلمي بجوار مامر بنا من ألوان ومقاييس نقدية ، وقد حذق هذا اللون طبقة علماء العربية ، وفي طليعتهم يحيى بن يعمر ، وعيسى بن عمر ، وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء وهؤلاء من تلامذة أبي الأسود الدؤلي .

وعلا شأن العلماء وهابهم الشعراء ، وحرصوا على تجويد صنعتهم حتى لا يتلمس العلماء فيها الخطأ اللغوي أو النحوي أو الموسيقى ، وهكذا فرض العلماء سلطانهم على الشعر والشعراء لسيطرتهم على الشباب المتعلم المتحلق حولهم في المساجد . ولتصدرهم مجالس الخلفاء والأمراء والقصور ، فلهم رأى مسموع (٣) .

يجيء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس فيسألهم ، ثم يقول : أيكم يونس ؟ فيقول الأصمعي : فأومأنا إليه ، فقال له : أصلحك الله ، إني أرى قوما يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر ، وقد قلت شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيدا أظهرته وإن كان رديئا سترته وأنشده قوله :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خَيَالَهَا .

فقال له يونس : يا هذا ، اذهب ، فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله (رَحَلْتُ سُمِّيَةَ غُدْوَةً أَجْمَالَهَا) فقال له مروان : سررتني وسؤتني ، فأما الذي سررتني به فارتضاؤك شعري ، وأما الذي ساءني فتقديمك إياي على الأعشى ، وأنت تعرف محله ، فقال : إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في شعر كله ، لأنه قال فيها (فأصاب حبه قلبها وطحأها)

(١) أحمد أمين : النقد الأدبي ط لجنة التأليف والترجمة — القاهرة ١٩٥٢ م ص ٤٢٩ .

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٣/٣٤٤ وانظر رأى د . سهير القلماوي في « أدب الخوارج » ط لجنة

التأليف والترجمة — القاهرة ١٩٤٥ م — ٤١ .

(٣) يقول الخليل بن أحمد لابن منادر « إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة أن قرظتكم ورضيت لكم نفقتكم ولا أكسرتكم » الأغاني ط الهيئة ١٨/ ١٨ .

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه^(١) .

وجاء رجل إلى خلف فقال : إني قد قلت شعراً أحببت أن أعرضه عليك ، فقال هات ، فأنشده :

رقد النوى حتى إذا انتبه الهوى .: بعث النوى بالهجر والترحال
ما للنوى جدّ النوى قطع النوى .: بالوصل بين ميامين الشمال

فقال له خلف : دغّ قولي واحذر الشاة ، فوالله لئن ظفرت بهذا البيت لتجعلنه بَعراً ، على أني ماظنت بك هذا كله^(٢) .

وسئل يونس بن حبيب عن قول ابن قيس الرقيات : مامر يوم إلا وعندهما لحم
رجال أو يالغان دما :.

فقال يونس : يجوز يُولغان ، ولا يجوز يالغان ، فقليل له : فقد قال ذلك ابن
قيس الرقيات وهو حجازي فصيح ، فقال ليس بفصيح ولأثقة ، شغل نفسه
بالشرب بتكرت^(٣) .

وابن أبي اسحق يتتبع سقطات الفرزدق ويخطئه ويلحّنه حتى يهجو الفرزدق ،
فيصحح له خطأه في الهجاء أيضاً^(٤) والأصمعي يقرأ على أبي عمرو بن العلاء
شعر النابغة الذبياني فما أن يبلغ في وصف الناقة .

مَقْدُوفَةٌ بدخيس النَحْضِ بآزْلُهَا .: لها صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْرِ بِالْمَسَدِ
يقول أبو عمرو : ما أضر عليه في ناقته ما وصف ، فقال له : كيف ؟
قال : لأن صريف الفحول من النشاط وصريف الإناث من الإعياء والضجر ،
كذا تكلمت العرب^(٥) .

(١) الأغاني : ط الوزارة ٨٢/٥ وتكرت بلدة مشهورة بين بغداد والموصل — ياقوت الحموي — معجم

البلدان المجلد الأول الجزء الثاني ص ٨٦١ ط ليزر ١٨٦٦م

(٢) المرزباني — الموشح — ٥٥٧ ، والجز : القطع

(٣) ابن سلام : الطبقات ١٦ .

(٤) المرزباني : الموشح ٥١ والدخيس اللحم المكتنز الكثير ، النحض : اللحم ، البازل : السن حين

تطلع ، الصريف : صياح من النشاط والفرح ، القعو : ما يضم البكرة إذا كانت من خشب ،

المسد : الحبل المفتول — إن الناقة من فرط سميتها كأنها رميت من اللحم الصلب بما شاءت ، وإذا

كانت كذلك فحسبك بها نشاطا .

وعاب رؤية بن العجاج أباه بالسناد — وهو اختلاف مايراعى قبل الروى من الحروف والحركات ، فقد أسس بيتا ولم يؤسس آخر فى قوله :

∴ يادار سَلَمَى يأسَلَمى ثم اسلمى ∴

ثم قال :

∴ بِسَمْسَمٍ أو عن يمين سَمْسَمٍ ∴

ثم قال :

∴ فَخِنْدِفٌ هامة هذا العالم (١) ∴

ونلاحظ أن العلماء قد عالجت الأدب فى عناصره الأصيلة — وهى أنْ حُسِبَتْ فى الموضوعية إلا أنَّها « موضوعية جزئية » ، ومَرَدُّها أن الناقد من هؤلاء العلماء كان يبحث فى شعر الشاعر عن الهنات التى كان يعرفهما ويحاول أن يصححها وفقًا لمقاييسه فى الناحية التى تَمَكَّن منها ، ولا يعنيه بعد ذلك شىء من البحث فى جو القصيدة أو فيما اشتملت عليه من المعانى (٢) .

وهكذا لم يُعَدِّ النقد مجرد خطرات أو انطباعات شخصية ، إنما أصبحت تتدخل فيه أطراف من الثقافات اللغوية والنحوية وغيرها .

ثالثا : الشام

والنقد فى الشام يختلف عن نقد العراق ونقد الحجاز ، فقد كان نقدا مرتبطا بفن كونه الظروف ، فالدولة ناشئة وتحتاج إلى من يؤيدها ، والشاميون لا يعرفون غير الأمويين ، والعراقيون لا يعرفون غير العلويين ، أما الحجازيون فيعرفون مَنْ معاوية ؟ وَمَنْ حرب ؟ كما يعرفون كيف أصبح الأمويون خلفاء .

وبيئة الشام لم تكن بيئة شاعرة كما كانت بيئة العراق (٣) فهم قحطانيون (٤) . اصطنعوا العربية الشمالية اصطناعا ، ولم ينشط بينهم سوى شعر السياسة —

(١) الموشح — ٦ و ٢٢ . سمس : موضع — وقالوا : إن رؤية اعتذر عن أبيه بأن لفته همز الألف فى نحو عالم ونخائم ، فلا عيب فى كلامه .

(٢) د . شوقي ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموى ٤٧ .

(٣) المبرد : الكامل ١/١٩٠ .

(٤) الأغاني : ط الوزارة ١٠/٨٢ .

سياسة الدولة حيال القبائل في الشام وحيال الأحزاب السياسية خارج الشام .
ولم يكن أمام الأمويين إلا تبني مذهب فني عقل جبري ، فهم أنفسهم لا
إرادة لهم في تولي الخلافة ، وإنما هي إرادة الله وعدله الذي جعلهم خلفاء على
أمتهم ، فعلى أمتهم الخضوع والاستسلام ، وبهذا الشكل احتاج الأمر لبعض الشعراء
الذين يكذبون على الناس بحفنة من المال .

أحسنّت الدولة استخدام سلاح الشعر والشعراء ، ولم يكن الأمر مقصوراً على
دعاة يقبعون بجوار الخلفاء ، بل انتشروا في أرجاء الأمصار الإسلامية ، ففي مكة
كان أبو العباس الأعمى ، وفي المدينة كان الأحموص ، وفي الكوفة كان عبد الله
ابن الزبير الأسدي ، والقطامي ، وأعشى تغلب وغيرهم من الشعراء الوافدين (١)
ودُعائهم هؤلاء يقررون دائماً حقهم ، وأفضليتهم في إرث النبوة .

اجتمع الناس عند معاوية حين انتهى أمر الشورى في الخلافة ، وقام الخطباء
لببيعة يزيد ، وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من عُذرة يقال له يزيد بن المقنع ،
فاختلط من سيفه شبراً ثم قال : هذا أمير المؤمنين ، وأشار بيده إلى معاوية ، فإن
مات فهذا ، وأشار بيده إلى يزيد ، ومن أبي فهذا ، وأشار بيده إلى سيفه ، فقال
معاوية : أنت سيد الخطباء (٢) . وأقول : بل هو أحد مُعلني سياسة الدول
الأموية .

وحين تكون هذه اللافتات هي واجهة الدولة الأموية ، فمن سيكون شاعرها
سوى رجل كالأخطل شاعر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان (٣) أو كجرير الذي
أضفى على عبد الملك وأولاده كل ما يضيفه الشيعة على أئمتهم من صفات
روحية (٤) .

وعندما يقود المدح فن القول فلا بد أن يتبعه النقد إلى هناك ، نقد يحدد
مصلحة الدولة بجوار مصلحة الفن ، وحينما يتسلق الشعراء ، سجيل الإغراب في

(١) د . شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ٩٨ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٣١٥/١ .

(٣) الأغاني : ط الوزارة ٢٨٨/٨ .

(٤) د . شوقي ضيف : التطور والتجديد ٩٩ دار المعارف — القاهرة ١٩٦٥ م .

المدح ، والإسراف في الرياء ، والإغراق في الكذب ، يَضِجُ عبد الملك ويصرخ
فيهم : يامعشر الشعراء تُشَبِّهُونَنَا بِالْأَسَدِ الْأَبْخَرِ وَالْجَبَلِ الْوَعْرِ وَالْمَلْحِ الْأَجَاغِ ، أَمَا
قَلْتُمْ كَمَا قَالَ كَعْبُ الْأَشْقَرِ فِي الْمَهْلَبِ وَوَلَدِهِ :

لَقَدْ خَابَ أَقْوَامٌ سَرَوًا ظَلَمَ الدَّجَى يَوْمُونَ عَمْرًا ذَا الشَّعِيرِ وَذَا الْبُرِّ
يَوْمُونَ مِنْ نَالِ الْغِنَى بَعْدَ شَيْبِهِ وَقَاسَى وَلِيدًا مَا يِقَاسَى ذَوُو الْفَقْرِ (١)

وكان عبد الملك يحب الشعر والتقريظ والمدح (٢) خليفة ، أما عريبا ، فله ذوقه
الأصيل وحبه الفطري للشعر ، يستجيشه اللفظ الموحى ، وتحركه الالتفاتة
المعبرة ، وتنطويه النخوة والعزة والخلال العربية الكريمة ، لذا ، اغتاز من الشعراء
الذين يريدونه أن يصدّق أكاذيبهم طلبا لنواله ، ومن أخباره الأدبية ما يدل على
سلامة وقوة حاسته النقدية التي أعانته على ملاحظة الكثير من عيوب الشعراء ،
فقرأه قد أخذ عليهم سَقَمَ الذوق ومجافاة كلامهم لمقتضى الحال وعدم البراعة في
الاستهلال استهل ذو الرمة قصيدته البائية بقوله :

مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ . . كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرِبُ ؟
وكانت عينا عبد الملك تسيلان ماء ، فغضب عليه ونحاه (٣) وعاب نبوء ذوق
جرير في قوله :

هَذَا ابْنُ عَمِي فِي دِمَشْقٍ خَلِيفَةٌ . . لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَى قَطِينَا
فقال عبد الملك : مازاد ابن المراغة على أن جعلني شَرَطِيًّا ، أما أنه لو قال :
« لَوْ شَاءَ سَأَقُكُمْ إِلَى قَطِينَا » لسقتهم إليه (٤) .

ومن أخباره أنه كان يتدخل أحيانا بتعديل مالا يحسن معناه ، روى المبرد أن
عبد الملك بن مروان أنشد بيت الاعشى :
أَتَانِي يَوْمًا رُنَى فِي الصَّبْرُوحِ . . لَيْلًا فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا

(١) الأغاني : ط الوزارة ٢٩٧/١٤ .

(٢) المصدر السابق وطبعته ٦٠/٨ وما بعدها في أخبار جرير والأخطل .

(٣) المرزبانى : الموشح ٣٧٤ ، وسريت المازدة أى سالت ، ومفريّة : مقطوعة على جهة الإصلاح وغيره
يقول : أفريت الشيء شققته .

(٤) الأغاني : ط الوزارة ٦٠/٨ . والموشح : ٢٠١٠ .

فقال : أساء ، ألا قال : هاتها (١) ، وذكر ابن قتيبة أن الأقيشر الشاعر
دخل على عبد الملك بن مروان وعنده قوم فتذاكروا الشعر ، وذكروا قول نصيب
ابن رباح :

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِّثُ فَإِنَّ أُمَّتُ . . . فَيَا وَيْحَ دَعْدٍ مِنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

فقال الأقيشر والله لقد أساء قائل هذا الشعر ، قال عبد الملك : فكيف تقول
لو كنت قائله : قال : كنت أقول :

تُحِبُّكُمْ نَفْسِي حَيَاتِي فَإِنَّ أُمَّتُ . . . أَوْ كِلَ بَدَعْدٍ مِنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

فقال عبد الملك : والله لأنت أسوأ منه قولاً حين تُوكِّلُ بها ، فقال الأقيشر :
فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين : قال : كنت أقول :

تُحِبُّكُمْ نَفْسِي حَيَاتِي فَإِنَّ أُمَّتُ . . . فَلَا صَلَاحَ دَعْدٍ لَدَى خُلَّةٍ بَعْدِي

فقال القوم جميعاً : أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم (٢) !

ولم يكن مجلس عبد الملك وحده هو الذي يرعى الشعر ، فقد كانت ثم
مجالس أدبية أخرى لخلفاء أمويين وأمراء ، ولاسيما مجلس أبناء عبد الملك الذين
نَهَجُوا نَهْجَهُ ، فالوليد بن عبد الملك كان يدعو الشعراء في مجلس يستمع بعضهم
إلى بعض وينقد بعضهم بعضاً ، كما كان يسهم هو في ذلك (٣) .

أما سليمان بن عبد الملك فقد دخل عليه نصيب وعنده الفرزدق ، فاستنشد
الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مدحاً له : فأنشده قوله يفتخر :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ . . . لَهَا تَرَّةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالعَصَائِبِ
سَرَّوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ . . . عَلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا . . . وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبٌ (٤)

(١) المرزباني : الموشح ٦٤ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤١٢/١ والخلة بضم الخاء : الصداقة .

(٣) انظر المرزباني : ٣٢ وما بعدها و ٣٣٧ ، والأغاني ط. الوزارة ٣٣٥/١٦ و ٢٥٩/٨ .

(٤) العصائب : هنا العمام ، أي أن الريح لشدها تنفض لي عمامتهم ، وغالب هو جد الفرزدق

فأعرض عنه مغضبا لفخره بحضرته ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ألا أنشدك
في رويها ماله لا يتضع عنها ، قال : هات ، فأنشده :

أقول لركب صادقين لقيتُهُم .: قفا ذات أوْشال ومولاك قاربُ
قِفُوا خبروني عن سليمان إنني .: لمَعْرُوفه من أهل ودان طالبُ
فَعَاْجُوا فَأَتُّوا بالذي أنت أَهْلُهُ .: ولو سكتوا أَثْنْتُ عليك الحَقَائِبُ
وقالوا عَهْدُناه وَكُلَّ عَشِيَّةٍ .: بأبوابه من طالب العُرف رَاكِبُ
هو البدر والناس الكواكب حَوْلُهُ .: ولا تُشْبِهُ البدرَ المضيءَ الكواكبُ

فقال له سليمان : أحسنت والله يانصيب وأمر له بجائزة^(١)، وحج سليمان
فلما قدم مكة أرسل إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال : أأست القائل :

وكم مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ .: ومن غَلِقَ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنِّي
وكم مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ .: وَإِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضُ كَالدَّمِي
فلم أرَ كَالْتَجْمِيرِ مَنظَرٌ نَاطِرٌ .: وَلَا كَلَيَْالِي الْحَجِّ أَقْتَلَنَ ذَا الْهَوَى

قال نعم ، قال : لا جرم والله لاحج مع الناس العام ، وأخرجه إلى الطائف
حتى قضى الناس حَجَّهُم^(٢) .

ولم يتخلف مجلس هشام بن عبد الملك عن مجلس أبيه وأخوته في الحفاوة
بالشعر والشعراء والمادحين منهم بخاصة^(٣) وكذا عمر بن عبد العزيز^(٤) .

ومن الطبيعي أن الأمر لم يكن وقفا على قصور الخلفاء ، فقد تشبه بهم الأمراء
والأثرياء وأقاموا المجالس الأدبية والمناقشات العلمية ، والشعراء أنفسهم كانوا

(١) الأغاني : ط الوزارة ٣٣٦/١ ، والأوشال : ج وشل وهو الماء القليل ، وفقا ذات أوْشال : أى وراء

ذلك المكان . والقارب : هو طالب الماء ليلا ، ويريد بالمولى نفسه والخطاب لسليمان بن عبد الملك .

(٢) المرزبانى : الموشح ٣١٩ ، أباء القاتل بالقتيل قتله به ، والمراد هنا فكم من قتيل يطل دمه ولا يؤخذ له

بشار ، وغلق الرهن فى يد المرتين : أى لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المناسب المشروط ، يريد

وكم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٨٧/٢ ، ٤٤٨/٤ والأغاني ٣٦٧/٧ والعقد الفريد ١٨٢/٦ و ٥٠/٤ :

والشعر والشعراء ٥٨٥/٢ .

(٤) الأغاني ٢٥٠/١ والعقد الفريد ٤٣/٤ و ٤٣٣ و ٤٣٥ و ٤٣٨ .

يجتمعون ويتناقشون في أعمالهم الأدبية (١) .

وبعد — فقبل أن أترك هذه العجالة ، أقول : إنني قَسَمْتُ الحديث عن النقد ونشأته إلى أقاليم حجازية وعراقية وشامية ، وتركت مصر مثلاً وذلك لبعدها عن التيار الأدبي ثم لروميته الشديدة ، ولعدم ظهور النزعات الأدبية على مسرحها لاسيما ونحن نؤرخ هنا لنقدٍ وَجَدَ إِبَّانَ تكوين الدولة الإسلامية ، والعراق والشام شديداً القرب من مراكز الإسلام مما شجّع اللغة والأدب على الانتشار السريع بالعكس من مصر وأشباهها من الأمصار الإسلامية .

ومن ناحية التقسيم ، فالمقصود به تركيز أضواء وليس البحث عن التفاصيل الدقيقة ، فالحجاز لم يكن موطن الغزل ، ولا كان العراق موطن الهجاء ، ولا كان الشام موطن المديح ، بل هكذا كانت شهرتهم ، فالمعروف أن جريراً كان أرق الثلاثي الهجاء نسيباً (٢) وأن الأحوص ونُصَيْباً وكثيراً رحلوا من الحجاز إلى الشام ومصر يمدحون (٣) وهكذا ارتحل كثير من الشعراء فليست ثم فواصل جغرافية ولا فنية ولكنها الشهرة .

(١) المبرد : الكامل ٣٣٢/١ .

(٢) الأغاني : ط الوزارة ٥/٨ .

(٣) ابن قتيبة ٤٧٤/١ .

الفصل الأول : ابن سَلَّام الجمحي

- أولا : عصره .
- ثانيا : حياته .
- ثالثا : نشاطه العلمي .

أولا :عَصْرُهُ

- أ — الحياة السياسية .
- ب — الحياة الاجتماعية .
- ج — الحياة العقلية .
- د — البيئة .

أولاً : عَصْرُهُ

أ — الحياة السياسية :

يبدأ العصر العباسي في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة ، ولا تتقدم به السنوات كثيراً حتى يدخل تاريخ النقد الأدبي العربي ، أبو عبد الله محمد بن سلام الجُمَحِي ، ميلاداً جديداً يكون له شأن ، ويهتم به النقد ويفسح له مكاناً فسيحاً بجوار أساطينه الكبار ، ويظل هذا الميلاد ذا أثر حتى تأتي السنة الحادية والثلاثين بعد المائتين ، إذ يهجم الموت على الناقد الذي يجر في أذياله العصر الذي عاش فيه بشتى جوانبه .

تُوفِّيَ ناقدنا — ابن سلام — في هذه السنة ، وانتهى العصر الذهبي للدولة العباسية أيضاً في هذه السنة أو كاد — وفيه بلغت الدولة الإسلامية قِمَّةً مَجْدَهَا في الثروة والحضارة والسيادة ، بعد أن دارت الدنيا دورتها وأدارت للأمويين ظهرها ، فأرغموا على ترك أريكة الخلافة إلى بني العباس ، ليدخل سُدَيْفُ الشاعر في مجلس أبي العباس وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك فيقول :

لَا يَغُرُّكَ ماترى من أناسٍ : إِنَّ تَحْتَ الضَّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
فَضَعَ السَّيْفَ وَارْفَعَ السَّوْطَ حَتَّى : لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويًّا (١)

وارتفع السوط فعلاً ، وهوى على سليمان ، كما ارتفع من قبل على كل أموي بالنسب أو بالولاء ، ثارت عليهم الدولة ، وكان الهدف أن تُسْتَأْصَلَ شَأْفَتُهُمْ ، فمن هرب نجا ومن لم يستطع قتل ومُثِّلَ بِجُثَّتِهِ ، حتى الأموات نالهم أذى البغي ، معاوية لم يجدوا فيه إلا خَيْطاً مثل الهَبَاءِ (٢) وعبد الملك وجدوه جمجمة ، ولم يجدوا له جثة كاملة غير هشام بن عبد الملك (٣) فَأُخِذَ وَضُرِبَ ، وَصُلِبَ وَحُرِّقَ ثُمَّ ذُرِيَ فِي الرِّيحِ ! ولم يكن العجب مِمَّنْ عَطِبَ كَيْفَ عَطِبَ ، وإنما العجب مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا ؟

(١) المبرد : الكامل ٣٥٤/٢ ، ابن المعتز : طبقات الشعراء : تحقيق عبد الستار فرج ط دار المعارف

سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٠ — ١٩٥٦ م ص ٤٠

(٢) ابن الطقطقي : الفخرى ط المعارف — الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٣٨ م ص ١٢٩ .

(٣) الدكتور أحمد الرفاعي : عصر المأمون ، ط دار الكتب — الطبعة الأولى — القاهرة ١٩٢٧ م ٨٩/١

وهكذا عاش أبو العباس السفاح يُقْلَمُ أظفار الدولة ، وجعل حياة الناس هَوْلًا وعذابًا وأحال الكوفة إلى أنهار من الدماء وتوفى (١٣٦ هـ) (١) .

ونَحَلَّهُ بعده أخوه المنصور ، ويُعْتَبَر المؤسس الحقيقي للدولة ، وقد أنشئت في عهده بغدادُ دار السلام وكان ذلك (١٤٥ هـ) (٢) .

وقد اقتضى بناء الدولة أن يترك المنصور خزانة رعوس فيما ترك ميراثا لابنه المهدي (٣) واقتضى أن يقتل المنصور أبا مسلم الخراساني القائد الذي تحمل تبعة بناء الدولة (٤) كما اقتضى هذا البناء قتال ابن عمه وولي عهده عيسى بن موسى ، لِيُقْتَلَ فيابغ لابنه المهدي كما اقتضى قتل عمه عبد الله بن علي (٥) .

وجاءت خلافة المهدي ، وكانت مرحلة انتقال بين مُعَالَاة المنصور وتقسفه وتقديره ، وبين الانطلاق والإسراف في عهد خلفائه (٦) خَفَّفَ الأمر على الناس فأنساهم عهد المنصور الذي أطلقوا عليه أبا الدوانيق (٧) لشدته في محاسبة العمال والصُّنَّاع على الحبة والدانق ، كما وُفِّقَ المهدي إلى القضاء على الزنادقة وغيرهم من الخوارج عليه ، وعلى الدين ، وتوفى (١٦٩ هـ) (٨) .

ثم تلاه المهدي ونلاحظ عليه اهتمامه بالتسليح وإعداد الجيوش القوية وتنكيله بالعلويين وتمثيله بالأمويين والخوارج والزنادقة ، ثم تخفيفه من غُلُوِّ تدخّل النساء في أمور الدولة (٩) .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٣/٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ط الحسينية — القاهرة — بدون تاريخ ٢٣٨/٩ .

(٣) الدكتور أحمد الرفاعي : عصر المأمون ١٠٠/١ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب : ط بولاق القاهرة ١٢٨٣ هـ ١٨٦/٢ .

(٥) المصدر السابق ١٩٣/٢ .

(٦) الدكتور الخربوطلي — المهدي العباسي : ط المؤسسة المصرية — القاهرة ١٩٦٣ م سلسلة أعلام العرب ٢٣٦ .

(٧) السيوطي : تاريخ الخلفاء — ط المدني القاهرة ١٩٦٤ م — ٢٥٩ .

(٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٥/٥ ، وانظر د . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام — ٤٢/٢ .

(٩) المسعودي : مروج الذهب : ٢٠٣/٢ وانظر د . حسن إبراهيم — تاريخ الإسلام ط ٧ — ٤٢/٢ .

وفي عهد الرشيد ، انطلقت الناس من عقاها وأفطرت بعد صومها ، أكلت وشربت ولهت وتمتعت بحياتها ، اطمأنت الدولة — إلى حد ما — للناس . فتركهم يعبون من متع الدنيا ، ورائدهم هرون الرشيد . الذي اجتمع له ما لم يجتمع لغيره . فوزراؤه البرامكة ، وقاضيه أبو يوسف ، وشاعره مروان ابن أبي حفصة ، ونديمه العباس بن محمد بن عم أبيه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أنه الناس ، وأعظمهم ، ومغنيه إبراهيم الموصلي ، وزوجه زبيدة بنت عمه أبي جعفر المنصور (١) .

واجتمع له المال من كل فج ، وملا الدنيا وشغل الناس ، وتعددت جوانب حياته حقيقة وخيالا حتى اقتربت من الأساطير ، وعندما أراد أن يوكل عهده لأبنائه جعل الأمر بين الأمين والمأمون والمعتصم بالترتيب (٢) .

ومن ثم انفتح الباب على مصراعيه بين العنصر العربي من الشعب الذي يتمسك بالأمين خليفة لعريته ، والعنصر الفارسي الذي يتمسك بالمأمون خليفة لفارسية أمه (٣) .

واندلعت الفتن والحروب وانتشر الفرع والرعب بين صفوف الشعب ولم تنته المأساة إلا بقتل الأمين (١٩٣ هـ) (٤) .

وعاد الرخاء على يد المأمون لما تحلّى به من عزم المنصور وتمسك المهدي وعروة الهادي (٥) .

وبعد أحداث كادت تقلب الدولة رأسا على عقب ، استتب الأمن ، أو قل استتب الأمر للعنصر الفارسي على العنصر العربي (٦) .

وحينما اقتربت أيام المأمون من النهاية ، كان العنصر الفارسي قد ضعفت شوكته ، فأضيف إلى قائمة الضعفاء ، وأصبح على الخليفة الذي سيتولى الأمر أن

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٢٨٦ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٢٩٠ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٧/٥ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٣٠٧ .

(٥) المصدر السابق ٣٠٧ .

(٦) الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ٨٩/٢ .

يستعين بغير العنصرين الهزليين اللذين اضمحلا ، وتوفي المأمون (٢١٨ هـ) (١) . وتولى الأمر بعده المعتصم وهو الذى استعان بالأتراك فى عهده ، وإلى أن أتى عهد ابنه الواثق كان الأتراك هم السلطة الفعلية فى الدولة ، ولقد توفى الواثق (٢٣٢ هـ) (٢) تاركا الدولة — أثرا بعد عين — للمتوكل ، وقبل هذه السنة بعام توفي ناقدنا العظيم أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحى وكان جمحيا بالولاء .

ب — الحياة الاجتماعية :

عاش ابن سلام فى هذا العصر مع هؤلاء الخلفاء رجلا من عامة الشعب ، يَشْغَلُهُ التراث العربى ، وهم فى قصورهم يشكلون له مجتمعاً واقتصادياته ، فقد ولد فى خلافة المنصور ، عاش خلافة المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق ، والمجتمع الذى عاش فيه ابن سلام كان مجتمعاً قد احتدمت فيه الاحتكاكات بين القديم والجديد بين التقاليد والتطور ، بين الجذور العربية الأصيلة والأصول الأجنبية الوافدة ، فاحتك الإسلام بالديانات والملل والنحل الأخرى ، واحتكت اللغة العربية باللغات الأخرى ، واصطدمت الآمال العربية بآمال الأمم المغلوبة على أمرها ، وأما النظم الاجتماعية العربية فحاربتها النظم الاجتماعية الفارسية والرومية وغيرها . وغلبت الدنيا الدين ، وهزم التطور التقاليد ، فانطلقت النفوس من عقائلها وحمل العباسيون والشعوب معهم — لواء الحضارة الفارسية ، فهيموها وهضموها فتمثلوها ، وعاشوها ، فى أبسط صورها وفى أعقدها .

وأصبحت قصور الخلفاء صورة لهذه الحضارة ومايجرى فى القصور من مراسيم وتقاليد وأوضاع نجدها فى صور مختلفة فى بيوت الأمراء والوزراء والعظماء والقواد ، كما نجده فى بيوت العامة ، بشكل من الأشكال .

فى هذا المجتمع الذى عاش فيه ابن سلام ، قلّت الحروب ، وتوافر المال ، فوجد الناس فضلا من الوقت فاندفعوا إلى ملذات الحياة المختلفة ، ومن ملاذها

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٩/٥ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٤٤ .

الغناء ، فَوُجِدَت المدرسة التى تعلم المغنيات وآداب المسامرة والمنادمة وفن الملابس والزينة واستخدام الزهور والعطور ، بل كيفية الجلوس والقيام والانحناء والتحية . ثم نلاحظ أيضا كثرة الحداثق والمتنزهات واهتمام الناس بالزهور وبألوانها ولغاتها وأثرها فى النفوس ، فصاروا يخرجون الى الحداثق ويعقدون منادماتهم فيها ويحتفون بالطبيعة ويقىمون المَهْرَجَانَت كعيد الفيروز ■ عيد الربيع » .

ولكثرة الشعوب المغلوبة ■ كَثُر الرقيق من إماء وعبيد ، وشكّلوا خطرا أخلاقيا ظهرت بواده فى قصور الخلفاء ، وفى بيوت الناس وحياتهم العامة والخاصة ■ فتقرأ عن باعة الرقيق وأسواقهم وتجمعاتهم ، وهؤلاء النحاسون فى الأسواق هم قَوَادُو بيوت إِقْيَان والحانات (١) .

وجود إِقْيَان مع تَعَدُّ الزوجات ، أَوْجَد الأحزاب النسائية فى البيت العربى ، من بيت رجل الشارع إلى قصر الخليفة ، ونتج عن هذه الخلافات والمشكلات وجود ظاهرة التجسس بشكل لم يسبق ظهوره من قبل فى البيت وفى القصر وفى الدولة (٢) .

وقد نزع فئة من الناس إلى نوع شاذ من اللهو والعبث ، وهو التسرى بالغلمان ، وانتشرت هذه الآفة بين بعض أبناء الخلفاء (٣) وبين بعض الوزراء (٤) والكبراء والشعراء (٥) والمغنيين وأفراد الشعب (٦) .

وأمام هذا التيار المستهتر ، قام تيار آخر يَصُدُّه على الرغم من أنه نتيجة له وصورة لرد فعله ، وهو تيار الزهد ، ولابد من ظهوره فى هذه الظروف بشكل يغيّر ما كان عليه فى عهد الرسول الكريم وما بعده من عصور ، فالناس أمام التيار المنحرف ، يثوب بعضهم إلى نفسه لهُول النتيجة المترتبة على التهالك على

(١) الجاحظ : ثلاث رسائل : ط المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٤ هـ (٦٥ وما بعدها) .

(٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء ٢١٨ وانظر السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٩٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٢١٥/١٠ ، ٢١٦ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ٢٥٦/٣ .

(٥) النويزى : نهاية الأرب ط دار الكتب — القاهرة ١٩٢٥ م (١/٤ — ٨٨) .

(٦) الراغب الأصبهاني : محاضرات الأدباء — ط المولىحى ١٢٨٧ هـ (١٤٣/٢ — ١٦٤) .

موائد الدنيا ، فينظرون إليها في احتقار ويهربون من بهارجها وفسادها إلى الكهوف ، أو المقابر أو يهيجون إلى الصحارى والجبال ليلوون على شيء .
فهذا إبراهيم بن أدهم ، يترك الحياة ويقبل على المجاهدة والكفاح والعمل بيديه مرتجزا :

تَخِيْبُ اللّٰهَ صَاحِبًا .: وَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا
وكان يلبس في الشتاء قروا ليس تحته قميص ، ولم يكن يلبس خُفَّين ولا عمامة
وكان يصوم في السفر والحضر ولا ينام الليل^(١) ومثله في هذا ، عبد الواحد بن زيد^(٢) وبشر بن الحارث الحافى^(٣) .

وزهد العصر العباسي قام صدى لتيار الانحلال الاخلاقي ، وقام أيضا — في رأيي — رد فعل لظلم اجتماعي عاش بين الناس ، فحينما يكون الخليفة هو الحاكم بأمره ، وأمره هذا قد يكون سعدا كله أو شقاء كله ، لا يدري من يطلبه الخليفة أسيعود إلى بيته أم سيُحمل إلى قبره ، في مثل هذه الحالة لا يُطمأن إلى عدالة ويخيل إلى أن الأمور الاقتصادية لم تكن تسير حسب عدل يصل إلى الفقراء في أكواخهم ، وإلى المعدمين في أعشاشهم ، كما تعود أن يصل إلى المترفين في قصورهم ، وأين العدل بجوار الإقطاع والسرف والترف وبجوار البذخ والتهالك المتفاني على اللذات بتلك الصورة التي تُجَابِهُهَا كلما قرأنا عن العصر العباسي ، بالإضافة إلى الحروب والفتن الداخلية وماتجره من ويلات — لاغربة أن ترتفع الأسعار ، ويظهر الغلاء ، وتزداد الشكاوى ، وتموج بين صفوف الناس في الشوارع وتتطاول إلى قصر الخليفة ، يصورها أبو العتاهية بقوله :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْإِمَامُ نَصَائِحًا مَتَوَالِيَةً إِنِّي أَرَى الْأَسْعَارَ أَسْعَارَ الرِّعْيَةِ غَالِيَةً
وَأَرَى الْمَكَاسِبَ نَذْرَةً وَأَرَى الضَّرُورَةَ فَاشِيَةً

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء : ط السعادة — القاهرة ١٩٣٢ م (٣٧٣/٧) .

(٢) المصدر السابق ١٥٥/٦ .

(٣) ابن الجوزي : صفة الصفوة — الطبعة الأولى — حيدر اباد ١٣٥٥ هـ (١٨٣/٢) .

الى آخر هذه الآيات (١) التي تفضح العصر هي وغيرها ...

ولماذا لا يكون الظلم الاجتماعى هو بعض السبب فى مأساة البرامكة ؟ حين شعرت بوطأة الحرمان بَعْضُ طبقات الشعب ، استجابت للدعاية التي أطلقها الفضل بن الربيع وحاشيته على البرامكة ، حيث أوهم الناس أن البرامكة الفرس يأكلون خيرات العرب وأموالهم ويتصرفون فيها بمشيئتهم سبعة عشر عاما . وقد قال المؤرخون أن سبب النكبة يحيى بن عبد الله بن حسن الشيعى الذى أدخل سبيله جعفر بعد أن أمره الرشيد بحبسه (٢) وقالوا ، السبب زواج جعفر للعباسة بنت المهدي — أخت هرون — سرا (٣) وقالوا : بل الموالي وحزب الموالي السبب فيما وصل إليه البرامكة من سلطان وتمكن من أمور الدولة (٤) فأرادوا أن يجعلوها فارسية الدين والدولة ، وقالوا بل استأثروا بالنفوذ والسلطان واستولوا على القرى والضيايع (٥) . وأنهم عواطفهم وتقاليدهم ايرانية (٦) وأنهم زنادقة (٧) وأنهم يضيقون على الرشيد فى الإنفاق ، ثم تَغَلَّبَ عليهم الفضل بن الربيع بدسائسه

وأقول — كل هذه الأسباب من الممكن أن تكون أسبابا — ولكن مايجب ألا نغفلها هنا هو أثر الظلم الاجتماعى فى بروز المشكلة بشكل جعل أذهان الناس مهينة لتقبل أى قول عن البرامكة ، هذا بجانب نظرية حب البقاء والاستمتاع بالسلطة التي كانت تدفع العرب للكيد بالفرس وزعزعة ثباتهم إذا ما تمكنوا من سلطان أو جاه أو مركز ، كما فعل السفاح مع ابن الخلال ، والمنصور مع أبى مسلم الخرساني ، والمأمون مع الفضل بن سهل وأخيه .

ولن نجد مأساة طاحنة ، هزت كيان المجتمع العباسي ، كمأساة الأمين

(١) أبو العتاهية : الديوان : تحقيق الأب شيخو — بيروت ١٩١٤م ص ٣٠٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٨٠/١٠ .

(٣) الطقطقى : الفخرى (١٨٥) .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ١٤/١ .

(٥) المصدر السابق : ١٤/١ .

(٦) نخبة من المستشرقين : تراث فارس ط الحلبي ١٩٥٩م (١٠١) .

(٧) الجاحظ : البيان والتبيين : تحقيق السندوني ط الاستقامة — الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٦م

والمأمون التي سببها عدم الوفاء بالوعد ، التي اشتهر بها الخلفاء العباسيون . فتكبد الشعب من جرّائها الولايات العظام ، صحيح . أن الأمر كان بين العنصر الفارسي والعنصر العربي ولكن بَعْدَاز ، بغداد وَسَطُ الدنيا وَسُرَّة الأرض سعة وكِبَرًا وعمارة (١) قد تحطمت تحت سنبلك الخيول المنتصرة والمنهزمة معا ، وأهلها الآمنون الوادعون عاشوا نكبة كنكبة البرامكة وأشد هولا ، فقد كثرت الوفود بين الأخوين واستغل المغرضون هذا التطاحن ، وَسَعَوْا لتنفيذ مآربهم ، ففشّت الفوضى في صفوف الأمين وضاعت الأرزاق . وَكَثُرَ الفقر عن أنيابه . وَغَلَّتْ الأسعار غلوا كبيرا ، وَعَزَّتْ الأقوات ، وَضَاعَ الأمن من النفوس ، حين نقب أهل السجون وخرجوا منها . وَفَتِنَ الناس ووثب على أهل الصلاح الدُّعَارُ والشُّطَارُ (٢) فانطلقت الغرائز لا تريمُ صلاحا وعاشت بغداد أسوأ فتنة ، لأنكذ خصام قام بين أخوين خليفتين .

ولم يكن هذا الشعب يتصور أن النعيم والرخاء الذي عاشه أيام المأمون سيدفع ثمنه مقدما حين يختصم الأخوان ، ومؤخرا حين يبتدع المأمون مشكلة خلق القرآن ، تلك المشكلة الفلسفية التي دارت رحاها بين الفقهاء والمعتزلة ، وأخذ الشعب منها نصيبه فعاش محنة المأمون بعد أن ذاق ختل الأمين .

وعلى الرغم من هذه الخطوب — كان المجتمع العراقي ببصريته ، وكوفته وبغداده مجتمع الرخاء والسعادة ، حقا كان يفقد الأمن حيناً ، ويفقد الهناء حيناً ، ويفقد القوت حيناً . ولكنه لم يفقد الأدب في حين من الأحيان ، ووجد الأدب طريقا له في كل الظروف اليسيرة والعسيرة ، حتى استطاع أن يقدم للأجيال اللاحقة أدبا يصحبه علم ومغهما فنُّ اقتات من موائده أجيال من العلماء ، لا يستطيعون له جَحْدًا .

(١) ابن رُسْتَه : الأعلاق النفيسة : ط ليدن ١٨٩١ (٢٣٣) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم ١٧٣/١٠ .

ج - الحياة العقلية :

والحديث عن العلوم والفنون في ذلك العصر لن يخرج عن الأطارين الاجتماعى والسياسى ، فليس هناك فواصل قاطعة بين هذه الجوانب ، إنما هى ، زوايا متعددة لصورة واحدة .

وإذا كانت الدولة الأموية قد تعصبت للعرب وللعروبة ، فأصبح الأدب الجاهلى في عصرها هو القدوة التى تحتذى ، فإن الدولة العباسية حين تعددت فيها العصبيات والأمم والشعوب والملل والنحل والآراء ، ضعفت العصبية العربية ، واندفع العرب إلى الشعوب المغلوبة يترجمون حضارتهم وعلومهم بلا أنفة ولا كبرياء ، انتصر العرب على الفرس عسكريا وانتصر الفرس على العرب أدبيا (١) بعد أن أعلن الخلفاء العباسيون ولاءهم الرسمى للفرس على لسان المنصور (٢) .

وانتصر التطور ، فكثر العمران ، وانتشر العلم لكثرة العمران (٣) وظهر جيل من الموالى سُموا بالأبناء أو الأحرار (٤) جمعوا بين ثقافة العرب وبين الأمم المغلوبة ، وساهموا في تقدم كثير من العلوم والفنون ، فطالعنا أسماء منهم كأبى حنيفة وحماد الراوية وخلف الأحمر وسيبويه والكسائى والفراء وغيرهم ، ساهموا في تقدم كثير من العلوم والفنون ، ولما تأسست بغداد انتقل إليها عِلْمُ المِصْرَيْنِ وأصبح العراق ينافس الشام وغيره من الأقاليم الإسلامية .

وإذا نظرنا إلى عرش بغداد وخلفائه ، نجدهم من الخلفاء المحبى للعلم (٥) فالمنصور كانت له دفاتر علم وكان شديد الحرص عليها حتى أوصى ابنه المهدي بها عند وفاته (٦) والمهدي روى الحديث (٧) وإبراهيم ابنه أول نابغ نبغ من بنى

(١) الدكتور طه حسين : حديث الأربعاء ١٧٤/١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ٣١٢/٩ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة : تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي ١٩٦٠م (٩٤٨/) .

(٤) ابن حزم الظاهري : الفصل فى الملل والأهواء والنحل : الأدبية ١٣١٧هـ (١١٥/٢) .

(٤) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩/٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل : الأزهرية - القاهرة ١٣٠١هـ ٧/٦ .

(٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٧١ .

العباس ثم من أبناء الخلفاء فى الموسيقى والغناء ، وله كتب فى الأدب والطب والغناء^(١) ، والرشيـد كان أكثرهم رغبة فى العلم والعلماء ، حافظا للشعر ، نقادا للشعراء ، وكان يحفظ شعر ذى الرمة حفظ الصبا^(٢) وحَدَّثَ عن أبيه وجدّه ومبارك بن فضالة وروى عنه ابنه المأمون^(٣) أما المأمون فكان وافر العلم غزير الاطلاع^(٤) .

وكانوا يحترمون العلماء ويجلونهم ، فالمنصور يطلب من عمرو بن عبيد أن يعظه^(٥) والرشيـد يصب الماء على يد أبى معاوية الضير وهو يغسل يده^(٦) ، والأمين والمأمون يتنازعان فى حمل نعال أستاذهما الكسائى ، وتقديما إليه^(٧) .

وهذا كتاب « طبقات الأطباء » ، حافل بمكانة الأطباء عند الخلفاء العباسيين على الرغم من اختلاف الدين — مما يدفعهم دفعا للإخلاص لهم فى العلاج ، وللإخلاص للعلم فى الطب ، وللإخلاص للنهضة فى التأليف^(٨) .

فالتطور والعمران والموالى وتنافس الأقطار الإسلامية والخلفاء العلماء — كل هذا انصهر فى بوتقة لمائة عام ونتج لنا العصر الذهبى للدولة العباسية .

وقد انتشرت بطبيعة الحال الكتب والمكتبات ، ولم يأت التطور إلا وبعض سببه الحركة العظيمة للترجمة والتأليف التى قادها أهل العراق والشام وفارس

-
- (١) ابن النديم : الفهرست (١٧٤) .
 - (٢) الأغاني ط الأميرية — القاهرة ١٢٨٥ هـ (٣٩/٥) .
 - (٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٨٣ .
 - (٤) د. هدارة — المأمون — ص ١١٤ وما بها من مصادر — أعلام العرب ٥٩ — ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .
 - (٥) المسعودى : مروج الذهب (١٧٣/١) .
 - (٦) ابن الطقطقى : الفخرى ١٧٠ .
 - (٧) ابن النديم : الفهرست ١٠٣ .
 - (٨) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء : ط الرهوية ١٢٩٩ هـ (١٢٤/١) ابن جليل : طبقات الأطباء والحكماء المعهد العلمى الفرنسى — القاهرة ١٩٥٥ م نشر مكتبة المثنى ببغداد — ٦٣ إلى ٨٣ الطبعة السابعة ، وابن النديم .

والهند^(١) وقد رَغِبَهُمُ الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم الرواتب والجواري وبالغوا في إكرامهم ، وأكثرهم من النساطرة والسريان وأشهرهم آل بختيشوع ، وآل حُنَيْن ، وحبيش الأعشم الدمشقي ، وقسطا لوقا البعلبكي ، وآل ماسرجويه اليهودي ، وآل الكرخي . وآل ثابت الحرّاني من الصابئة .

وهناك طبقة من النُقَلَة اشتغلت بنقل العلم أشهرهم بنو شاكر المنجّم محمد وأحمد والحسن . بذلوا الرغائب وأنفذوا حنين بن اسحق إلى ملك الروم فجاءهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقا والارتماطيقى والطب^(٢) ومن جملتهم حنين وثابت بن قرة ، وكانوا ينفقون خمسمائة دينار في الشهر للنقل والملازمة^(٣) .

واقتنى الناس المكتبات في منازلهم ، فأبو تمام حين منعه الثلج من مواصلة الرحلة من عند صاحبه الهمداني قال له : وَطَنُ نَفْسِكَ عَلَى الْبَقَاءِ ، إِنْ الثَّلْجُ لَا يَنْحَسِرُ إِلَّا بَعْدَ زَمَانٍ ، وَأَحْضَرُ لَهُ خِزَانَةَ كُتُبٍ فَطَالَعَهَا ، وَاشْتَغَلَ بِهَا^(٤) ، وأبو عمرو بن العلاء كانت دفاتره قد ملأت بيتا له قريبا من السقف^(٥) ، والأصمعي كان يحمل كتبه في ثمانية عشر صندوقا^(٦) ، والواقدي يخلف بعد وفاته ستمائة قمطر ، كُلُّ قَمْطَرٍ مِنْهَا حِمْلٌ لِرَجُلَيْنِ^(٧) .

وقد ظهر أثر هذه النهضة في المساجد وحلقاتها ، حيث كان المسجد الكبير معهدا للدراسة آنذاك . فمصر معهدا مسجد عمرو بن العاص ، والبصرة معهدا مسجد البصرة^(٨) وكانت حلقة أبي عمرو بن العلاء بالبصرة ينتابها

(١) ابن النديم : الفهرست من (٤٢٣ — ٤٣٥) .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٣/٢ .

(٣) ابن النديم : الفهرست (٣٥٣ وما بعدها) .

(٤) اليافعي — مرآة الجنان — ١٠٠/٢ ط حيدر أباد — ١٣٣٨ هـ .

(٥) الكتبي — فوات الوفيات — ١٦٤/١ ط بولاق القاهرة ١٢٨٣ م .

(٦) جورجى زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ١١٥/٢ .

(٧) ابن النديم — الفهرست — ١٥٠ .

(٨) الجاحظ — البيان والتبيين — ٣٧/١ و ٣٤٧/٣ .

طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب . ووفود البادية^(١) ، وكذا ابن الأعرابي وكان له مجلس يحضره زهاء مائة إنسان^(٢) ، والكوفة معاهدها مسجد الكوفة ، وكان الفراء يجلس للناس في مسجده إلى جانب منزله بالكوفة وأملى فيه كتابه « معاني القرآن »^(٣) ، وكذا المسجد الحرام وغيرها من المساجد الأهلية والعامية في البصرة والكوفة وبغداد ومصر وغيرها من الأمصار الإسلامية .

وفي هذه المساجد وحول تلك الخلقات ، وبعيدا عنها ، كانت المحاورات والمناظرات في شتى فنون العلم والمعرفة والأدب والنقد^(٤) .

ويجب ألا نغفل الورق وحوانيت الوراقين ، وقد ظهرت طائفة من أصحاب الحوانيت تستنسخ الكتب وتقوم بتجليدها منهم ابن أبي حريش وكان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون^(٥) ، وهذه الحوانيت من أهم المصادر الثقافية حيث تعود بعض العلماء اللغويين التردد عليها ، يتجادلون فيما بينهم في مسائل علمية .

ويتصل بهذا الباب أيضا ، رحلة العلماء من بلد إلى بلد ، ومن قطر إلى قطر طلبا للعلم^(٦) ، غير مباين بما يعترضهم من مشقة وعناء وفقير وعذاب .

في هذا العصر ظهرت أمهات الكتب في كل علم وفن ، ظهر مؤطاً مالك بالمدينة^(٧) وظهر « كتاب سيبويه » ، وشرح « المعلقات » التي دونها حماد الراوية ، « والمفضليات » التي دونها المفضل « والأصمعيات » التي دونها

(١) ابن النديم — الفهرست — ٦٩

(٢) المصدر نفسه — ١٠٨

(٣) البغدادى — تاريخ بغداد ١٥٢/١٤

(٤) الأغاني — ١٠٩/١٥ ط ساسى ، والمرزبانى — الموشح — ٤٤٥ ، والبخلاء للجاحظ ص ٣٠ تحقيق

د . طه الحاجرى ط ١٩٤٨ م القاهرة، والسيوطى — الأشباه والنظائر — ط حيدر آباد الدكن ، الجزء الثالث في أماكن متفرقة .

(٥) ابن النديم : الفهرست ٢٠ .

(٦) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى — ط الهلال ١٩٥٨ م (١١٣/٣) تحقيق الدكتور حسين مؤنس .

(٧) أحمد أمين : ضحى الإسلام ط لجنة التأليف والترجمة — القاهرة — الطبعة الثانية — ١٩٣٨ م (١/٢) .

الأصمعي . ومؤلفات الخليل بن أحمد وابن سلام والجاحظ ، ودُوِّنت كتب الحديث والفقه والتفسير وكتب العربية واللغة والتاريخ ، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون من صحف صحيحة غير مرتبة^(١) .

نعم لقد فتح العرب نوافذهم على كل الثقافات حتى الفلاحة والزراعة والتنجم والسحر والطلاسم اعتمدوا فيها على الأنباط أو الكلدان واعتمدوا في الكيمياء والتشريح على المصريين^(٢) . ورثوا هذا كله وفهموه ومزجوه بفكرهم وأخرجوه حضارة ، قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم^(٣) .

قلتُ : إن حدة العصبية قد خفت واندفعت العرب تلتهم ثقافة الدول التي خضعت لها فعرفت مذاهبهم ونحلهم وانحرافاتهم . فماجت الدولة الإسلامية بعدد من النزعات والاتجاهات لا يرضى عنها الدين ، فهب العلماء حيال هذا التدهور الديني الأخلاقي للذود عن الإسلام . وأشتهر من العلماء جماعة المعتزلة ، وقد كانت في بدء أمرها جماعة منافحة عن الدين ، ثم تطورت وتكونت لها مبادئ وانتمى لها علماء وانبرى لها خطباء يدافعون عنها .

وبجراهم وجد حزب الشيعة الذي تفرع عنه حزب الخوارج ، ومن الشيعة والخوارج رأينا أحزابا عديدة الأسماء والزعماء والآراء ، وكان طبيعيا أمام تيارى المعتزلة والفقهاء من جانب والمعتزلة والشيعة من جانب آخر أن يظهر الحزب الأقل غلوا في تقدير الوقائع ، والأخف في أحكامه ، والأوسع صدرا لقول المخالف في الجماعة الإسلامية^(٤) وهم المرجئة ، ذلك الحزب الذي أرجأ الحكم في قضايا الإمامة، وفتنة علي^ع ومعاوية^ع وعائشة وطلحة والزبير ، وغيرها من القضايا إلى يوم الفصل في الآخرة للحاكم العادل .

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٢٦١ .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٥/٢ .

(٣) المرجع السابق ٣٦/٢ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٣٠٨ .

ويأتى الشعر فى المنزلة الثانية بعد الدين وسيلة للدفاع عن النفس ونشر المبادئ ، لذا وجدنا أدبا لطائفة المرجئة وأدبا لجماعة المعتزلة وأدبا للشعبوية . وكل منهم قد أخذ بتأصية الشعر واتخذ له من الشعر ناصرا .

فالشيعية كان لهم حين الدولة الأموية ، الشاعر الكيسانى الكبير « كثير » ، بينما قد أكثر القول عن على بن أبى طالب وعن فضائله الشاعر الكيسانى العباسى الشهير "السيد الحميرى" الذى تفرغ لدعوة الشيعيين طوال حياته (١) .

ومثله فى ذلك منصور النمرى الذى مدح العباسيين ، ولكنه كان شيعيا إلى أقصى حد ، وقد طلبه الرشيد لقتله حين اتضحت له حقيقة اتجاهاته .

وأما عن المرجئة — وهم أقدم الفرق المذهبية فى الإسلام — فقد وصل إلينا مقتطفات يسيرة من الشعر المرجئى العباسى ، وأكبر داعية لهم آمن بفكرتهم وشرح مبادئهم هو ثابت قُطنة الأموى (٢) .

والحقيقة أن المرجئة رأت التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين حين تطور النزاع بين الأحزاب والطوائف وحلت تلك المشكلة الاجتماعية محل الخلاف على الإمامة (٣) .

ويلاحظ الأستاذ أحمد أمين أن مذهب المرجئة فتح بابا جديدا من أبواب الأدب وهو فلسفة العفو (٤) أى احتمال عفو الله حتى مع عدم التوبة والإكثار من المعاصى ، وقد لوحظ إيمان أبى نواس بالفكرة لينال عفو الله من آثامه المغموس فيها (٥) .

بينما أغنى المعتزلة الأدب من حيث المعانى وقوة العقل وسعة الذهن وتوليد الأفكار العقلية والنظر إلى الكون وإلى الطبيعة وإجراء التجارب عليها ، ودلالاتها

(١) الأغالى : ط وزارة الإرشاد القومى ٢٣٣/٧ .

(٢) الأغالى : ط الوزارة ١٤٨/١٣ .

(٣) فان فلهوزن : سيادة العرب والشيعية والإسرائيليات : ط السعادة ١٩٣٤ م (٦٤) .

(٤) أحمد أمين : ضحى الإسلام : الطبعة الثالثة ١٩٤٣ م (٣٢٨/٣) .

(٥) ديوان أبى نواس ط . القاهرة ١٩٥٣ (٢٥٩) .

على خالقها ، وغاصوا على المعاني غوصا ، ونقلوا الأدب من لفظ رشيق إلى معنى عميق ومن عبارات جملة منمقة إلى موضوعات واسعة مسهبة ، وبعد أن كان الأدب نُحْلُوا من الموضوع جعلوا له موضوعا ، فمن موضوعه الحيوان والبخلاء والإماء والقيان والتجار والمعلمون إلى غير ذلك من موضوعات لم تكن في الأدب قبل المعتزلة ، ووجهوا الذهن وجهات لم تكن قبلهم (١) .

ولهم الفضل الأكبر في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام وعلم البلاغة وعلم الجدل والمناظرة ، كما أنهم كانوا المنفذ الذي دخل منه فلاسفة المسلمين إلى الفلسفة اليونانية .

وهم الذين صدوا هجمات الشعوبية الفكرية ، ولم يكن المفسرون بمستطعي الرد عليهم ، لأن سلاحهم كان النص الديني فقط ، أما المعتزلة فقد جعلوا سلاحهم مكونا من النص الديني والفلسفة ، يؤازرهم في مهمتهم البيان العربي ، فقدموا للإسلام أجل الخدمات التي تقدم في مثل هذه الظروف .

وبعد : فهذه صورة من حياة العصر العباسي العقلية ، التي قامت أساسا على الترجمة والتأليف والحرية الفكرية العلمية .

د — البيئة (٢) :

في العصر العباسي كانت هناك بيئات متعددة — كانت الكوفة والبصرة والحجاز والشام ومصر والمغرب وغيرها ، لكل بيئة طابعها الخاص جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا ، وهي في ذات الوقت تعيش أفكار ومبادئ ، ومثل العصر ،

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٣/٣١٤ .

(٢) رجعنا في حديثنا عن البصرة العباسية بيئة لابن سلام الجعفي إلى المراجع الآتية :

أ — البلاذري : فتوح البلدان — ط ليدن بدون تاريخ فصل « تمصير الأمصار » (٣٤٦ — ٣٧٢)

ط القاهرة ١٩٠١ (٣٥٤ — ٣٨٠) تمصير البصرة .

ب — الحموي : معجم البلدان : ط بيروت ١١٥٥ م (٧٧/١) .

ج — ابن خردادبه — المسالك والممالك — ط دي غوية ١٨٨٩ في مواضع مختلفة .

د — ابن قتيبة : المعارف — المطبعة الإسلامية الأزهرية — مصر ١٩٣٤ م تحقيق محمد إسماعيل

الصاوي — انظر « فصل البصرة وساجدها وأنهارها ص ٢٤٥ ، ٢٤٨ » .

أمويًا كان أو عباسيًا وهكذا ولا انفصام ، وعامل التأثير والتأثر مستمر ، ولكن الكوفي العباسي لابد أن يختلف عن الحجازي العباسي وعن المصري العباسي ، عن الدمشقي العباسي ، لارتباط كل منهم بظروف بيئته في حين يشتركون في كونهم عباسيين ذوي ملامح متشابهة وبصمات متقاربة ، ويكادون يكونون وجهًا واحدًا مصمتًا لاتعرجات فيه .

والحديث عن العصر يعنى الحديث عن البيئة في الشكل العام بينما الحديث عن البيئة يعنى مدى تطبيق الأفكار العامة للعصر نفسه في منطقة معينة ، وكيفية تشكل أهله بمبادئ هذا العصر وأفكاره ، وابن سلام بصرى عباسي ، تأثر ببصريته كما تأثر بعباسيته ، ثم نجح في تمثيل هذين الوجهين المتقابلين للعملة الواحدة التي هي القرن الثاني ، نهايته ، والثالث مطلعها .

وببصرة التي عاش فيها ابن سلام بلد قديم ، ويقال إن اسمها بالفارسية « كان بسى رآه » أى الطرق الكثيرة ، وأنه في قدمه كان يحمل اسمًا قريبةً منه التسميتان الفارسية والعربية ، وأنه عاش حتى الفتح الإسلامي ، وببصرة تقع في الإقليم الذي يقع على الخليج الفارسي ويصل ذلك الخليج وماوراءه بالعراق ومايليه . وهذا الإقليم قد تعرض لكثير من المؤثرات ، ولصنوف مختلفة من الثقافات ، يمكن ردّ كثير من الصفات العقلية إليها — تلك التي امتازت بها ببصرة وفارقت بها نظراءها — كما يمكن أن يفسر بها ذلك النشاط العقلي المبكر الذي ظهرت به هذه المدينة في الإسلام .

ومن هذه الأجناس وثقافتهم ومن طبيعة الحياة التجارية التي تتطلب الواقعية والسرعة والذكاء وسعة الافق تكونت العقلية البصرية والمزاج البصرى .

== هـ — دائرة المعارف الإسلامية مادة بصرة (٦٦٩/٣) .

و — الدكتور طه الحاجري : الجاحظ : حياته واثاره ط دار المعارف — القاهرة ١٩٦٢ م (١٦ — ٧٧) .

ز — الدكتور أحمد كمال زكى : الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ط دار الفكر — دمشق ١٩٦١ م (١٩ — ١١٣) .

ح — عبد الحليم عباس : أبو نواس ط دار المعارف — القاهرة — الطبعة الثانية .
ط — الدكتور صالح أحمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول ط المعارف — ١٩٥٣ م وبخاصة الفصل الثاني بعنوان « العبيد » الفصل الثالث بعنوان « الأعاجم » ص ٥٠ — ٨٦ .

ومن وجود الثقافة اليونانية وفلسفتها وجدت المسيحية متنفسا وازدهرت توأ في الأهواز وفي إقليم البصرة التي كان يدعى ميسان — ولم يكذ يشعر المسيحيون هناك بالاستقرار ، حتى أخذوا يبشرون بالدين الجديد ، فتعرضوا لاضطهاد الدولة وللتنكيل بهم إما دفاعاً عن الدين الزرادشتي للدولة وإيمانكاية في الرومان ، هذا بجانب هجوم اليهود عليهم ، فاضطر زعماء المسيحية أن يدافعوا عن أنفسهم ويدخلوا في أنواع من الجدل والمناظرة مع خصومهم ، فلم تسترح المسيحية بمعسكرها الجديد في إقليم البصرة مع الأديان التي توطنت فيه قبل مجيئها ولم يتوقف الأمر على هذا ، فقد ظهرت مذاهب دينية متفرعة من الزرادشتية متأثرة بالفلسفة اليونانية كالمانوية والديصانية والمرقيونية والطيطانوسية ، فنهض زعماء المسيحية يتعقبونها ويعارضونها وينظرون ادعاءاتها ، واستطاعت الفلسفة اليونانية أن تجد تربة صالحة تفرخ فيها وجوا صالحا تنفس فيه ، وافتتح أمام المسيحية والمسيحين باب ثالث للجدل والصراع ، وهو مشكلة طبيعة المسيح وصلتها باللاهوت والناسوت والصفات الملازمة لهذه الطبيعة — وهي مسائل شديدة الصلة بأبحاث ماوراء الطبيعة ، فانقسم المسيحيون على أنفسهم مذاهب ، فصاروا يجادلون اليهود والزرادشت ثم يتحولون إلى المانوية والمزدكية وأضرابهما ، وعندما يستريحون ، ينقلبون على أنفسهم يتناقشون في اللاهوت والناسوت .

ثم أصبحت البصرة مدينة إسلامية تمثل الدين الجديد ، وغلب عليها العربي الفاتح ، ونشطت حياتها التجارية كما كانت ، وأصبحت — كما يقول اليعقوبي — مدنية الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها ، ويشير ابن حوقل إلى أنها كانت حلقة اتصال بين الشرق والغرب حين يتحدث عن طرق التجارة .

وقد عرفت البصرة منذ أول عهد المسلمين بالغنى الواسع والثراء العريض ففي الأيام بعد الفتح وفد على عمر أحد أهلها أنس بن حجة ، فسأل عمر : كيف المسلمون ؟ فقال له أنس : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يهيلون الذهب والفضة .

وقد نتج عن مركزها التجاري هذا يسر في الحياة، ورخص في الأسعار، وكثرة في البضائع، وازدياد في الطلب . ومن الطبيعي أن يقسم العرب البصرة وغيرها من

البلدان التى ينبونها إلى خطط لكل قبيلة خطة ، ومن ناحية انهارها الكثيرة فقد شك فى عددها ابن حوقل ، فزارها وشاهد العدد الضخم منها ويقول « فرما رأيتُ فى مقدار رمية سهم عددا من الأنهار صغار تجرى فى كليها زوارق صغار ولكل نهر اسم ينسب إلى صاحبه الذى احتفروه أو إلى الناحية التى يصب فيها » ثم يقول « ولها نخيل متصلة من عبدس الى عبادان نيفا وخمسين فرسخا متصلة ، لا يكون الانسان بمكان منها إلا وهو فى نهر من نخيل أو يكون بحيث يراها » .

وكثرت فيها المنتزهات والعمائر والمساجد ، وكفى بمريدها شهرة ، ذاك الذى دخل تاريخ الأدب العربى . فقد كان المريد مكانا لالتقاء جرير والفرزدق والأخطل والراعى وعمر بن لجأ وغيرهم يتناطحون ويتنابدون ويتهاجون ، أما حين زالت الأموية أصبح المريد غرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ولكن ليأخذوا عن أعرابه اللغة وغريبها والأدب وعجائبه ، فيخرج إلى المريد بشار وأبو نواس وأمثالهما كما يخرج اللغويون يأخذون ما يأخذ الشعراء وأكثر ، ويدونون ما يسمعون ، يحكى القالى أن الأصمعى قال : جئت أبا عمرو بن العلاء ، فقال : من أين أقبلت يا أصمعى ؟ قلت جئت من المريد قال : هات مامعك . فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحى ، فمرت ستة أحرف لم يعرفها فخرج يعدو الدرج ، وقال : شمرت فى الغريب : أى عليتنى (١) .

فالنهضة التى نهضتها العلوم والفنون ، وحركة الترجمة والتأليف الكبرى وتشجيع الخلفاء والعلماء واندفاع الأفراد إلى الثقافة والعلم وهم يرتشفون من مناهلها سواء فى المساجد أم فى القصور الخاصة أم المكلية أو المنتزهات — كل هذه الينايع أثرت فى بيئة البصرة فخرج منها العلماء والشعراء والكتاب والفقهاء والمحدثون . وعاشت معارك فكرية رائعة فى داخلها وفى خارجها .

واكتظت مجالس العلماء بالمريد وازدهمت المساجد بالحلقات الدراسية وانتشرت الندوات والمحاورات والمناظرات حتى لقد أصبح للمناظرة شهوة تسيطر على بعض الأفراد لا يستطيع منها فكاكا .

(١) القالى : الأمل (٢٨٥/٣) بولاق — القاهرة ١٣٢٤هـ

وقد مر بنا أن المسيحية كانت تخوض معارك فكرية جدلية بينها وبين المانوية والديسانية وغيرها . ثم بينها وبين اليهودية ، ثم بينها وبين نفسها ، وأخيرا دخل عنصر رابع وهو الإسلام ، فازدادت حلقات المناظرة والجدل على المسيحيين حين تصدى لهم علماء المعتزلة يناقشونهم قضاياهم ويستعملون الفلسفة اليونانية التي آمن المسيحيون المناقشة بها من جانب علماء الفقه ، فقام عنهم المعتزلة بالمهمة خير قيام .

وقد ارتحل العلماء البصريون إلى بغداد التي بنيت سنة ١٤٥ هـ كما فعل مثل ذلك الكوفيون وغيرهم . انثالوا على بغداد عاصمة المملكة الإسلامية وعاصمة المال والجاه والأدب والثراء . وقد كان منها من اللغوين والنحاة : عيسى بن عمر الثقفي ، وأبو عمرو بن العلاء ، وأبو الخطاب الأنخفش ، والخليل بن أحمد ويونس ابن حبيب وسيبويه واليزيدي والنضر بن شميل ، وقطرب والأنخفش الأوسط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو زيد الأنصاري ثم ابن سلام الجمحي الذي تركها سنة ٢٢٢ هـ وسافر إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٢٣١ هـ .

وبجوار هذا الجيش وجد رواة وأدباء ومؤرخون ومحدثون ومفسرون وجنود في مختلف ألوان المعرفة .

هذه هي البيئة الفكرية التي كان يعيش فيها ابن سلام ، ظروفها الخاصة بها تجعلها صورة للعصر كله اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وفكريا .



ثانياً : حياته .

أ - بنو جمع .

ب - قدامة بن مظعون .

ج - مولده ووفاته .

د - سَلَامُ الجمحى « الأب » .

هـ - عبد الرحمن بن سلام « الأخ » .

و - عون بن محمد بن سلام « الابن » .

ز - أبو خليفة الفضل بن الحباب « ابن الأخت » .

أ - بنو جمح

هم موغلون في القدم إيغال قضاة وجنادة وريعة ومضر ، فهم عرب صليبة ، وهم بطن من قريش من العدنانية^(١) وجدهم كعب ، وهو سابع أجداد الرسول الكريم^(٢) وكان عظيم القدر عند العرب ، ولذا أرخوا بموته إلى عام الفيل ، ثم أرخوا بالفيل^(٣) ، وقد نزل أولاد فِهر مكة عن طريق جد الرسول الرابع - قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر^(٤) وهو الذي تسمى بالقرشي^(٥) .

فبنو جمح عرب عدنانيون مضر يون قرشيون مكيون أبناء عمومة لفرع النبي الكريم حيث يلتقون وإياه عند كعب بن لؤي الذي من ولده مُرة وعدى وهُصَيص ، ومن هُصَيص نشأ فرع بني جمح .

وكما يحدث أن تختلف الأسرة الكبيرة ، وينحاز كل رئيس فرع منها بأبنائه لأحد جانبي الخلاف ، أو يتحيد ، حدث بين عبد الدار بن قُصَي وبين عبد مناف بن قُصَي ، رهط النبي ، وكان سببه الكعبة وشئونها ، وكان بنو جمح مع بني عبد الدار^(٦) ومن ثم كادت الحرب تكشر عن أنيابها بين القبائل بعد أن تحالفوا عند الكعبة على ألا يتخاذلوا ، ولا يستسلم بعضهم بعضاً ، ولكنهم تداعوا للصالح على أن

(١) القلقشندي : نهاية الأرب ط بغداد ١٢٣٢ هـ (١٨٣) ، تاج العروس (١٣٢/٢) ، لسان العرب (٢٥/٣) أبو الفدا - المختصر (١١/١) .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى - لجنة الثقافة الإسلامية - القاهرة ١٣٥٨ هـ ٣٦/١ .

(٣) البلاذري - تحقيق محمد حميد الله - ط المعارف ١٩٥٩ م (٤١/١) والقلقشندي نهاية الأرب ٣٢٩ .

(٤) ابن سعد - الطبقات (١٣١/١) ، ابن هشام : السيرة - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ط حجازي القاهرة ١٩٣٧ م (١٣١/١) ، وانظر السيرة ط الحلبي ١٩٣٦ م (١٣٨/١) ، البكري : معجم ما استعجم : تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٥ م (٨٩/١) .

(٥) ابن سعد : الطبقات (٥/١) ، ابن كثير : البداية والنهاية - الطبعة الأولى ٢١٠/٢ و ٢١١ .

(٦) ابن سعد : الطبقات (٥٦/١) ، ابن هشام : السيرة (١٤٣/١) ط الحلبي تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شليبي سنة ١٩٣٦ م (١٣٩/١) ابن الأثير - الكامل : ط بولاق القاهرة ١٣٧٤ هـ (١٦/١) .

تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف والحجابه واللواء ودار الندوة لبنى عبد الدار كما كانت ، ففعلوا (١) .

وهكذا توارث بنو جمح السؤوذ والرفعة منذ بزوغ المجد العربى المؤثل وارتفاع شأن قريش الأباطح على مختلف القبائل العربية ، فيحفر خلف بن وهب الجمحى بئر السنبلة لشرب الحجيح كما فعلت سائر قريش (٢) .

وقد وقف بنو جمح موقفًا غريبًا من الإسلام لم يؤيدوه جملة ولم يعارضوه جملة ، أيدوه فأحسنوا التأيد وعارضوه فلجّوا في المعارضة ، وكادوا له كما لم يكيدوا له للإسلام .

ومن أشهر من تعرض للنبي بالإيذاء من الجمحيين أبى بن خلف بن وهب الجمحى ، كان يكيد له ويحيىء بَعْظَم حائل ويظل يَفْتُهُ وينفخه فى الريح نحو الرسول ويقول : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، فيقول الرسول : نعم ، أنا أقول ذلك ينبعثه الله وإياك ، بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار (٣) .

ومثله فى الإيذاء والكيد للإسلام ، أخوه أمية بن خلف الجمحى لعين رسول الله (٤) وفر مع عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبى سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب وغيرهم ليفرضوا له مالا من أموالهم علّه يتوب عما فيه ويعود إلى مألوق آباءهم عليه عاكفين .

ومثلهما فى الضلال صفوان بن أمية الجمحى ، وأحدثاه مع الرسول تناقلتها كتب التراجم والمغازى والأدب ، فقد قنطّر فى الجاهلية إلى أن صار له قنطار من

(١) ابن سعد : الطبقات (٥٧/١) ابن هشام : السيرة (١٤٤/١) وانظر ط الحلبى ١٤٠/١ .

(٢) ابن هشام السيرة (١٦١/١) ط الحلبى ١٥٦/١ البكرى : معجم ما استعجم ٧٢٥/٣ .

(٣) ابن هشام : السيرة ٣٨٥/١ وط الحلبى ٣٨٧/١ ، ابن سعد : الطبقات ١٨٥/١ البلاذرى : أنساب الأشراف ١٣٧/١ ، السيوطى : أسباب النزول ط مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطباعة والنشر ،

القاهرة ١٩٦٣م — (١٤٥ - ١٤٦) .

(٤) ابن سعد : الطبقات (٦٢/٣) البخارى : الصحيح ط مطابع الشعب — القاهرة ١٩٧٨ هـ

(٦٩/١ و ٥٤/٣ و ١٢٧) .

الذهب وكذا أبوه^(١) وكان ممن يطعمون الطعام وينادون إليه في كل يوم^(٢) وقد تألفه الرسول الكريم وكان يمنحه مائة من الإبل ساعة تقسيم الغنائم^(٣).

وقصة كيدته للإسلام مع عمير بن وهب الجمحي الذي كان شيطاناً من شياطين قريش بمكة وإحباط الرسول الكريم مؤامرتيهما ، وإسلام عمير ، قصة مشهورة^(٤) ، وحين ضاق الرسول بمكائد صفوان له وللدين نفَسَ عن بعض نفسه ملاقاه يوم أحد قائلاً : اللهم العن سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت الآية الكريمة « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » [سورة آل عمران — ١٢٨] .

ونلاحظ ظاهرة في هؤلاء الجمحيين ، أن الذين كادوا منهم للإسلام حيناً لم يصبهم قتل بدر أو غيرها من المغازي أو السرايا ، أسلموا ، وبدت منهم آيات رائعات في الدفاع عن الإسلام ، فحين أسلم صفوان بن أمية الجمحي حسن إسلامه وروى الأحاديث^(٥) وكان له نصيب في موقعة اليرموك (١٣ هـ)^(٦) وعمير بن وهب الجمحي — الذي حرز جيش المسلمين للكفار وشهد بدرًا كافرًا ، حين أسلم حسن إسلامه وعرض على الرسول الكريم أن يقوم ويدعوها

(١) ابن عساكر : تهذيب تاريخ ابن عساكر ط روضة الشام ١٣٢٩ هـ (٤٣٢/٦) . الذهبي : سيرة أعلام النبلاء : ط معهد المخطوطات العربية بالاشتراك مع دار المعارف — القاهرة ١٩٥٧ م (٤٠٨/٢) .

(٢) الذهبي : سيرة أعلام النبلاء (٤٠٨/٢) .

(٣) ابن سعد : الطبقات (٢٠٣/٣) ابن هشام : السيرة ١٤٠/٤ وط الحلبى ١٣٦/٤ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥٥/٣ وط بريل — ليدن تصحيح ادور سخو ١٣٢٥ هـ (١٤٦/٤/١) ابن هشام : السيرة ٣٠٦/٢ ، ٣٠٧ ، وط الحلبى ٣١٦/٢ ، ٣١٨ ، الطبرى : ٢٩٤/٢ - ٥١٤ .

(٥) ابن عساكر : تهذيب تاريخه ٤٢٩/٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٠٦/٢ الترمذى : الصحيح : بشرح ابن العرى الطبعة الأولى ١٩٣١ م (١٣١/١١) .

(٦) انظر مسند احمد بن حنبل ط الحلبى سنة ١٣١٣ هـ ٤٦٤/٦ وما بعدها ابن عساكر تهذيب تاريخه ٤٢٨/٦ ، ابن الذهبي : الكاشف في أسماء رجال الكتب الستة والسنن الأربعة مخطوط بالمكتبة العامة بالاسكندرية تحت رقم ٥٨١٦ جـ ورقة ١٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٠٥/٢ ، ابن سعد : الطبقات ٣٣٢/٥/٢ ، ابن القيسراني : الجمع بين الصحيحين : الطبعة الأولى ط حيدر آباد سنة ١٣٢١ هـ ٢٢٤/١ .

للإسلام ويؤذيها كما كان هو يؤذى المسلمين في دينهم . وسمح له الرسول فذهب
وقام بدور المبشر والمصلح والنبى ، وأسلم على يديه ناسٌ كثير (١) وجميل بن معمر
الجمحى ، أنم قريش ، كان من مهاجرى الحبشة (٢) .

هؤلاء في جانب ، أما المصنفون إسلاما وقلبا فعديدون ، منهم أبو محذورة ،
أوس بن معير بن لوزان الجمحى ، مؤذن الرسول (٣) والحارث بن حاطب ابن
الحارث الجمحى ولد بأرض الحبشة هو وأخوه محمد (٤) ومن أوائل ممن تسمى بهذا
الاسم بعد الرسول (٥) وحطاب بن الحارث الجمحى وأخوه من مهاجرى الحبشة
أيضا (٦) وكذا السائب بن مظعون وأخوته عبد الله وعثمان وقدامه ابنا مظعون
كلهم مهاجرون بدريون (٧) وغيرهم عديدون (٨) يعدون من حملة ألوية الإسلام
الأوائل المنافحين عنه المكافحين أعداءه ، رحمهم الله .

وأما الذى شغل المؤرخين — من بنى جمع — لورعه ومكانته فى الإسلام فهو

(١) ابن هشام : السيرة ٣٠٦/٢ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ٢٤٧/١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢/٥/٢٣٢ ، البخارى : التاريخ الكبير : الطبعة الأولى : ط حيدر آباد
١٣٦٠ هـ (١٦٣/١/١) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ط دار
المعارف ١٩٦٢ م (١٦٢) البلاذرى : أنساب الأشراف ٥٢٧/١ ، البغدادى : سبائك الذهب
٦٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/٣١٨ ، القلقشندى : نهاية الأرب ١٨٣ ، ابن دريد : الاشتقاق
١٣٤ ، البخارى التاريخ الصغير : الطبعة الأولى طبعة الهند ١٣٢٥ هـ (٥٥ ، ٦٢) — ابن ماجه
السنن : الطبعة الأولى ٢٥/١ المطبعة العلمية ١٣١٢ هـ ، أبو داود المسند : الطبعة الأولى ط حيدرآباد
١٣٢١ هـ ، النووى : الطبعة الأولى ط حيدرآباد ١٣٢١ هـ ، النووى : تهذيب الأسماء واللغات : ط
المنيرة — القاهرة — بدون تاريخ ٦٦/١ .

(٤) ابن سعد : الطبقات (١٤٧/٤/١) ابن عبد البر : الاستيعاب : ١٨٥/١ .

(٥) ابن حزم : الجمهرة (١٦٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ١٣٦٨/٣ .

(٦) ابن حزم : الجمهرة ١٦٢ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : ٤٠٠/١ .

(٧) ابن سعد : الطبقات ١/١٨٩ ، ابن هشام : السيرة ١/٢٦٩ ، ١/٢٧١ ط الحلبي ١/٢٧٠ ،
١/٣٤٥ ، البخارى : التاريخ الصغير ١١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : ٥٧٥/٢ ، ابن حزم :
الجمهرة ١٦١ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ١/٣/٢٨٨ ، ٢/٤/١٤ ، ابن هشام : السيرة ٢٧١ وما بعدها ١/٣٥٠ ، و ط
الحلبي ١/٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ١/٣٤٥ ، العسقلاني : تقريب التهذيب : ١٨ ، ١٩ ، ١٥٩ ، ١٢٣ .

عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي ، إذ علا شأنه وصلاح أمره وكان له مع الرسول الكريم أمر وأمور :

فقد أسلم قبل دخول النبي الكريم دار ابن أبي الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها وكان قبل إسلامه قد حرم الخمر في الجاهلية وتزهد وهام بالإسلام حباً فأراد أن يختصم ويسيح في الأرض ، وقد أهمل زوجته التي اشتكت لأمهات المؤمنين فتألم الرسول وذهب إليه في بيته وقال له : « إن الله لم يبعثني بالرهبانية » .

وعثمان هذا قد هاجر الهجرتين وشهد بدرا وخرج مسلماً إلى أرض الحبشة ثم عاد مع من عاد منهم ، وكذا ابنه السائب وأخوه قدامة وعبد الله ابني مظعون (١) ، ولكنه عندما رأى البلاء الذي يُذاقه أصحاب الرسول استنكف من الحماية التي تحميه ، فأخذه الوليد بن المشني وانطلقا إلى المسجد ، وقال الوليد : هذا عثمان ، قد جاء يرد عليّ جوارِي : قال : صدق ، وقد وجدته وفيها كريم الجوار ، ولكنني قد أحببت ألا أستجير بغير الله وقد رددت عليه جواره ، فوثب كفار قريش وأوسعوا عثمان ضرباً ، فما أبه ولا تزعزع إيمانه ، بل تمر الأيام ، ويشترك في قتل علي بن أمية بن خلف الجمحي مع أن مظعوناً — أباه — ابن عم خلف بن وهب جدّ علي بن أمية ، وذلك لأنه من مشركي بدر (٢) .

وعندما مات بعد ثلاثين شهراً من شهوده بدرا — وغُسل وكُفّن قبل الرسول بين عينيه، ولما دُفِن قال الرسول : نِعَم السلف هو لنا عثمان بن مظعون، وأَعْلَمُ قبره بحجر (٣) .

نِعَم الشَّبَابُ شَبَابُهُمْ وَكُهُولُهُمْ : صَيَّابَةٌ لَيْسُوا مِنَ الْجُهَّالِ

(١) ابن هشام : السيرة (١٧٧/٢) ، ٣٣١/٢ ، ٤١٩/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢٣/٣ ، أبو

نعيم : حلية الأولياء : ط السعادة ١٩٣٢ م ١٠٢/١

(٢) ابن هشام : السيرة ٣٦١/٢ ، ابن الأثير : الكامل : ط الحلبي القاهرة سنة ١٣٠١ هـ ٤٨/٢ ،

البلاذري : أنساب الأشراف ٢٣٢٧/١ ، ٣٠٠/١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢٨٨/٣/١ ، الترمذي : الصحيح ٢٥٩/٤ ، البلاذري : أنساب الأشراف

٢١٢/١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ١٠٥٣/٣ ، مرآة الجنان : ط حيدر آباد ١٣٣٨ هـ — الطبعة

الأولى ٥/١ .

وهم كما وجدهم عبد الله بن الزبير حين مدحهم^(١) .

وفي حجة الوداع ، أسند الرسول الكريم إلى ربيعة بن أمية بن خلف أن يردد خطبته الشهيرة — دستور المسلمين — جملةً جملةً لجهورة صوته^(٢) . وبعد ■ فلا أعتقد أن هذه الصورة الخاطفة في إمكانها أن تعطينا حق القول باستقصاء تاريخ بني جمح ، ولكنها على الأقل تستطيع أن تضع أيدينا على أهم ميزات أفراد هذا الفرع العظيم من العرب القرشيين .

وإذا كانت هذه الصور عنهم في الجاهلية وعهد الرسول الكريم ، فإن الأجيال التالية منهم قد تعددت وتشعبت وملأت بأخبارها جنّات كتب التاريخ ■ لمسات فنية وبطولية ■ وأخرى فيها كرم العربى وأصالته وعزته ونخوته وأباؤه .

وقد عاش شاعر منهم في خلافة معاوية ، كما عاش أبو عزة الجمحي الشاعر في عهد الرسول الكريم ، وشاعرنا هنا ، أبو دهب الجمحي والقصة الكبيرة التي في حياة أبي دهب قصته مع عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان^(٣) .

ونلاحظ عليهم أيضا أنهم نالوا في العهود التالية لعمر بن الخطاب ■ مناصب قيادية وثقافية وعلمية خطيرة فيحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية الجمحي وليّ مكة ليزيد بن معاوية ، وعبد الوهاب بن عبيد الله الجمحي وليّ قضاء فلسطين ، وحمد بن صفوان بن عبيد الله وليّ قضاء المدينة لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن أبي العاص بن أمية ، وعامر بن مسعود الجمحي وليّ الكوفة لابن الزبير ، وعبد الحميد الخطاب بن الحارث بن معمر الجمحي كان على شرطة عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن محمد بن صفوان بن عبيد الله الجمحي وليّ العراق للمنصور وقضاء المدينة للمهدى ومات بها واستخلف ابنه عبد الأعلى ، وعيسى بن لقمان بن محمد بن الحارث الجمحي وليّ مصر للمنصور وكان بها ابن أخته عثمان بن سعيد على شرطته وسعيد بن عبد الرحمن ابن عبد الله وليّ القضاء

(١) الأغاني : ط الوزارة ١١٤/٧ ، صياغة : الخيار من الناس .

(٢) ابن هشام : السيرة ٢٧٦/٤ .

(٣) الأغاني : ١٢١/٧ — ١٢٦ .

ببغداد للرشييد وغيرهم .

هؤلاء بجانب المحدثين العديدين ، وعلى رأسهم حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن الجمحي المحدث المكي المعروف ، وسعيد بن عامر الجمحي وكان ناسكاً متبتلاً وله صحبه وولاءه عمر بن الخطاب حمص ، وعبد الله الأكبر بن صفوان الجمحي كان ثائراً من الثوار مع ابن الزبير ضد عبد الملك ابن مروان حتى قتل معه ، بالرغم من أننا نجد أبا ربحانة علي بن أسيد بن أحيحة بن خلف الجمحي مع عبد الملك ضد ابن الزبير .

وهكذا وجدنا في الجمحيين القواد ، والشعراء ، والنسك والمحدثين والولاة بجانب البدرين المهاجرين الهجرتين المنافحين عن الإسلام كما وجدنا فيهم الكافر كأبي الجمحي والنمام كجميل الجمحي والتيه كربيعة الجمحي وأمثالهم .

بل وجدناهم — أيضاً — قد سكنوا بلاداً عديدة ، فقد نشأوا بمكة بينما عاش البتوني الجمحي في مصر ، وهرب ربيعة الجمحي إلى الروم ، ومات نصرانياً ، وعبد الحكم الجمحي له عقبٌ بوهران بالأندلس ، وعبد الوهاب الجمحي سكن فلسطين ، وسعيد الجمحي كان في حمص (١) .

ب — قدامة بن مظعون :

هو أبو عمر قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وقد أسلم هو وأخوه عبد الله قبل دخول الرسول الكريم دار الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها (٢) وأخته زينب بنت مظعون زوجة عمر بن الخطاب أم عبد الله وعبد الرحمن وحفصه (٣) أبنائه هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها .

(١) المصعب بن الزبير : نسب قريش ٣٨٦ — ٤٠٠ ، ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب

١٥٠ — ١٥٤ ، ابن عساكر : تهذيب تاريخه ٣٠٢/٢ ، ٣٠٢/٥ ، ٤٣٤/٥ ، ٤٢٦/٦ ، ابن

القيصري : الجمع بين رجال الصحيحين : ١١٠/١ ، ابن سعد : الطبقات ٢٠٢/٣/١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ١٩٠/٣/١ .

(٣) المصدر السابق ١٩٠/٣/١ .

ج - أسرته :

أريد أن أتكلم عن أسرة ابن سلام ، ولكن هناك بقية عن تكوين أساس هذه الأسرة فهي مرتبطة بقدامة بن مظعون ، عن طريق الولاء . وقد تعددت أسباب وجود الموالى فى الجزيرة إبان خلافة عمر بن الخطاب . وسبب كثرته ، لازدياد الفتوح وقد يكون الولاء ولأى قبيلة لقبيلة أخرى أقوى للاحتواء بها (١) أو لهجوم قبيلة على أخرى وسلبها ممتلكاتها وحررتها ، أو انتهاء قبيلة خاملة النسب إلى قبيلة معروفة النسب لتنطوى تحت شرف محتدها وعراقة أصلها ، هذا بجانب ولأى العبد لمالكه ولأى الأسير لمحاربه وغيرها من صور الولاء المختلفة ، ورسولنا الكريم يقول « الولاء لمن أعطى الثمن أو لمن ولى النعمة » (٢) وهذه الأشكال المتعددة للولاء وغيرها شغبت حالاته وجعلت من العسير الوصول إلى طبيعة أى ولأى ، ما لم ينص عليه المؤرخون .

وقد عدد المؤرخون لبنى جميع ، موالى كثيرين ، ذكر منهم المؤرخون بلال مؤذن الرسول وكان مؤلداً من مؤلديهم (٣) وأبا النضر بن أبى العباس الشاعر البصرى (٤) وكذا ابن مسجع المغنى (٥) ومثله ابن عياد المغنى أيضاً فيما يقال (٦) وجنادة بن سفيان المحدث الأنصارى ، وقيل الجمحى لأن أباه سفيان ينسب إلى معمر بن حبيب بن حذافة الجمحى . تبناه بمكة (٧) ومحمد بن زياد ، وأبا الحارث القرشى مولى عثمان بن مظعون المحدث وقد ذكر البخارى ومسلم فى صحيحيهما (٨) ويسار أبو فكيهة (٩) المحدث وصالح بن نبهان مولى التوأمة بنت

(١) البكرى : معجم ما استعجم ٥٣/١ .

(٢) لترمذى : الصحيح ٢٨٢/٨ .

(٣) ابن هشام : السيرة ٣٢٨/٢ .

(٤) الأغاى : ط الوزارة ٢٨٥/١١ .

(٥) المصدر السابق : ٢٧٨/٣ .

(٦) المصدر السابق ١٧١/٦ .

(٧) ابن الأثير : أسد الغابة ٢٩٩/١ .

(٨) ابن القيسرائى : الجمع بين رجال الصحيحين ٤٣٨/٢ ، ابن منجوية : رجال صحيح مسلم ١٥٧ .

البخارى : التاريخ الكبير ٨٢/١/١ .

(٩) أبو نعيم : حلية الأولياء ٢٤/٣ ، البلاذرى : أنساب الأشراف ١٩٥/١ .

أمية بن خلف الجمحي المحدث أيضا^(١) وسعد مولى قدامة بن مظعون الذي قتلته الخوارج سنة ٤١ هـ مع عبادة بن قرص^(٢).

أما عن طبيعة الولاء الذي كان قائما في أسرة ابن سلام لقدامة بن مظعون فلا أستطيع أن أجزم فيه برأى لأن المصادر صمتت وأبهمت هذا الجانب. ومن الواضح أن صاحب الولاء ليس محمدا ولا أباه سلاما ولا جده عبيد الله، وإنما والد جده سالم.

ولم يذكر المؤرخون لسالم أبا ولا أما ولا قبيلة ولا سببا لولائه ولا شيئا عن قصة حياته، اللهم إلا أنه سالم مولى قدامة بن مظعون الجمحي، والولاء قد انتقل منه إلى أبنائه وأحفاده وبقية أسرته.

وقد وجدت المؤرخين يذكرون محمد بن سلام في نسبه ثم يذكرون الولاء الجمحي أو يذكرون اسمه واسم الأب ثم الولاء، أو يصلون بالنسب إلى جده عبيد الله، أي أنهم حصروا أنفسهم فيه وفي أبيه وفي جده ولم يعدوهما، وهذه الظاهرة محدودة في المؤرخين، عبد الواحد اللغوي^(٣) والسيرافي^(٤) وابن النديم^(٥) والخطيب البغدادي^(٦) والأنباري^(٧) وياقوت الحموي^(٨) وابن الأثير^(٩) والقفطي^(١٠) وابن كثير^(١١) وأبي المحاسن بن تغري بردي^(١٢) والعسقلاني^(١٣).

-
- (١) الترمذي الصحيح ٨٢/٢، ابن قتيبة: المعارف ٢٠٣، الحاكم: معرفة علوم الحديث: ورقة ٤٠، وقد ذكر له ابن ماجة حديثا: انظر سنن ابن ماجة ٨٧/١.
- (٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ط حيدر أباد - الطبعة الاولى ١٣١٩ (٥٧٨/٢).
- (٣) عبد الواحد اللغوي: مراتب النحويين ٦٧.
- (٤) السيرافي: أخبار النحويين البصريين: ١٩، ٢٠، ٢٢، ٣٤، ٣٨.
- (٥) ابن النديم: الفهرست ١٧١.
- (٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣٢٧/٥.
- (٧) الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٢١٦ ط القاهرة ١٢٩٤.
- (٨) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٠٤/١٨.
- (٩) ابن الأثير: الكامل ١٠/٧ ط الأزهرية القاهرة ١٣٠١ هـ.
- (١٠) القفطي: إنباء الرواة ١٤٤/٣.
- (١١) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٠٨/١٠.
- (١٢) أبو المحاسن بن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٦٠/٢ - ط دار الكتب - القاهرة ١٩٣٠ م.
- (١٣) العسقلاني: لسان الميزان ٦٩/٣.

وابن شهبة^(١) وابن حاتم^(٢) والبستاني^(٣) وعمر كحالة^(٤) إلا السيوطي فقد ذكر في كتب بغية الوعاة في ترجمة ابن سلام : قال : إنه محمد بن سلام بن عبيد بن زياد مولى قدامه بن مظعون الجمحي ، ثم قال : ذكره الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين^(٥) « والزبيدي يقول عن ابن سلام إنه : محمد بن سَلَام بن عبيد الله بن سالم مولى محمد بن زياد مولى قدامة بن مظعون الجمحي »^(٦) . خطأ في الرواية أو تحريف في النقل .

فناقدنا هو أبو عبد الله محمد بن سَلَام بن عبيد الله بن سالم مولى قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي .

وقد تحدثت عن بني جمح ، وعن قدامه بن مظعون الجمحي . وعن نسب ابن سلام فهل هذه حياته ؟ لا ، ولكنها المعطيات التي سمحت بها المصادر ، لانعرف شيئا عن طفولة هذا الرجل ولا عن شبابه ولا عن رجولته ، اللهم إلا خبرا صغيرا ، يقول : إن لحيته ورأسه ابيضتا وهو في سن السابعة والعشرين^(٧) فهل هذه حياته ؟ .

أستطيع أن أقول إنه نال قسطا من التعليم بالطريقة التي تعلم بها الأطفال في ذلك العصر ، إذ ليس هناك مبرر لشذوذه عنهم ، فقد كان الرجل يبعث بولده إلى كتاب الحي فيتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ويشدو شيئا من قواعد النحو والصرف ويتناول طرفا من أصول الحساب ثم يستظهر كتاب الله استظهارا تاما مجودا مرتلا . وهو في خلال ذلك يتردد مع أترابه على القاص فيسمع منه أحداث الفتوح وأنباء المعارك وأخبار الأبطال ومقاتل الفرسان ومفاخرات الشجعان وسيير

(١) ابن شهبة : طبقات النحاة واللغويين : مصور بدار الكتب — القاهرة تحت رقم ٤٣٨ ورقة ٥٠ .

(٢) أبو حاتم : الجرح والتعديل ٢٧٨/٢/٣ .

(٣) البستاني : دائرة المعارف ١٩٧ .

(٤) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين — ط الترقى — دمشق ١٩٦٠ م — ٤١/١٠ .

(٥) السيوطي : بغية الوعاة ٤٧ .

(٦) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ١٩٧ .

(٧) البغدادي : تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ ، ٣٣٠ .

الغزاة والفاحين ممزوجا ذلك بالمواعظ والعبر وإيراد أحوال الصالحين وأطوار الزهاد والنسك والمتقين (١) .

وابن سلام في أغلب الظن قد التحق بأحد المكاتب ونال القسط التعليمي المقرر بها ، هذا في طفولته وصباه ، أما شبابه فلا ندرى عنه شيئا وقد يكون قصّر حين ابيضت لحيته ورأسه ، اللتان ألزمتاه ارتداء ثياب الشيوخ وتورعهم، وكل هذه ظنون .

ووجد السندوي في « كتاب أبي أحمد العسكري » خبرا يدل على أن ابن سلام كان يفهم الفارسية جاء في الخبر عن ابن سلام أنه قال : فقال لخلف بالفارسية (يعنى خلفا الأحمر) أصاب الرجل ووهم أبو عمرو (٢) . وكل هذه ظنون .

وحين حضره المرض أول مرة ، عاده الطبيب ماسويه ، والطبيب ماسويه لا يعود أى إنسان ، فهو طبيب الخلفاء ، ولأه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ووضعه أمينا على الترجمة ، وترب له كُتّاباً حذاقا يكتبون بين يديه ، وخدم الرشيد والأمين والمأمون ومن بعدهم الخلفاء إلى أيام المتوكل (٣) فابن سلام في آخريات حياته صار من شخصيات المجتمع المعروفين الذين يُهرع إليهم أمثال ماسويه من الأطباء ، ثم يجس نبض ابن سلام ، فيقول له ، ابن سلام : لو وقفت بعرفات وقفة ، وزرت قبر الرسول زورة ، وقضيت أشياء في نفسى لرأيت ما اشتد على من هذا فقد سهّل (٤) ، ويهون ماسويه عليه الكرب ويمنيه أن أمامه من العمر سنين فلا يجزع ، وليته سأله عن الأشياء التى يتمنى أن يقضيها لانفتح أمامنا القول . ولتلمسنا طريقنا في خطوات أكثر ثقة وثباتا من خطواتنا هذه .

(١) السندوي : أدب الجاحظ ط المطبعة الرحمانية — القاهرة ١٩٣١ م (٢٦) .

(٢) أبو أحمد العسكري — شرح مايقع فيه التصحيح — ص ٧٤ ط . ١٩٥٥ م .

(٣) انظر ترجمة ماسويه في أطباء الطبقة السابعة — والقفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ٢٤٩ ط

السعادة — القاهرة ١٣٢٦ هـ الطبعة الأولى — وانظر أيضا لابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء :

الطبعة الأولى : ط المطبعة الوهبية ١٢٩٩ هـ (١٧٥/١ — ١٨٣ — ترجمة مطولة) .

(٤) البغدادي : تاريخ بغداد ٣٢٩/٥ .

ج : مولده ووفاته :

أما عن مولده ووفاته ، فبين أيدينا رواية للخطيب البغدادي «ت ٤٦٣ هـ» (١) . ورواية لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) (٢) وثالثة للقفطي (ت ٦٤٦ هـ) (٣) وهي رواية واحدة أغلب الظن أن القفطي قد نقلها عن الحموي الذي نقلها بدوره عن البغدادي فماذا يقول البغدادي ؟ .

يقول : أخبرني أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب الكاتب ، حدثني جدِّي محمد بن عبد الله بن الفضل بن قفَرَجَل ، حدثنا محمد بن يحيى بن النديم ، حدثنا الحسين بن فَهْم ، قال : قدم علينا محمد بن سلام (٢٢٢ هـ) فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى الأجلَاء أطباءهم ، وكان ماسويه ممن أُهْدِيَ إليه ، فلما جَسَّه ونظر إليه ، قال : ما أرى من العلة كما أرى من الجزع ، فقال : والله ما ذاك يحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة (٤) ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ، ولو وقفت بعرفات وقفة وزرت قبر الرسول زورة وقضيت أشياء في نفسي ، لرأيت ما اشتد علي من هذا قد سهَّل ، فقال له ماسويه ، لا تجزع ، فقد رأيت في عِرْقِكَ من الحرارة الغريزية وقوتها ، أما أن سَلَمَكَ الله من العوارض ، بلغك عشر سنين أخرى ، فقال الحسين بن فَهْم ، فوافق كلامه قدرا ، فعاش محمد عشر سنين ، بعد ذلك ومات سنة ٢٣٢ هـ .

فالحسين بن فَهْم شاهد عيان ، وقدم عليه ابن سلام وهو ينوء باثنتين وثمانين عاما وازدادوا عشرا ، فيكون — على هذا — قد وُلِدَ سنة ١٤٠ هـ وعاش قرنا من الزمان خلا ثمانى سنوات ، وليس هذا العمر بعجيب ، فقد عمَّر ابن أخته قرنا وبضع سنين .

(١) البغدادي : تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ — ٢٣٠ .

(٢) الحموي : معجم الأدباء ٢٠٤/١٨ .

(٣) القفطي : إنباء الرواة ١٤٥/٣ .

(٤) الحموي : معجم الادباء — مع اثنتين وسبعين سنة .

(٥) البغدادي : تاريخ بغداد : ٣٢٧/٥ — ٢٣٠ — وأورد هذه القصة ابن أبي أصيبعة — ت ٦٦٨ هـ — في ترجمة يوحنا بن ماسويه في كتاب طبقات الأطباء ١٨٢/١ — والسمعاني : في كتاب

الأنساب ١٣٥ ط ليدن ١٩١٢ م .

ويذكر البغدادي ، رواية أخرى لسنة وفاته : يقول : أنبانا محمد بن أحمد بن رزق — حدثنا محمد بن عمر بن غالب — حدثنا موسى بن هارون وأخبرنا الصغار حدثنا ابن نافع قائلا : مات محمد في بغداد سنة ٢٣١ هـ وأورد هذه الرواية العسقلاني^(١) وابن الأثير^(٢) وابن العماد الحنبلي^(٣) والزبيدي^(٤) وأبو المحاسن ابن تغري بردي^(٥) وابن قاضي شهبة^(٦) والسيوطي^(٧) والبستاني^(٨) وحاجي خليفة^(٩) .

وأقرب المؤرخين لابن سلام وفاة الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ، وقد اهتم بذكر سنة الوفاة وقال هي ٢٣١ هـ ، بينما لم يهتم بذكرها أبو الطيب اللغوي "٣٥١ هـ" ولا الطبري في تاريخه (٣١٠ هـ) ، ولو أن البغدادي استراح لرواية الحسين بن فهم لاكتفى بها ولسايره فلول المؤرخين بعده — ولكنه لم يطمئن لها لأنه يجوز أن يحدث الخطأ من ابن فهم ، ولا يجوز أن يتفق موسى بن هارون وابن نافع على الكذب ، وخبر موسى بن هارون رجاله اثنان ، كذا خبر ابن نافع رجاله اثنان ، أى اتفق أربعة رجال على ذكر رواية واحدة لرجلين ، ولم يذكر رواية الحسين بن فهم إلا محمد بن يحيى بن النديم منه لابن القفرجل وأخبر حفيده الخبر للبغدادي .

كل هذه دواع تجعلنا نقول ان ابن سلام قد عاش اثنى وتسعين عاما هجرية ، ومات قبل وفاة الواثق بسنة ، فلم يشهد خلافة المتوكل وعاش خلافة المنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين والمعتصم والواثق ، واختاره الرفيق الأعلى قبل أن يرى انحدار الدولة العباسية على يد العنصر التركي .

(١) العسقلاني : لسان الميزان ٦٦/٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣ .

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٧١/٢ .

(٤) الزبيدي : طبقات النحويين ١٩٧ .

(٥) ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة واللغويين — ورقة ٥٠ مخطوطة بدار الكتب .

(٦) السيوطي : بغية الوعاة ٤٧ .

(٧) البستاني : دائرة المعارف ١٩٧ — قد ذكر المولد (١٣٩ هـ) فيتفق مع المجموعة ٢٣٠ هـ .

(٨) حاجي خليفة : كشف الظنون : المطبعة البية — استنبول ١٩٤٣ م (١١٠٢) .

د - سلام الجمحي : الأب :

وسلام هو المدرسة التي تلقى فيها محمد ابنه المبادئ التربوية الأولى، فأمد ابنه بخلاصة تجاربه ونتائجه ، وحكى له مشاهداته ، ونقل إليه مطالعته ، فوجدنا ابن سلام يحكى عن أبيه أخبارا قليلة ولكنها تعطينا في مجموعها صورة لكيفية استفادة ابن سلام من أبيه علميا .

فأبوه هنا هو أستاذه الأول . والمشجع الذي أخذ على عاتقه أن يصبح ابنه عالما كالعلماء الذين يجالسهم أو فقيها كالفقهاء الذين يراهم في حلقاتهم بالمساجد . فكان له ابن عالم ناقد ، هو محمد وثان محدث ، حدث عنه مسلم في صحيحه وهو أبو حرب عبد الرحمن ، بل لم يتخلف حفيده عون محمد بن سلام عن الركب العلمي للأسرة ولا أبو خليفة الفضل بن الحباب^(١) ، ابن ابنته . فهي أسرة انقادت لزعيمها - سلام الأب - وشربت من المنهل الأدبي الذي أرادها لها .

يقول ابن سلام : وسمعت أبي يسأل عن ابن أبي اسحاق وعلمه قال : هو والنحو سواء : أى هو الغاية ، قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ، قال : لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه يومئذ ، لضحك به ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه كان أعلم الناس^(٢) .

هذا سلام جليس يونس بن حبيب ، ويونس أستاذ سيبويه والكسائي والفراء^(٣) يحكى لابنه أنه رأى ذا الرمة ورأى لُمته وهيئته^(٤) وأنه دخل على خرقاء ، فقالت اخرجي يا فاطمة تعنى ابنتها فخرجت امرأة جميلة وليست كأُمها^(٥) وخرقاء إحدى من شَبَّ بهن ذو الرمة ، فتشوق الرواة أن يروا التي سلبت عقل الشاعر ، وقد زارها المفضل الضبي فيمن زارها من الرواة^(٦) .

(١) المسعودى : مروج الذهب ٣٦٤/٢ .

(٢) ابن سلام : الطبقات ١٥ .

(٣) السيوطى : المزهر ٤٤٩/٢ .

(٤) ابن سلام : الطبقات ٥٦٧ .

(٥) المصدر السابق ٥٦٤ .

(٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥١٠/١ .

ويقص علينا أنه ذاكر مروان بن أبي حفصة جريرا والفرزدق وكثيرا^(١) ثم يحدثه عبد الملك بن مروان ، أنه كان من أشد الناس حبا لعاتكة امرأته ، فغضبت على عبد الملك وكان بينهما باب فأغلقت ذلك الباب ، فشق غضبها على عبد الملك ، فشكا إلى رجل من خاصته ، يقال له عمر بن بلال الأسدي ، فقال له : مالي عندك إن رُضيت ؟ قال : حُكْمُكَ ... ، إلى آخر أحداث تلك القصة الطريفة التي انتهت بصلح عاتكة لعبد الملك بن مروان ومكافأة رسول السلام بينهما بأجزل عطاء^(٢) .

ثم يحكى سلام ، أن بعض الخلفاء قال للفرزدق وجرير : حتى متى لا تنزعان ؟ قال جرير : يا أمير المؤمنين أنه والله يظلمني ، قال : صدق ، أنا أظلمه ووجدت أبي يظلم أباه^(٣) ، وعن مسلمة بن عبد الملك حين قال ليزيد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، بيا بك وفود الناس ويقف بيا بك أشراف العرب فلا تجلس لهم . وأنت قريب العهد بعمر بن عبد العزيز^(٤) ، وعن المكاء ومضيفه أحد بني حية — الذي ذبح له شاة وسقاه الخمر ففاخره مفاخرة ذميمة^(٥) ، وعن يزيد بن المهلب حين كتب إلى الحجاج إنا لقينا العدو ففعلنا واضطربناهم إلى غرغرة الجبل^(٦) .

حكى له عن هذا وعن غيره من الأخبار^(٧) التي تعطينا صورة واضحة عن مدى الكفاءة الثقافية التي كانت تحيط بابن سلام وتوجهه منذ نشأته الأولى .

عبدالرحمن بن سلام : الأخ :

وأبو حرب ، عبدالرحمن بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي مولى قدامة بن مظعون^(٨) ارتوى من نفس المنهل الذي ارتوت منه اسرة ابن سلام . وقد قال

(١) المرزباني : الموشح ٢٢٨ .

(٢) الأغاني : ط الوزارة ٣٨٣/٢ .

(٣) ابن سلام : الطبقات ٣٧٠ .

(٤) المصدر السابق ٦٦٣ .

(٥) المصدر السابق ٦٠٣ .

(٦) المصدر السابق ١٣ .

(٧) انظر الطبقات لابن سلام ١٤ و ٤٠٧ و ٦٥٥ و ٦٨٢ و ٦٩٦ و ٧٠٠ و ٧٤٥ و ٧٥١ و ٧٩١ .

والأغاني ١٥٣/١٥ .

(٨) ابن منجوبة : رجال صحيح مسلم : مخطوط بالمكتبة العامة — الإسكندرية تحت رقم ١٢٤٥ ب ورقة

عبد الرحمن بن سلام إلى أن يكون محدثاً فروى عن إبراهيم ابن طهمان والربيع بن مسلم ، وحماد بن سلمة وفضل بن عياض ومبارك ابن فضالة والدأروردي وغيرهم ، وروى عنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم السجستاني وموسى بن هارون وإبراهيم بن التغدي وغيرهم .

و — عون بن محمد بن سلام — الابن :

هل كان لابن سلام أولاد ؟ يجب أبو خليفة انه سمع ابن سلام يقول : أفنيت ثلاثة أهلين (أى زوجات) ، تزوجت وأطفلت ، ثم ماتوا ، ثم فعلت مثل ذلك فماتوا ، ثم فعلت الثالثة فماتوا ، وهأنذا فى الرابعة (أى الزيجة الرابعة) (ولا أولاد) ، وكان أبو خليفة إذا حدث هذا الحديث أنشد شعر النابغة الجعدى :

ثَلَاثَةٌ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ . . . وَكَانَ إِلَهِهُ هُوَ الْمُسْتَأْسَى

ومن هذا الخبر نعلم أن ابن سلام تزوج ثلاث مرات ، أما مَنْ تزوج ؟ ومتى ؟ لاندري ، والرابعة ، أعتقد أنها أنجبت وعاش أطفالها ، وأن أداة النفي فى الخبر الذى أورده ، البغدادى (٣٣٤ هـ) (١) تحريف لأداة الملكية وأصلها (هأنذا فى الرابعة ولى أولاد) وكذا وردت عند القفطى (٦٤٦ هـ) فى نفس الخبر والرواية (٢) ، والواقع يؤيده حين يروى عون لأبيه خبراً ورد فى الأغاني .

يقول أبو الفرج ، أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحباب قال : حدثنا عون بن محمد بن سلام ، قال حدثنى أبى عَمَّنْ حدثه عن الزهرى : قال (٣) .

١٠٢ ، الذهبى : الكاشف — وهو مختصر كتاب تهذيب الكمال — مخطوط بنفس المكتبة تحت رقم ٥٨١٦ ج ورقة ٦٢ ، العسقلانى : تقريب التهذيب مخطوط بنفس المكتبة تحت رقم ١٠٤٦ ب ورقة ٤٥ — انظر المطبوع ص ١٢١ — وللعسقلانى أيضاً : تهذيب التهذيب ١٩٢/٦ ، وللخزرجى : خلاصة تهذيب الكمال ط المطبعة الخيرية — الطبعة الأولى — القاهرة ١٣٢٢ ، ١٩٣ ، ولابن القيسرانى : الجمع بين رجال الصحيحين ٢٩٧/١ ، ومن تهذيب التهذيب انظر المطبوع ١٢١ .

(١) المرزبانى-المقتبس ١٨٥ ، المسمى « نور القبس المختصر من المقتبس » اختصار .

(٢) البغدادى : تاريخ بغداد ٣٢٩/٥ .

(٣) القفطى : إنباه الرواة ١٤٤/٣ .

ز — أبو خليفة الفضل بن الحباب ■ ابن الأخت :

هو أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شُعَيْب بن صخر (١) بن عبد الرحمن الجمحي (٢) الإمام الثقة محدث البصرة (٣) من رواة الأخبار والأدب والأشعار والأنساب (٤) مسند وقته (٥) الذي رُحِلَ إليه من الأقطار (٦) وسمع إبراهيم بن مسلم وسليمان بن حرب ومُسَدَّدًا وأبا الوليد الطيالسي وحفص بن عمر الحوضي (٧) ومحمد بن كثير ومحمد بن سلام وحكي عن أحمد بن حنبل أشياء (٨) وحديث عنه أبو بكر الجعاني والطبراني والإسماعيلي وابن عدى وأبو الشيخ وأبو أحمد الغطريفي (٩) وولى قضاة البصرة (١٠) .

ورصيد أبي خليفة الفضل بن الحباب يكاد يقترب من رصيد خاله ابن سلام من حيث تعداد الأخبار الواردة عنه ، وهذا قد جاء له من ناحيتين ، أحدهما أنه روى معظم كتب خاله وعن طريقه عرفها المؤرخون وعرفناها معهم ، والأخرى أنه له مؤلفات وعمرٌ كثير ، عاش لسنة ٣٠٥ هـ فكثير تلاميذه والمحدثون عنه .

-
- (١) التنوخي : نشوار المحاضرة تحقيق عبود الشالحي — بيروت ١٩٧١ م . انظر ٢٧/٢ ، ٢٨/٢ .
 - (٢) الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء — ط السعادة سنة ١٩٣٣ م ٨/٢ .
 - (٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ — ط حيدرآباد — بدون تاريخ ٢٤٢/٢ .
 - (٤) الحموي : معجم الأدباء ٢٠٤/١٦ .
 - (٥) الذهبي : دول الإسلام — ط حيدر آباد — الطبعة الثانية ١٣٦٤ هـ ١٣٥/١ .
 - (٦) الذهبي : ميزان الاعتدال ٣٢٦/١ .
 - (٧) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢٤٢/٢ .
 - (٨) ابن أبي يعلى : طبقات الختابة ٢٤٩/١ .
 - (٩) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ .
 - (١٠) وانظر في أخبار خليفة الفضل بن الحباب : ابن النديم : الفهرست ١٧١ ، الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ١٨٢ . السيوطي : بغية الوعاة ٣٧٣ ، الحنبلي : شذرات الذهب ٢٤/٣ ، العسقلاني : لسان الميزان : ٣٥٤/٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٩٢/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ١٢٨/١١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٤/٨ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢٤٦/٢ ، أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين : ١٠٨ ، القفطي : إنباه الرواة ٥/٣ . الحموي : معجم الأدباء : ٢٠٤/١٦ .

وكان أبو خليفة شيعيا (١) وأورد له ابن النديم من الكتب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب الفرسان (٢) .

ويحدثنا التنوخي أن أبا خليفة القاضي ، كان صديقا لأبيه وعمه أيام وفدا إلى دور الأهواز ، في فتنة الزنج ، يقول : فلما قدمت إلى البصرة ، قدمتها مع أبي فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا ، وأمكنتني من كتبه ، فكنت أقرأ عليه كل ما أريد وأسمع كيف شئت وكنت أنسخ لنفسي وأصوله مبدولة لي ، فإذا جاء الليل جلسنا وتحادثنا فرمما أحببت القراءة عليه فيجيبني ، فإذا أضجرتة يقول : روِّحني ، فأقطع القراءة (١) .

ولما تهاجى أبو بكر بن دريد والباهلي بالبصرة وتفاقم الأمر بينهما تنافروا إليه وارتضوه حكما لهما (٢) .

أما عن الحديث ، فقد حَدَّثَ عن أبي الوليد ومحمد بن كثير عن شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب الأنصاري .

وحكى عن نفسه ، أنه كان يذاكر أحمد بن حنبل بالليل كثيرا ، حينما جاء إلى البصرة لسمع من أبي الوليد الطيالسي (٣) .

وهذه اللقطات السريعة وغيرها تضع لنا أبعادا واضحة لأبي خليفة ، فهو أديب محدث شاعر كريم خطيب ورئيس القوم حين تشتد الشدائد ، ليس هذا فحسب بل كانت روحه خفيفة ، فدار المزاح بينه وبين الناس سجالا ، حتى وهو قاض (٤) ويحكى لنا عنه المسعودي قصة طريفة حدثت له حين كان مع أصدقائه يتناقشون العلم في حديقة عامة وبجوارهم بعض الأكرّة الذين لم يفهموا حديثهم ، وظنّوهم يعشّون بقراءة القرآن ، فانهالوا عليهم ضربا فلم يخلص أبو

(١) الصفدي : نكت الهميان : ٢٢٧ ، الحموي : معجم البلدان ١٠٤/١٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ١٧١ .

(٣) التنوخي — نشوار المحاضرة — ط . بيروت ٢٧/٢ و ٢٨ .

(٤) الزبيدي : طبقات النحويين ١٩٩ .

(٥) ابن ابن يعلى : طبقات الخنابلة ٢٤٩/١ ، ٢٥٠ .

(٦) الصفدي : نكت الهميان ٢٢٦ .

خليفة نفسه منهم إلا بعد كدٌ طويل (١) ويحكى الحموى عنه أنه دخل بيته كلب وهو جالس في منزله مُحدثاً ضوضاءً، فظنه لصاً، فقال له أيها اللص مآلك ومآلنا؟ أن أردت المال فعليك بفلان وبفلان، وإنما عندنا قَمَطَرَان، قَمَطَرٌ فيه أحاديث، وقَمَطَرٌ فيه أخبار، وإن أردت الحديث حدثناك عن أبي الوليد الطيالسي، وأبي عمر الجرمي وابن كثير وهو محمد، وإن أردت الأخبار أخبرناك عن الرياشي عن الأصمعي ومحمد بن سلام، فصاح ابنه إنما كان كلباً، فقال: الحمد لله الذي مسخه كلباً وَرَدَّ عَنَّا حَرَبًا (٢).

هذا راوى طبقات الشعراء لصاحبه ابن سلام وأحد تلاميذه المقربين ونستطيع أن نلمس أثر ابن سلام في مواضع عديدة من تكوينه العلمي والشخصي، وقد نبسط فيه قولاً في مكان آخر حين نتكلم عنه تلميذاً من تلاميذ ابن سلام.

(١) المسعودي: مروج الذهب ٢/٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) الحموى: معجم الأدباء ١٦/٢٠٨.

ثالثا : نشاطه العلمى

- أ — شيوخه .
- ب — تلاميذه .
- ج — كتبه .
- د — مصادر رواياته .
- هـ — اتجاهه .



ثالثا : نشاطه العلمى

أ — شيوخه

وأقصد بهم أولئك العلماء الذين لازمهم ابن سلام فأطال ، وأخذ عنهم فأكثر ، فظهر فيه أثر واضح من آثارهم من السهل الإشارة إليه .

ولا أستطيع أن ألتم بالوقوف عند كل من أخذ عنهم ابن سلام ، فقد أخذ عن عدد غفير ، وكثرة عددهم تحول دون الهدف ، وكيف لى أن أعرف مدى صلته بهم ؟ وهل هى صلة تأثير وتأثر أم هى علاقة عابرة استغرقت رواية خبر أو خبرين ؟ ولكنى أستطيع أن أشير عن قرب الى أفراد معينين توافرت فيهم بعض معالم الأستاذية ، وقد أحصيت كل الأسانيد التى وجدته يأخذ بها عن شيوخه ، ووضعت أمام كل شيخ نقطة تمثل خبرا أعطاه لابن سلام ، وحينما انتهيت وحاولت أن أطبق الفكرة على تلاميذه ووجدت أن العدد يختل ، إذ أخذ هو عن شيوخه كثيرا ، وتفرد بأخبار عديدة من غير سند ، ولذا حصرت نفسى فى ٢٩٠ خبرا^(١) ، تشكل حالين إحداهما أخبار أخذها ابن سلام عن أساتذته ونقلها عنه تلاميذه ، والأخرى أخبار منه فقط ونقلها عنه تلاميذه ، فالمائتان وتسعون خبرا توافر فيها وجود الشيوخ وابن سلام والتلاميذ ، فأصبحت نموذجا صالحا للأخذ به لمعرفة عدد الأخبار التى أخذها عن كل شيخ ، ومقدار أهمية هذا الشيخ له من الناحية التعليمية وفى الوقت نفسه نستطيع أن نعرف عن طريقها تلاميذه فكانت النتيجة :

(١) هذه الأخبار استقيتها أولا من كتاب الطبقات لابن سلام ثم استعنت بكتاب الأغاني فوجدت خمسة وأربعين ومائتين (٢٤٥) خبرا منها مائة وخمسة وثلاثون خبرا (١٣٥) فى كتاب الطبقات ، فحذفتها وتبقى اثنان وعشرون ومائة خبرا (١٢٢) غير موجودة فى الطبقات منها خبر مكرر وهو الخبر الذى ورد فى ٣٩/١ و ١٢٧/٩ والأجزاء الستة عشر الأولى من الأغاني — طبعة وزارة الإرشاد القومى والأجزاء ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، طبعة ساسى .

وهذه أرقام الأخبار التى فى الأغاني وفى غيره من الكتب ولا توجد فى الطبقات الأغاني : ط وزارة الثقافة والإرشاد :

الجزء الأول : ٤٠ — ٦٦ — ٧١ — ٨٢ — ٢٦٥ — ٢٩٤ — خبران ٣١٠ — ٣١٤ =

- ١ — يونس بن حبيب عدد الأخبار التي رواها عنه ابن سلام ٣٥ خبرا
 ٢ — أبو الغراف « عمرو بن مرثد ٣٤ خبرا
 ٣ — سلام بن عبيد الله الجمحي ١٤ خبرا

- == الجزء الثاني : ٣٥ — ٣٨ — ٢٠٣ — ٢٠٤ — ٢١٥ — ٢٢٦ — ٢٢٨ — ٢٣٥ — ٢٦٢ —
 ٣٣١ — ٣٣٢ — ٣٥٧ — ٣٦٠ — ٣٦٥ — ٣٧٠ — ٣٧٨ — ٣٨٣ — ٤٠١ —
 الجزء الثالث : ٢٧ — ١٤٠ — ١٤١ — ١٥٣ — ١٦٧ — ١٦٨ — ١٩١ — ٢٠٣ — ٢١١ —
 ٢٧٨ — ٣١٣ — ٣٢٥ — ٣٤٢ — ٣٥٢ — ٣٥٦ —
 الجزء الرابع : ٣ — ١٦٩ — ٢٣٧ — ٢٤٦ — ٢٧٤ — ٢٨٢ — ٢٨٥ — ٣٠٢ —
 الجزء الخامس : ١٢ .
 الجزء السادس : ٨٥ .
 الجزء السابع : ٢٦ — ٢٨ — ٣٠ — ١١٠ —
 الجزء الثامن : ١٨٨ — ٢٠٤ — ٢٧٧ — ٣٤٧ — ٣٤٨ — ٤١٨ — ٤١٢ —
 الجزء التاسع : ١٠٨ — ١٢٧ — ٢٤١ — ٣١٢ — ٣٢٤ —
 الجزء العاشر : ٣ — ٢١ — ٨٢ — ٢٣٩ — ٨٨٢ — ٣٢٥ —
 الجزء الحادى عشر : ١٨٨ — ١٩١ — ٢٥٣ — ٢٥٦ —
 الجزء الثانى عشر : ٦٩ — ٢٣٩ — ٢٦٠ — ٣٠١ — ٣٠٧ —
 الجزء الثالث عشر : ٢٧٠ — ٢٧٢ —
 الجزء الثالث عشر : ٢٧٠ — ٢٧٢ .
 الجزء الرابع عشر : ١٢١ — ١٦٤ — ١٦٥ — ١٦٨ —
 الجزء الخامس عشر : ٢ — ٦٧ — ٧٦ — ١٢٥ — ٢٠٨ — ٢٢٢ — خبران ٢٢٥ —
 الجزء السادس عشر : ٥٥ — ٨٥ — ٨٦ — ١٤٤ — ١٥١ — ١٦١ — ٣٠٧ —
 الجزء السابع عشر : ط ساسى : ١٦٤ .
 الجزء الثامن عشر : ط ساسى : ٦٦
 الجزء التاسع عشر : ط ساسى : ١٣ — ١٤
 الجزء العشرون : ط ساسى : ٢ — ٣
 الجزء الحادى والعشرون : ط ساسى ٥٨ — ١٢١ — ١٢٨

البيان والتبيين : الجاحظ : لجنة التأليف والترجمة — القاهرة ١٩٦١ م — تحقيق عبد السلام هارون
 ٣٩/١ ، ٢٤١/١ ، ١٨/٢

الحيوان : الجاحظ : ط الحلبي — القاهرة ١٩٣٨ م — تحقيق عبد السلام هارون (١٠٤/١ — ونفس
 الخبر مكرر في ٢٥٢/٣ ، ١٦٦/٥) و ٣٦٣/٢ ونفس الخبر موجود في عيون الأخبار لابن قتيبة : ط دار
 الكتاب — القاهرة ١٩٢٥ م — ١٥٤/٢ ، وفي العقد الفريد : لابن عبد ربه — لجنة التأليف والترجمة —
 القاهرة ١٩٤٦ م — ٧٩/١ ، ٣٦٧/٢ ، ١١٩/٣ ، ٥٩٠/٥ =

- ٤ — شعيب بن صخر « جد أبي خليفة الجمحي » ١٢ خبرا
 ٥ — أبو عبيدة « معمر بن المثنى » ١١ خبرا
 ٦ — أبو يحيى الضبي ١١ خبرا
 ٧ — جرير المديني ٩ أخبار

== القول في البغال : الجاحظ : ط الحلبي — القاهرة ١٩٥٥ م — تحقيق شارل بلا — ١٣٥ .
 معجم الشعراء : المرزباني — ط دار احياء الكتب العربية — القاهرة ١٩٦٠ م تحقيق عبد الستار فراج :
 ١٧٩ و ٢٤٦ .
 الموشح : المرزباني : ط دار نهضة مصر — القاهرة ١٩٦٥ م تحقيق علي البجاوي ، (٩٩ — ١٦٨ —
 ١٧٢ — ١٧٨ — ١٨٥ — ١٨٦ — ١٩١ — ٢٢٥ — ٢٧٥ — ٢٧٧ — ٢٦٩ — ٣٠٧ —
 ٣١٨ — ٣٢٧ — ٣٣١ — ٣٤٣ — ٥٥٨ — ٥٦٠ —
 الشعر والشعراء : ابن قتيبة دار المعارف — القاهرة — تحقيق محمد أحمد شاكر ١٣٦٤ هـ ٧٠/١
 عيون الأخبار : ابن قتيبة — ط دار الكتب القاهرة ١٩٢٥ م ١٧١/٢
 المزهري — السيوطي ، ط الحلبي — القاهرة — بدون تاريخ — تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين
 ٤٠١/٢ ، ٣٦٠/٢
 طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي : ط الخانجي — القاهرة ١٩٥٤ م تحقيق محمد أبي الفضل
 ابراهيم — ٤٨ — ٤٩ — ٥٠ — ٦٧ — ١٩٥ — ١٩٦
 الورقة : ابن الجراح : ط دار المعارف القاهرة ١٩٥٣ م — ٤٥ — ٤٦ — ٤٨ — ٦٥
 الأمالي : القالي — ط بولاق — القاهرة ١٣٢٤ هـ — ٦٥/١ ، ١٥٦/٢
 ذيل الامالي : نفس الطبعة ونفس السنة — ٢/٣ ، ١٩/٣ ، ٣٩/٣ ، ١٠٦/٣
 مجالس ثعلب : ثعلب : ط دار المعارف — القاهرة ١٩٤٨ م — تحقيق عبد السلام هارون :
 مجالس ثعلب : ٩/١ ، وهو مكرر ٣٢/١ ، ٣٦/١ ، ٣٨/١ ، ٣٠٩/١ ، ٥٠٠/٢ ، ٥١١/٢ ،
 ٥١٢/٢ ، ٥١٩/٢ ، ٦٦٣/٢
 وهذه الأخبار عدتها اثنان وستون خبرا (٦٢) واذا أضفنا إليها الأخبار التي في كتاب الأغاني يكون
 (١٨٤) واذا علمنا أن كتب الطبقات لابن سلام تحتوي على سبعة وأربعين ومائة خبرا (١٤٧) مسبوقة
 (حدثني — حدثنا — أخبرني — أخبرنا — عن فلان ...) وقد تركنا سمعت ، وقال فلان
 يكون المجموع بهذا (٣٣١) اقتصرنا منهم على الأخبار التي تميزت باجتماع تلاميذ ابن سلام مع
 شيوخه — وأصبح هو أداة توصيل من شيخه الى تلميذه ، وأصبحت هذه الأخبار صالحة لأن يعرف عن
 طريقها أهم شيوخ ابن سلام وأكثر تلاميذه تلقيا عنه وتأثرا به .

- ٨ — أبو الخطاب الزراري ■ حاجب بن يزيد » ٧ أخبار
 ٩ — أبان بن عثمان البجلي ٧ أخبار
 ١٠ — ابن جعدبة (يزيد بن عياض بن جعدبة) ٥ أخبار
 ١١ — ٣ رواية لكل منهم . ثلاثة أخبار ٩ أخبار
 ١٢ — ١٢ راويا لكل منهم خبران ٢ خبرا
 ١٣ — ٤٨ راويا لكل منهم خبرا ٤٨ خبرا
 ١٤ — الأخبار الموقوفة على ابن سلام وتتعداه إلى تلاميذه ٧٤ خبرا

المجموع : ٧٣ راويا « أخذ عنهم ابن سلام في هذه الإحصائية » ومجموع الأخبار ٢٩٠ خبرا .

ملحوظة : بدئت هذه الأخبار بأخبرني وأخبرنا وأنبأني وأنبأنا والعنينة وثلاثة الرواة هم : « الأصمعي ، عامر بن مسمع ، جابر بن جندل »

ومن الصعب أن نعتبر أصحاب الآحاد من الأخبار شيوخا له ولا أصحاب الاثنين ولا من شابههما ، أما يونس بن حبيب وأبو الغراف وسلام الأب ، وشعيب بن صخر ، وأبو عبيدة ، وأبو يحيى الضبي ، فعدد أخبارهم تجعلهم في منزلة الأساتذة المباشرين المؤثرين في ابن سلام ، ويأتي بعدهم الطائفة الثانية من الشيوخ المكونة من جرير المديني وحاجب بن يزيد وأبان بن عثمان وابن جعدبة وهكذا .

وأعترف بأن براءة أرقام الإحصائية تحمل في طياتها جانبا خادعا للبصر ، فقد يلزم التلميذ أستاذه سنين ويأخذ عنه العلم بقدر أكثر وأعقد مما نتصور ، ولا تكتسب خبراته شيئا جديدا ، أي لا يظهر للملازمة أي أثر في سلوك التلميذ العلمي الثقافي ، بشكل مادي ملموس ، يدل على أن التلميذ استجاب لتأثير الأستاذ ، ومن الممكن أن يحدث عكس الشيء .

ولكننا هنا نأخذ الشكل العام ، ونقول : إن طول المجالسة مع الاستعداد والاستجابة يؤديان الى التأثير واكتساب الخبرات المتعددة .

فيونس بن حبيب ، ظهرت ظلاله على شخصية ابن سلام واضحة ملموسة وكذا أبو عبيدة ، وكذا أبو سلام ، ويتذبذب الأثر صعودا وهبوطا قوة وضعفا بالنسبة لكل راو روى عنه ابن سلام البالغ عددهم اثنين وتسعين راويا ، مابين شاعر واخباري وعالم وأعرابي (١) .

ونفس الظاهرة تظهر بالنسبة لتلاميذه ، سنجد ظلال ابن سلام عليهم ، في صورة نقدية مرّة ، ولغوية مرة وتاريخية ثالثة وفكاهية رابعة وهكذا بل قلده في مؤلفاته كما قلده هو أساتذته من قبل .

وسأقتصر في حديثي عن الشيوخ على يونس بن حبيب ، وألاحظ أن أبا عبيدة جراه في أبواب تخصصه بالنسبة لابن سلام ، أما أبو الغراف فقد شابهه أبو يحيى الضبي في ميدان تخصصه وهو الأخبار عن شعراء الدولة الأموية خاصة والشعراء عامة ، وتنوعت مجهودات شعيب بن صخر الثقافية بالنسبة لابن سلام ، مابين أخبار للشعراء ونسب ونقد ولغة ومُلح .

يونس بن حبيب :

ويونس هذا أستاذ العلماء ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء ، وحماد بن سلمة (٢) وسمع منه الكسائي والفراء (٣) وروى عنه سيبويه كثيرا (٤) واختلف إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى أربعين سنة (٥) أما حلقة بالبصرة فكان ينتابها أهل العلم

(١) أورد الأستاذ شاكر في مقدمته ص ١٢ ، ١٣ « ثبتا بواحد وسبعين شيخا لابن سلام » وجمعنا له واحدا وعشرين فأصبح عددهم اثنين وتسعين شخصا والعدد السابق لهم ٧٣ هو مجموع الشيوخ الذين لهم أخبار أداها عنهم ابن سلام الى تلاميذه .

(٢) اليافعي : مرآة الجنان ٣٨٨/١

(٣) السيرافي : أخبار النحويين البصريين — ط الحلي — القاهرة ١٩٥٥ م — الطبعة الأولى تحقيق الزيني وخفاجي ٢٧

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ٣٨٨/١

(٥) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ط نهضة مصر — القاهرة ١٩٥٥ م تحقيق محمد أنى الفضل

وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية (١) .

فأستاذية يونس لابن سلام أمر له شأنه — وإجازة من عالم خَرَجَ على يديه علماء لهم المنزلة السامقة والمكانة المرموقة .

قيل ليونس لما مات سيويه أن سيويه قد ألّف كتاباً من ألف ورقة في علم الخليل ، فقال : ومتى سمع سيويه من الخليل هذا كُله ؟ جيئوني بكتابه . فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى ، قال : يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل ، فيما حكاه . كما صدق فيما حكى عنى (٢) .

ويخيل إلى أن يونس ليس بحاجة لكل هذه الجلبة ، والأحسن أن أدع ابن سلام يقص علينا بعض جوانب استفادته من أستاذه العظيم .

يقول : كان يونس يزورني فأطلب له النبيذ الحلو ، فيتهافت فيه الذباب فيشرب منه القدح ثم يقول : قاتله الله إنه ليشحهن شحناً ، وربما أتي بالنبيذ الحازر فيشرب منه قدحاً ، ثم يقول : قاتله الله : إنه ليقصعهن قصعاً (٣) .

فالصلة بينهما وثيقة ، تتعدى المجالس واللقاءات الخاطفة إلى الصداقة الوطيدة والأستاذية المؤثرة الموجهة ، يسمع ابن سلام أستاذه يفسر ألفاظ القرآن في قوله جل وعلا « فاليوم نُنجيك بِبَدْنِكَ » (يونس — ٩٢) يقول يونس : ننجيك نجعلك على نجوة في الأرض ، وهى المكان المرتفع ، ببदनك : بدركك ، وينشد لأوس بن حجر :

دانٍ مُسِفٍّ فوق الأرض هَيْدَبَةٌ . يكاد يدفعه من قام بالراح
فمن بنجوته كمن بعقوته . والمستكن كمن يمشى بقرواح (٤)

ويسأله عن قوله تعالى « إنما أنت من المُسَحَّرِينَ » (الشعراء — ١٥٣) فيقول يونس : من المَعْلَلين ، وينشد لامرئ القيس :

(١) السيرافي : أخبار النحويين ٢٧ — وانظر في ترجمته أبا الطيب اللغوى : مراتب النحويين ٢١ ،

والزبيدي : طبقات النحويين ٤٨

(٢) الزبيدي : طبقات النحويين ٤٨

(٣) المرجع السابق : الحازر : أى الحامض الشديد .

(٤) القالى : ذيل الأمالي ١٩/٣

عصافير وَذُبَّانٌ وَدُودٌ .: وَتُسَحَّرُ بالطعام وبالشراب
وللبيد :

وإنَّ تَسْأَلِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا .: عَصَافِيرُ من هذا الأنام المُسَحَّر
نَحِلْ بلاداً كُلُّهَا حَلَّ قَبْلُنَا .: وَنَرْجُو الفَلاحَ بعد عادٍ وَحَمِيرٍ
والسحر أيضا : الاستهواء وذهاب العقل (١) .

وَيُرَوَّى أيضا عنه شيئا عن سير الرجال ، وكيف أن عبيد بن أبي وجزة السعدي
كان عبدا ، يَبِيعُ بسوق ذي المجاز في الجاهلية ، فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر
بن عميران قصبية بن نصر بن سعد بن بكر بن حوزان . فأقام عنده زمانا يرعى
أبله ثم إن عبيدا ضرب ناقة لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيد إلى عمر
بن الخطاب رضي الله عنه مستعديا فلما قدم عليه قال : ياأمير المؤمنين أنا رجل
من بنى سليم ثم من بنى ظفر أصابني سباء في الجاهلية ، كما يصيب العرب من
بعض وأنا معروف النسب وقد كان رجل من بنى سعد ابتاعني ، فأساء إلى
وضرب وجهي ، وقد بلغني أن لاسباء في الإسلام ، ولا رق على عربي في
الإسلام ، فلما فرغ من كلامه حتى أتى مولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
على أثره — فقال ياأمير المؤمنين ، هذا غلام ابتعته بذي المجاز وقد كان يقوم في
مالي فأساء ، فضربتة ضربة والله ما أعلمني ضربته غيرها قط ، وإن الرجل ليضرب
ابنه أشدَّ منها فكيف بِعَبْدِهِ ، وأنا أشهدك أنه حر لوجه الله تعالى فقال عمر
لعبيد ، قد امتن هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البينة ، فان أحببت فأقم معه فله
عليك مِئَّةٌ ، وإن أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعدي وانتسب إلى بنى
سعد بن بكر بن هوازن وهكذا إلى آخر القصة (٢) .

فيونس قد أحاط بابن سلام ، وابن سلام قد استوعب يونس الذي عاش ثمانية
وثمانين عاما لم يتزوج ولم يَتَسَرَّ ولم يكن له هِمةٌ إلا طلب العلم ومحادثة الرجال ، وله

(١) أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم — الفاخر — ط وزارة الثقافة ١٩٦٠ م — ١٦٤ تحقيق عبد
العليم الطحاوي

(٢) الأغاني : ط الوزارة ٢٣٩/١٢

من الكتب كتاب « معاني القرآن » وكتاب « اللغات » وكتاب « النوادر » الكبير وكتاب الأمثال وكتاب « النوادر الصغير »^(١) وقد روى ابن سلام أحد كتابي النوادر كما يذكر السيوطي^(٢) وأعتقد أن كتاب « الفاضل في مَلَح الأخبار والأشعار » لابن سلام قد اقتدى فيه نهج كتابي « النوادر » ليونس كذلك يمكن أن يكون الأمر بالنسبة لكتب « غريب القرآن » لابن سلام فأغلب الظن أن ابن سلام قد استرشد فيه بكتاب « معاني القرآن » ليونس .

وهكذا يحاول ابن سلام جاهدا أن يكمل الطريق التي اختطها أستاذه ، ولكن دون أن يفقد شخصيته .

وحديثنا عن يونس وأخباره التي رواها عنه ابن سلام — على الرغم من كثرتها وتعدد ميادينها ، يجب ألا تنسينا أستاذا آخر ، له فضل الأسبقية ، وفضل التربية وفضل الإرشاد والتوجيه وهو (سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي — الأب —) صحيح أنه جليس يونس في حلقة^(٣) ولكنه لم يصل لدرجة التفرغ والانقطاع للعلم، فَوَجَّه ابنه فأحسن توجيهه ، ودفعه دفعا إلى يونس ، وأضرابه من العلماء ، أو بمعنى أصح إلى يونس وتلاميذه من العلماء فكان له أكبر الأثر في نفس ابن سلام فسَجَّل عنه كُلُّ ما أخبره به ، وأعتقد أن إعجاب ابن سلام الأب بيونس هو الذي دفعه أن يشجع ابنه على سلوك نفس المسلك ليصل إلى إلهدف الذي قَصَّرَ هو عنه . وقد كان ماتمنى وفوق ماتمنى .

فيونس أكثر عددا من ناحية الأخبار في الإحصائية ، وسَلَّام الأب أقل أخبارا منه ولكنه يسبقه ويأتي في المرتبة الأولى أثرا وتأثيرا وتربية وتعلima بالنسبة لابن سلام . وابن سلام يروي أخبارا عديدة عن أبي العَرَّاف السُّلَمي ، وهو عمرو بن مَرْثَد شاعر معروف سندي^(٤) وَعَمَى كثيرا من أخبار الشعراء ، فأمدَّ ابن سلام بكل ما رواه لنا عن الثلاثي الهجاء الفرزدق وجريير والأخطل .

(١) ابن النديم : الفهرست ٦٩

(٢) السيوطي : المزهر ٢٨٩/٢

(٣) ابن سلام : الطبقات ١٥

(٤) المرزباني : معجم الشعراء ٣٠

ففي كتاب الطبقات لأبي الغراف واحد وثلاثون خبراً^(١) رواها عنه ابن سلام ذهب عشرون منها في جرير والفرزدق والأخطل ، وخمسة في ذي الرمة ، وما بقي دار حول الراعي وابن لجأ وأبي يزيد والعمير السلولى وعبد الله بن همام وأخيراً يزيد ابن الطثريّة .

فأبو الغراف من بُنَاة الجانب الروائي في شخصية ابن سلام ، فلولا ماسجله التلميذ لأستاذه لما سمعنا عنه إلا النذر القليل ، وأخباره لاتدور فقط حول أحداث الشعراء ولكنها تحتوى اللفتات النقدية اللامحة أيضاً .

فقد روى ابن سلام عن أبي الغراف ، أن النابغة هاجى أوس بن مغراء ، قال أبو الغراف : ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعراء — فقال النابغة — إني وإياه لنبتدر بيتاً أينما سبق إليه غلب صاحبه ، فلما بلغه قول أوس :

لَعَمْرُكَ مَا تَبْلَى سَرَائِلَ عَامرٍ .: مِنَ اللَّوْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا

قال النابغة : هذا البيت الذى كنا نبتدر به إليه ، فغلب أوس عليه^(٢)

فإذا كان يونس قد كَوَّنَ ابن سلام لغةً ونحواً ونقداً وشعراً وسير رجال ، فأبو الغراف ، قد كَوَّنَ معه الجانب الروائي الخاص بالشعر والشعراء ، شعراء الدولة الأموية عامة ، الشعراء الثلاثة الهجائيين بخاصة .

والميادين التى قاد يونس ابن سلام لها ، هى نفس الميادين التى قاده لها أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ميادين اللغة والنحو والأنساب والشعر والنقد وسير الرجال ثم التفسير .

والميادين الروائية الشعرية والنقدية التى فتحها أبو الغراف لابن سلام هى أيضاً التى سار فيه أمامه أبو يحيى الضبى ، وأما شعيب بن صخر بن عبد الرحمن الجمحى ، فقد كان يمدّه بأصول اللغة كما تعود أن يَدْرُسَهَا على يد يونس وأبي

(١) ذكرنا فيما سبق : فى الإحصائية أن لأبى الغراف أربعة وعشرين خبراً وهذه الثلاثون هى الأخبار السابقة التى اشترونا فيها توافر وجود أستاذ ابن سلام وهو تلميذ له ، بالإضافة إلى سبعة أخبار لم يتوافر فيها الشروط فيكون المجموع واحداً وثلاثين خبراً . وهذه الظاهرة تتكرر مع غيره .

(٢) الأغاني : ط الوزارة ١٢/٥ ، المرزبانى : الموشح ٩٢

عبيدة ثم تارة يُمَدُّه بأخبار الشعراء كما تعود أن يستقيها من أبى الغراف وأبى يحيى الضبى .

وكلهم مع غيرهم ساروا متساندين متكاتفين لِيُخَرِّجُوا على أيديهم ، ناقدنا الروائى العظيم أبا عبد الله محمد بن سلام الجمحي .

وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى ، التيمى من تيم قريش ، وهو مولى لهم ويقال هو مولى لبنى عبد الله التيمى . أبو عبيدة هذا كان من أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم (١) وبالشعر والغريب والأخبار (٢) قد اجتمع له علم الإسلام والجاهلية وكان ديوان العرب فى بيته (٣) يقول عن نفسه ، إنه ما التقى فارساً فى جاهلية ولا إسلام إلا عرفهما وعرف فرسئهما (٤) ويشهد له ابن سلام فى طبقاته بأنه والأصمعى كانا من أهل العلم (٥) .

وأبو عبيدة أخبر ابن سلام بذلك الخبر المشهور المتصل بقضية انتحال الشعر والذي يقول له : إن ابن داود بن مقيم بن نوية قديم البصرة فى بعض ما يُقَدِّمُ له البدوى فى الجلب والميرة ، فنزل النحيت ، فأثبته أنا وابن نوح العطاردى ، فسألناه عن شعر أبيه وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ، فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام مُتَمِّم ، وإذا هو يحتذى على كلامه ، فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهد بها ، ولما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله (٦) .

ولمثل هذه الحادثة وشبهاتها نبه العلماء ، وسجل ابن سلام ، وظهر كتاب الطبقات مثقلاً بكل الجهود التى بُذِلَتْ لتلافى الوقوع فى مأزق الشعر الموضوع ومشكلاته .

(١) الزبيدى : طبقات النحويين — ١٩٥

(٢) السيرافى : أخبار النحويين ٥٣

(٣) الزبيدى : طبقات النحويين ١٩٥

(٤) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين ٤٥

(٥) ابن سلام : الطبقات ٢٣

(٦) المصدر السابق ٤٧ و ٤٨ .

ب — تلاميذه :

إن عظمة الأستاذ العالم لا تتوقف عليه ، بل تتعداه إلى كل تلميذ تتلمذ على يديه ، فتكون هذه العظمة سبباً في شهرة التلميذ ، وأيضاً تمنح التلميذ من الصيت والسمعة الطيبة ما يُحْمَلُ لِه مسئوليّة الظهور بالمظهر اللائق أمام الناس .

وهذا ابن سلام قد تتلمذ على يد يونس بن حبيب أستاذ العلماء : .سيبويه والكسائي والفراء وأبي عبيدة وغيرهم . فاكسب من عظمة أستاذه رفعة ، ومن شهرته ثقة ، ومن علمه إجازة ، تمنحه قدرة الوقوف منفرداً في ميدان العلم والعلماء .

ويأتى دور التلاميذ، والحق ، أنه قد نَحَرَج تلاميذ علماء، فأصبح ابن سلام تلميذا لأستاذ العلماء ، وأستاذا للتلاميذ العلماء ، وكفاه هذا فخراً .

وعندما نذكر أبا خليفة الفضل بن الحباب، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي، والرياشي، وأبا أيوب المديني، وأبا يحيى النحوي، وعُمَر بن شُبَّة، وأحمد بن أبي خيثمة، وعيسى بن إسماعيل، وعندما نقف على عظمتهم ومؤلفاتهم الغزيرة ومملوئنا الإعجاب، فلا بد ألا نغفل عن صانع هذه العظمت .

ومافعلناه في مبحث شيوخ ابن سلام كررناه في الأخبار التي وردت لتلاميذه عنه ، وكانت الإحصائية تدور على نفس الأخبار السابقة ، لاحتوائها على الشيوخ والتلاميذ وهمزة الوصل بينهما ابن سلام الجمحي ، فكانت النتيجة :

عدد أخباره
عن ابن
سلام

اسم ————— روای

١ — الفضل بن الحباب				
الجمحي « أبو خليفة »	»	■	■	١٧١ خبرا
٢ — إسحاق ابن إبراهيم				
الموصلي	»	■	■	٢٦ خبرا

٣ —	عمر بن شبه	»	»	»	١٥ خبرا
٤ —	الرياشي	■	»	»	١٤ خبرا
٥ —	أبو أيوب المديني	■	»	»	١٠ أخبار
٦ —	أبو يحيى النحوي	■	»	»	٦ أخبار
٧ —	أحمد بن أبي خيثمة	■	»	■	٧ أخبار
٨ —	عيسى بن إسماعيل	»	»	»	٦ أخبار
٩ —	راويان روى كل				
	منهما ثلاثة أخبار	■	»	»	٦ أخبار
١٠ —	رواة روى كل				
	منهم خبرين	»	»	»	١٠ أخبار
١١ —	راويا روى				
	كل منهما خبرا	■	»	»	١٦ أخبار
مجموع الرواة ٣١ راويا (أخذوا عن ابن سلام في هذه الإحصائية)					
مجموع الأخبار = ٢٩٠ خبرا					

وما قلناه عن الأستاذية والتأثير والتأثر ، نديره على وجهه الآخر بالنسبة لتلاميذ ابن سلام ، فقد يروى عنه تلميذ العديد من الأخبار ولا يتأثر به ، ويروى تلميذ آخر قليلا من الأخبار ، ولكنه يحاول تقليد أستاذه في كافة أموره .

ومن المشاهد أماننا ، أن للفضل بن الحباب أكثر من نصف الأخبار ، وأنه ترك لثلاثين راويا مائة وتسعة عشر خبرا يتقاسمونها فيما بينهم ، وهذا يرجع لاستعداده الأدبي الفقهي ثم لعامل القرابة .

أما التلميذ الآخر فهو العالم ، أبو محمد اسحاق بن ابراهيم بن بهمن بن نسل (الموصلي) أحد علماء اللغة والغريب وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وكان شاعرا مجيدا (١) كتب الحديث عن سفيان بن عيينة وهشيم بن بشر ، وقد برع في الغناء وغلب عليه فنسب اليه ، وكان إلى جانب ذلك — حسن المعرفة حلو النادرة مليح المحاضرة جيد الشعر معروفا بالسخاء مُعظما عند الخلفاء .

(١) القفطي — انباه الرواه — ٢١٥/١

يحكى عن برنامجه اليومي التعليمي ، بقيت دهرا من دهرى أغلُسُ في كل يوم إلى هشيم أو غيره من المحدثين فأسمع منه ، ثم أصير إلى إلِكسائى أو الفراء وابن غزالة فاقرا عليه جزءا من القرآن ، ثم آتى المنصور زلز فيضاربنى على طريقين أو ثلاثة ، ثم آتى إلى عاتكة بنت شهدة فأخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعى وأبا عبيدة فأنشدتهما وأحدثهما وأستفيد منهما ، ثم أصبو إلى أبى فَأَغْلِمُهُ ماصنعت ، وَمَنْ لَقِيت ، وما أخذت ، وأتغذى معه ، فإذا كان العشى رُحْتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد^(١) .

وقال أحمد بن يَحْيَى النحوى ، رأيت لإسحاق الموصلى ألف جزء من لغات العرب سَمَاعَةً ، وسأله عمر بن شبه عما عنده من الكتب فقال عندى مائة قِمَطر^(٢) .

فهذا تلميذ عالم أقل أدواته الغناء ، بالرغم من أنه اُسْتُهْر به وانتسب إليه وقد عُدَّ له ابن النديم ثلاثة وثلاثين كتابا معظمها يدور حول الغناء والمغنين

وماتحت أيدينا من أخبار — رواها أسحاق عن ابن سلام — رواها عنه ابنه حماد ورواها عنهم جميعا أبو الفرج الأصفهاني ، هذه الأخبار تشير إلى أن إسحاق وجد عنده ابن سلام حصيلة إخبارية عن المغنين لم تتوافر عند غيره ممن يتردد عليهم كأبى عبيدة والأصمعى .

والأخبار التى رواها عنه ستة وعشرون خبرا ، يدور اثنان وعشرون خبراً منها حول ابن سريج وابن عائشة والغريز وطويس والدُّلَال ومعبد وغيرهم ، ثم نجد له من بين كتبه كتاب « أغانى معبد » وكتاب « أخبار طويس » وكتاب « أخبار محمد بن عائشة » وكتاب « أخبار الدلال » وكتاب « أخبار معبد » وابن سريج وأغانيهما^(٣) .

ولو وصلت إلينا هذه الكتب لاستطعنا أن نرى كيف أثر ابن سلام في اسحاق الموصلى الذى توفى بعد ابن سلام بأربع سنين .

(١) البغدادى — تاريخ بغداد ٣٤٠/٦

(٢) القفطى — انباه الرواة ٢١٧/١

(٣) ابن النديم — الفهرست ٢٠٨

ومن أمثلة أخباره عن ابن سلام ، ما ذكره أبو الفرج قال : أخبرني الحسين
ابن يحيى قال : قال : قال حماد : قرأت على أبي عن محمد بن سلام عن جرير بن
أبي الحصين قال : كان ابن عائشة إذا غنّى في صوت له من شعر الحطيئة وهو :

.. عفا من سُلَيْمى مُسْجُلَانِ فَحَامِرُهُ ..

نظر إلى أعطافه في كل رنة ، فسئل يوما — وقد دبّ فيه الشراب — عن
ذلك فقال : أنا عاشق لهذا الصوت ، وعاشق لحديثه ، وعاشق لغريبه ، وعاشق
لقول الحطيئة ، إن الغناء رُقِيَّةٌ من رُقَى ال ... (١) ، ويعجبني فهم الحطيئة بالغناء
وليس هو من أهله ولا بصاحب غناء ، وكيف لأعجب به ومحله منى هذا المحل .
وكان لا يسأله أحد أياه إلا غناه ، فَمَنْ فطن له أَكْثَرُ سؤَاله إياه وكان جرير يقول :
إنه أحسن صوت له وأرقه وأجوده (٢) .

ويقول أبو الفرج أيضا ، أخبرني محمد بن مَزِيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا
حماد ابن اسحاق عن أبيه عن الجمحي ، قال ابن أبي الأزهر — وهو « محمد بن
سلام » غنّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوما بحضرة الوليد بن يزيد :
إِمْدَجَ الْكَأْسَ وَمِنْ أَعْمَلِهَا .. وَاهْجُ قوما قَتَلُونَا بِالْعَطَشِ

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل : نابغة بنى شيبان ، فأمر بإحضاره
فأحضر ، فاستنشد القصيدة فأنشده إياها ، وظن أن فيها مدحا له ، فإذا هو
يتفاخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد ، لو سعد جَدُّك لكانت مديحا فينا ، لا في
بنى شيبان ، ولسنا نُخْلِيكَ على ذلك من حظ ، ووصله ، وانصرف (٣) .

هذا اسحاق الذي كان يملأ أسماع تلاميذه علما وأكمامهم دنائير يجالس الرشيد
والأمين والمأمون والمعتصم والواثق ، وبقي إلى صدر أيام المتوكل ومدحه ، وعجّمي
اسحاق قبل أن يموت بسنتين (٤) .

(١) لفظ تركته لفحشه

(٢) الأغاني : ط الوزارة ٢٣٥/٢

(٣) الأغاني : ط الوزارة ١١٠/٧

(٤) القفطى — انباه الرواة — ٣٦٧/٢

عمر بن شبة :

والأمر يختلف بالنسبة لعمر بن شبة ، وهو ابن عبيدة بن زيد بن رائطة النخعي ، أبو زيد بن أبي مُعَاذ البصري النحوي الأخباري^(١) وكان عالماً بالآثار أدبياً فقهياً صدوقاً وثقة الدارقطني^(٢) روى عن أبي عاصم النبيل وهارون بن عبد الله وإبراهيم بن المنذر ومحمد بن سلام^(٣) .

والأخبار الخمسة عشر التي رواها عن ابن سلام — تنقسم إلى ستة أخبار في المغنين ، وخبرين في اللغة ، وخبرين في النقد ، وخمسة أخبار في الشعر والشعراء .

ولو وصل إلينا شيء من كتبه لاستطعنا أن نحصل على عدد أكبر من الأخبار التي استقاها عمر بن شبة من ابن سلام ، ولكن قد أورد له السيوطي نصاً وذكر أنه من كتابه « طبقات الشعراء » ، وهذا الكتاب يُذكر له في الفهرست باسم « الشعر والشعراء »^(٤) ولا أريد أن آخذ من النص سوى مدى تأثير ابن سلام في تلاميذه ومدى تشبعهم بروحه في كتبه .

يقول عمر بن شبة (للشعر والشعراء أول لا يُوقَف عليه ، وقد اختلف في ذلك العلماء وادّعت القبائل ، كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ، ولم يدّعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة ، لأنهم لا يُسمّون ذلك شعراً ، فادعت اليمانية لامرئ القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهلhel ، وبكر لعمر بن قميئة ، والمرقش الأكبر ، وإياد ، لأبي ذؤاد قال : وهؤلاء النفر المدّعى لهم التقديم في الشعر متقاربون ، لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها^(٥) .

وهذا النص ينقلنا بسرعة إلى مقدمة طبقات ابن سلام حين يقول : وقد اختلف الناس والرواة فيهم (أي في الشعراء) فنظر قوم من أهل العلم بالشعر

(١) المعقلاني : تهذيب التهذيب : ٤٠٦/٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٨/٢

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ٢٦١

(٣) ابن النديم : الفهرست ١٦٩

(٤) ابن النديم : الفهرست ١٦٩

(٥) السيوطي : المزهر ٤٧٧/٢

والنفاذ في كلام العرب والعلم بالعربية ، إذا اختلفت الرواة ، فقالوا بأرائهم وقالت العشائر بأهوائها (١) وحين يقول « ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته وإنما قصّدت القصائد » وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف (٢) وحين يقول « وكان أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل (٣) وحين يقول « وكان شعر الجاهلية في ربيعة : أولهم المهلهل والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيّب بن علس ... (٤) .

ومن أمثلة ما رواه عمر بن شبة ، عن ابن سلام قوله : حدثني محمد بن يحيى أبو غسان قال : تفاخر مولى لعمر بن أبي ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعرهما ، فقال مولى عمر ، دعني منك فإن مولاك والله لا يعرف المنازل إذا قلبت — يعني قول الحارث :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ رَمْنِي عند الجَمَارِ تُؤَوِّدُهَا الْعُقْلُ
لو بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينَهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَغْلُو
فيكاد يعرفها الخبير بها فَيُرْدُّهُ الْأَقْوَاءُ وَالْمَحِلُ
لعرفت مغناها بما احتملت رَمْنِي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

قال عمر بن شبة :

« وحدثني محمد بن سلام بهذا الخبر على نحو مما ذكره أبو غسان وزاد فيه فقال مولى ابن أبي ربيعة لمولى الحارث : والله ما يحسن مولاك في شعر إلا تُسبِّبَ إلى مولاي (٥) .

مثله ما ذكره المرزباني قال : كتب إلي أحمد بن عبد العزيز : أخبرنا عمر بن

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٤

(٢) ابن سلام : الطبقات ٢٦

(٣) المصدر السابق ٣٩

(٤) المصدر السابق ٤٠

(٥) الأغاني : ط الوزارة ٢١٣/٣

شَبَّهَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَبَادِ بْنِ الْحِجَابِ أَبِي الْخَطَّابِ — وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الشَّعْوَبيَّةِ ، وَكَانَ عَالِماً بِالشَّعْرِ مَائِلاً إِلَى الْأَخْطَلِ مُتَعَصِّباً بِالرَّبِيعِيَّةِ ، أَتَرَى الْأَخْطَلَ مَجِيداً فِي مَدِيحِهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ حَيْثُ يَقُولُ :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ . . . لِأَزْهَرِ لَا عَارِي الْخِيَانِ وَلَا جَذِبِ
فَقَالَ : نَتَفِ ابْنَ النَّصْرَانِيَّةِ إِبْطِيه (١) .

وَإِذَا كَانَ مَا أَخَذَهُ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ مِنْ ابْنِ سَلَامٍ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الطَّابِعُ الْغَنَائِيُّ ،
فَإِنَّ الَّذِي يَقِفُ فِي نَهَايَةِ طَرِيقِهِ — الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ أَبُو الْفَضْلِ الرِّيَاشِيُّ .
وَالرِّيَاشِيُّ :

مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ (٢) قَرَأَ عَلَى الْمَازِنِيِّ النَّحْوِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمَازِنِيُّ اللُّغَةَ (٣) وَكَانَ رَاوِياً لِلْأَصْمَعِيِّ (٤)
وَكَانَ يَحْفَظُ كُتُبَ أَبِي زَيْدٍ وَالْأَصْمَعِيِّ كُلِّهَا وَقَرَأَ عَلَى أَبِي عَثْمَانَ الْمَازِنِيِّ « كِتَابُ
سَيَبَوِيهِ » (٥) .

وَعَنْ صِلَتِهِ بِابْنِ سَلَامٍ يَقُولُ أَبُو خَلِيفَةَ الْجَمْحِيُّ ، كَانَ الرِّيَاشِيُّ يَخْتَلِفُ إِلَى أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ يَسْتَعِيرُ مِنْهُ كِتَابَهُ فِي « الطَّبَقَاتِ » ، فَكَانَتْ أَخْرَجَ إِلَيْهِ جُزْءاً أَجْزَاءً ، فَقِيلَ
لِلرِّيَاشِيِّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : لَوْ عَاشَ يَوْمِينَ لَسَمِعْتُهُ مِنْهُ (٦) فَالرِّيَاشِيُّ أَتَى لِابْنِ سَلَامٍ
مِنْ جَانِبٍ غَيْرِ الْجَانِبِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ إِسْحَاقُ ، وَجَدَ إِسْحَاقَ بَغِيْتَهُ فِي أَخْبَارِ
الْغَنَاءِ وَالْمُغَنِّينَ ، بَيْنَمَا نَشَدَ الرِّيَاشِيُّ فِي ابْنِ سَلَامٍ اللُّغَةَ وَالنَّقْدَ وَأَخْبَارَ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ
وَالْمُلُحِّ وَسِيرَ الرِّجَالِ ، وَلَا غَرْوَ قَدْ كَانَ يَسْتَعِيرُ كِتَابَ الطَّبَقَاتِ ، وَلَوْ بَقِيَ ابْنُ
سَلَامٍ يَوْمِينَ لَسَمِعْتُ كِتَابَهُ مِنْ حَفِظِ الرِّيَاشِيِّ — وَكُتِبَتْهُ الَّتِي أَلْفَهَا تَلَقَّى الضُّوءُ عَلَى
تَخَصُّصِهِ وَعَلَى مَدَى اسْتِفَادَتِهِ مِنْ ابْنِ سَلَامٍ وَزَمَلَائِهِ الْعُلَمَاءِ .

(١) المَوْشَحُ : الْمَرْزَبَانِيُّ ٢٢٥

(٢) الْقَفْطِيُّ : إِنْبَاهُ الرِّوَاةِ ٣٦٧/٢ ، وَانْظُرِ الزَّيْدِيُّ : طَبَقَاتُ التَّحْوِينِ ١٠٣

(٣) السَّيَوْتِيُّ : بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٢٧٥

(٤) الْعَسْقَلَانِيُّ : تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ١٢٤/٥

(٥) الْقَفْطِيُّ : إِنْبَاهُ الرِّوَاةِ ٣٦٨/٢

(٦) أَبُو الطَّيِّبِ اللَّغَوِيُّ : مَرَاتِبُ النُّحَوِيِّينَ ٦٧

فقد صنف « كتاب الخيل » و « كتاب الإبل » وما اختلف أسماؤه من كلام العرب (١) قال أبو بكر بن دريد ، رأيت رجلا من الوراقين بالبصرة يفضل كتاب المنطق ليعقوب بن السكيت ويقدم الكوفيين ، فقبل للرياشي وكان قاعدا في الوراقين . فقال : إنما أخذنا اللغة عن حُرْشَة الضَّبَّاب ، وأَكَلَة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السَّود ، وأصحاب الكواميخ ، وأَكَلَة الشواريز ، أو كلام يشبه هذا (٢) .

وما حكاه أبو الفرج قال : أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي . قال حدثنا الرياشي عن ابن سلام . قال : كان أبو الأسود الدؤلي قد أَسَنَّ وكَبَّرَ ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد ، والسوق ، ويزور أصدقاءه فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ، ولو لزمتم منزلتك كان أودع لك . فقال له أبو الأسود : صدقت ولكن الركوب يشد أعضائي ، وأسمع من أخبار الناس مالا أسمع في بيتي ، وأستنشي الريح ، وألقى إخواني ، ولو جلست في بيتي لأغتم بي أهلي ، وأنس بي الصبي ، واجترأ على الخادم ، وكلمني من أهلي مَنْ يهاب كلامي ، لإلفهم إياي ، وجلوسهم عندي ، حتى لعل العنز أن تبول عليّ فلا يقول لها أحد هُسن (٣) .

وقال أبو سعيد ، مات الرياشي ، فيما حدثني به أبو بكر بن دريد سنة ٢٥٧ هـ بالبصرة ، قتلته الزنج (٤) .

وفي هذا المجال وشيئيه — يسير تلاميذ ابن سلام — علماء اللغة والأدب والنقد ، يجدون ما يشبعهم ويكمل النقص لديهم ، وأصحاب الغناء والمغنين والمُلح والنوادر ، يجدون أيضا ما يبحثون عنه عند ابن سلام .

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٢

(٢) السيرافي : أخبار النحويين ٦٨ ، الكاغي : آدم يؤكل لشهى الطعام ، والشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب .

(٣) الأغاني : ط الوزارة ٣٠١/١٢ ، وهسن : زجر للغنم

(٤) القفطي : إنباه الرواة ٣٦٩/٢

ثالثا — كتبه :

يذكر ابن النديم أن لابن سلام من الكتب ، كتاب « الفاصل في ملح الأخبار والأشعار » و « كتاب بيوتات العرب » وكتاب طبقات الشعراء الجاهليين « و « كتاب الحلاب وأجر الخيل » و « كتاب غريب القرآن » (١) .

والأستاذ شاكر يعتقد أن الكتاب الأول اسمه (الفاضل) في ملح الأخبار والأشعار لا الفاصل ، وكذا الكتاب الخامس ، يعتقد أن اسمه الحلاب وإجراء الخيل (٢) . وهما اقتراحان وجيهان .

ويجمل بنا أن ندع الحديث عن كتاب أو كتابين طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين إلى القسم الثاني من البحث .

أما مابقى من كُتِبَ فقد عَجَزْتُ عن التماسها ، فلم يصل إلينا منها شيء يُعَوَّل عليه ، وليس أماننا إلا كتاب الأغاني — فيممت شطره — وجمعت ما فيه من أخبار مصدرها ابن سلام فوجدتها قد بلغت ٢٤٥ خبرا موزعة على الكتاب من جزئه الأول إلى الجزء الحادى والعشرين ، ومن ثمَّ حذفت الأخبار الموجودة منها في الطبقات ، فَتَبَقِيَ (١٢٢) خبرا لوجود لها في كتب الطبقات فواصلت البحث في أمهات كتب الأدب فتجمع لدى بعد حذف الأخبار المكررة أو الموجودة بنصها في الطبقات (٦٢) خبرا وأصبح المجموع ١٨٤ خبرا ، وتوقفت ، ولو واصلت البحث لوجدت المزيد ، ولكننى اكتفيت من الغنيمة بالإياب ، ولم أطمع في جمع أحد أصول كتبه ، لأننى حتى لو جمعت كل مادته فلا يصح أن أدعى أنى عثرت على كتاب من كتب ابن سلام المفقودة — لذا توقفت .

وأغلب الظن أن هذه الأخبار ، نماذج لهذه الكتب ونُقُول ، وأستطيع أن أقترح نسبة بعضها إلى كتاب بعينه من هذه الكتب ، فَثُمَّ هذا الخبر :

قال ابن سلام : إذا كُنْتُ من تَمِيمَ ففَإِخْرُ بِحَنْظَلَةٍ ، وكَاثِرُ بِسَعْدٍ ، وَحَارِبُ

(١) ابن النديم : الفهرست ١٧١ ، ٥٨

(٢) محمود شاكر : مقدمة الطبقات ١٤

بعمر ، وإذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن ، وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ، ففاخر بشيبان وكاثر بشيبان وحارب بشيبان^(١) .

وهذا الخبر : قال ابن سلام : فارس اليمن في بني زيد ، عمرو بن معد يكرب وشاعرها امرؤ القيس وبيتها في كِنْدَةَ الأشعث بن قيس ، لا يُخْتَلَفُ في هذا ، وإنما اُخْتَلَفَتْ في نزار — وأما الشرف ، ما كان للنبي ﷺ واتصل بالاسلام ، وقال أبو إياس البصري — كان بيت قيس في آل عمرو بن الظرب العدواني ثم في آل عمرو بن يربوع ثم تحول إلى بني بدر فجاء الإسلام وهو فيهم^(٢) .

أعتقد أن هذين الخبرين إذا وجدنا كتاب «بيوتات العرب» لابن سلام لعثرنا عليهما فيه .

وكذلك الشأن في كتاب «الحلاب وإجراء الخيل» فهناك بعض الأخبار التي يسهل أن تنتمي له بدون تعسف أو افتعال .

فمثلا ما حكاه الجاحظ حين قال في كتابه الحيوان: وكل ضعف دخل على الخلفة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه وعلى وزن مقداره وتمكنه يظهر العجز والعيب ، وزعم الأصمعي أنه لم يسبق الحلبة فرس أهضم قط ، وقال ابن سلام : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء^(٣) .

وأیضا ما ذكره الجاحظ عن ابن سلام عن شعيب بن صخر أنه قال : أرسل مسلم بن عمرو ابن عم له إلى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال له : لا أعلم لي بالخيل ، وكان صاحب قنص ، وقال : أأست صاحب كلاب ؟ قال : بلى ، قال فانظر كل شيء تستحسنه في الكلب فاستعمله في الفرس ، فقدم بخيل لم يكن في العرب مثلها^(٤) .

وهذا الخبر أيضا : ذكر ابن سلام عن يحيى بن النضر عن أبي أمية عبد الكريم

(١) ابن رشيقي : العملة ٢ / ١٩٥

(٢) الألوسي : نهاية الأرب : المطبعة الرحمانية — القاهرة ١٩٣٤م — الطبعة الثانية ١٩٠/٢

(٣) الجاحظ : الحيوان ١ / ١٠٤ ، ٥ / ١٦٦

(٤) الجاحظ : الحيوان ٢ / ٣٦٣

المعلم : قال : كان الحسن بن أهيم يكره صيد الكلب الأسود البهيم (١) .

وحدث شعيب بن صخر ابن سلام : قال جاء رجل على فرس بماء من مياه العرب فقال : عندكم الريح التي تكب البعير ؟ قالوا : لا ، قال : فتذرى الفارس ؟ قالوا : لا ، قال : فكما تكون يكون مطركم (٢) .

وذكر الجاحظ في كتابه (القول في البغال) خبرا لابن سلام يقول فيه : قلت ليويس بن حبيب : ما البرذون من الخيل ؟ فأنشدني :

وإني امرؤ للخيل عندي مزية . . . على فارس البرذون أو فارس البغل وقالوا : إنما ذهب الشاعر من اسم الخيل إلى العتاق (٣) .

فهذه الأخبار من الممكن أن تدخل في نطاق كتاب يدور موضوعه حول « الحلاب وإجراء الخيل » وأعتقد أن ابن سلام لم يذهب بعيدا في كتابه هذا المفقود ، وأن هذه الأخبار من السهل نسبتها لذلك الكتاب ، وإلى أن يظهر عكس ما أقول مؤيدا بالبراهين القاطعة ، فاقترأه قائم .

وأما من ناحية كتابه "ملح الأخبار والأشعار" . فهناك أخبار كثيرة تدخل في نطاقه عن طريق الظن فقط والتشابه بين عنوان الكتاب ومضمون الأخبار ومثل هذا يقال في غيره من الكتب .

فعن الزبيدي ، قال : وجدت في كتابي عن العباس : قال : حدثنا ابن سلام ، قال : قال أبو عبيدة : « كيسان » ، يسمع من الناس ، فيعي غير ما يسمع ، ويكتب في الألواح غير ما وعى ، ثم ينقله من الألواح في الدفتر بغير ما كتب ، ثم يقرأ في الدفتر غير ما فيه (٤) .

وعن أبي الفرج ، أخبرني علي بن سليمان الأنخفش فقال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرد ، ولما يتجاوز ، وذكر ابن النطاح ، هذا الخبر عن ابن سلام

(١) المصدر السابق ٣٦٧/٢

(٢) المصدر السابق ١١٩/٣

(٣) الجاحظ : القول في البغال — ط الحلبي القاهرة ١٩٥٥م — تحقيق الدكتور شارل بلا (١٣٥)

(٤) الزبيدي : طبقات النحويين ١٩٦

وخبر المبرد أتم قال : « كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس ، فوقف عمرو (عمرو بن معد يكرب) إلى جانب خالد بن الصقعب النهدي ، فأقبل عليه يحدثه ويقول : أغرتُ على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم ، فطعنته طعنة فوق وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه ، فقال له الرجل : يا أبا ثور ، إن مقتولك الذي تحدثه . فقال : اللهم غفرا إنما أنت محدث فاسمع ؟ إنما يُتحدث بمثل هذا واشباهه لترهب هذه المعديّة (١) .

وعن الجاحظ : ذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال : قال رجل من أهل الكوفة لهشام بن عبد الحكم (٢) أترى الله عز وجل في عدله وفضله كلفنا ما لانطبق ثم يعذبنا ؟ قال : قد والله فعل ولكننا لانستطيع أن نتكلم به (٣) .

وعن ثعلب : أخبرنا محمد قال : وثنا أبو العباس قال : قال ابن سلام حدثني أبان بن عثمان ، أراد رجل بالمدينة أن يسوء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ويضاربه فجعل يأتي وجوه أهل المدينة فيقول : قال لكم عبيد الله بن العباس تَعَدُّوا عندي ، فجاء الناس حتى مَلَّؤوا عليه الدار ، وعبيد الله غافل ، فقال : ماشأن الناس ؟ قال : جاءهم رسولك أن يتغدوا عندك . فعلم ماأريد به . فأمر بالباب — فأغلق وأرسل إلى السوق في أنواع الفاكهة والأترج والعنب والموز فشغلهم وأمر بالأطعمة فطبخت وشويت فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أتوا بالطعام ، حتى صدروا عنه فقال عبيد الله : أوجود هذا كلما شئت ؟ فقالوا : نعم ، فقلت : لأبالي من أتاني (٤) .

وإذا نظرنا إلى الأخبار التي جمعناها من كتاب الأغاني ولم نجد لها في طبقات ابن سلام سيلفت نظرنا بعض الملاحظات التي يجدر بنا أن نشير إليها :

(١) الأغاني : ط الوزارة ٢٢٢/١٥ ، ٢٢٣ ، والاستيعاف : السبق والتقدم كحدث : ملهم بالقول
(٢) هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه : وكان من متكلمي الشيعة وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام منها في التشبيه ومنها في تعلق علم الباري تعالى (الشهرستاني : الملل والنحل) ١٨٥/١ .

(٣) الجاحظ — الحيوان ١١/٣

(٤) ثعلب : مجالس ثعلب ٣٨/١

فمثلا نلاحظ : أن عمر بن أبي ربيعة له خمسة أخبار تقع في (٦٦/١ ، ٧١/١ ، ٨٢/١ ، ٣٥٧/٢ ، ٢٧٢/١٣) ، ابن سريج المغنى له خمسة أخبار تقع في (٢٦٥/١ ، ٢٩٤/١ ، ٢٩٤/١ ، ٣١٠/١ ، ٣١٤/١) ، والعنبري الشاعر له خبر يقع في (٣٥/٢) ، ومجنون ليلي له خبر واحد في (٣٨/٢) وللحطيئة خبر في (١٥٨/٢) ، ولابن عائشة المغنى سبعة أخبار تقع في (٢٠٣/١ ، ٢٠٤/٢ ، ٢١٧/٢ ، ٢٢٦/٢ ، ٢٢٨/٢ ، ٢٣٥/٢) وابن ميادة الشاء وله ثلاثة أخبار تقع في (٢٦٢/٢ ، ٢٣١/٢ ، ٣٣٢/٢) وكذا بشار بن برد وله تسعة أخبار ، وموسى شهوات الشاعر وله ثلاثة أخبار وأبو العتاهية وله خبر والأقيشر خبران ، وكذا جرير بن عبد المسيح ، والسري بن عبد الرحمن ، وبكر بن النطاح ، وعمرو بن شفيق ، وابن قنبر ، وأبو الزوائد ، وعبيد بن أبي ونخزة السعدى ، والسيد الحميرى ، ومروان بن أبي حفصة ، ودريد بن الصمة ، وأوس بن مغراء .

ونلاحظ أن أخبار المغنين كثيرة ، فابن عائشة المغنى له سبعة أخبار وابن سريج له خمسة أخبار ، والغريزى له خمسة أيضا ، وبقية المغنين وعددهم تسعة تتراوح الاخبار عنهم بين خبر وأربعة ، أما المغنيات وعددهن خمس : حُبَابَة والملا وبصبص وسلامة وجميلة فأخبارهن بين خبر واثنين لكل منهن .

ونلاحظ أن هناك شعراء لهم ذكر في كتاب الطبقات ولهم أخبار ليست موجودة في الطبقات كالفرزدق الذى له ثمانية أخبار ، وكثير وله خبران وكذا النابغة الجعدي وأبو النجم العجلي وذو الرمة والأخطل ورؤبة وزهير وعدى بن الرقاع وعبد بنى الحسحاس وأبو الأسود الدؤلى وجرير والأحوص ، والأخبار عنهم بين خبر وخبرين .

ونلاحظ أيضا أن الأخبار التى تدور حول بشار وعمر بن أبي ربيعة وابن عائشة والغريزى تكون فى مجموعها وتسلسلها شيئا يكاد يكون مستقلا فى حد ذاته وكأنه جزء من كتاب .

وهذه الأخبار يبدو أنها واقع ماضى لكتب وجدت لابن سلام وتداولها الناس ووجدتها أبو الفرج الأصفهاني كاملة فنقل عنها وأكثر النقل ، وهذه الأخبار ،

توسع دائرة الشك التي حول كتاب الطبقات ومدى تمثيله لما كتب ابن سلام فعلاً ، فاذا حذفنا من الأغاني الأخبار التي لم يرد ذكر لأصحابها في كتاب الطبقات ، فماذا في الأخرى التي لأصحابها أخبار في كتاب الطبقات ؟ هل هي بقية لكتاب الطبقات ؟ وهل أخبار ابن ميادة هي التي سقطت من كتاب الطبقات ؟ هل هذه الأخبار مكان الخرم العديد الموجود في الطبقات ؟ لاندري ولا نستطيع أن ندري ..

وأخيراً نقدم كتاباً آخر لابن سلام لم يذكره ابن النديم له صراحة ولكن ذكره ليونس بن حبيب^(١) وعنه يقول السيوطي « وفي « النوادر » ليونس رواية محمد بن سلام الجمحي عنه ، وهذا الكتاب لم أقف عليه إلا أني وقفت على منتقى منه بخط الشيخ تاج الدين بن مكتوم النحوي ، وقال : إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود — قال يونس ، في قوله تعالى : (وَيُهيئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقًا) (الكهف — ١٦) الذي اختار المرفق في الأمر ، والمرفق في اليد ، وقال في قوله تعالى (فَرُّهُمْ مَقْبُوضَةٌ) (البقرة — ٢٨٣) قال أبو عمرو بن العلاء : الرُّهْنُ والرَّهَانُ عربيتان والرُّهْنُ في الرُّهْنِ أكثر ، والرَّهَانُ في الخيل أكثر^(٢) .

هذه صورة غير مكتملة لمؤلفات ابن سلام ، ولعلنا في مستقبل الأيام نعثر على شيء منها لنعطي الرجل حقه وننقذه من تهويماتنا والظنون .

ج — مصادر رواياته

لقد تعددت المصادر التي استقى منها ابن سلام معلوماته الخصبية ، وكانت طبيعة الوضع الثقافي في عصره تضطره إلى مثل هذا ، فاللغة العربية وألفاظها وأشعارها وأحداث أهلها الجاهليين ومن عاشوا في صدر الإسلام والدولة الأموية لم تكن موجودة بنسب متساوية عند هيئة مترابطة يسهل على الإنسان أن يجالسها ويتلقى على يديها العلم ، ولكنها كانت أشتاتاً متفرقة ، والحصول على قدر كاف منها يتطلب الرحلة والجهد والمال والعناء .

(١) ابن النديم : الفهرست ٦٩

(٢) السيوطي : المزمهر ٢٨٩/٢

والأخبار التي لدينا لابن سلام تحدد لنا مصادر أربعة ، استقى منها وارتوى ما بها من ثقافات متباينة ، ولا أستطيع أن أرتبها حسب أهميتها ، لأنني أعتقد أنها جميعا سارت في خط متساو ولم يترتب أحدها على الآخر ، والمصادر هي العلماء ، والأعراب الفصحاء ، والشعراء ، والكتب والمكتبات .

وأما العلماء فمنهم مَنْ تخصص في رواية الشعر وفنونه كحماد الراوية والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم ومنهم علماء اللغة الذين تخصصوا في فقه اللغة وأسرارها كيونس بن حبيب وسيبويه وغيرهما .

وأما أهل البادية ، فهم الذين يحملون القدر الكبير من تراث اللغة العربية لأنها لغتهم وحياتهم — وكان الأمر في بدايته لا يلفت النظر أن يسأل حضري بدويا في كلمة فصيحة أو بيت شعر غريب ، وعندما استفحل الأمر وانتشر اللحن على الألسن فزع العلماء والرواة والشعراء إلى البادية يستنجدون بأعرابها ، وبدأ الأعراب يرحلون إليهم في المربد بالبصرة ليسألهم السائلون عما يريدون بعد أن يدفعوا الثمن كأبي البيداء الرياحي وأبي مالك عمرو بن كركرة . والوحش أبي ثروان العكلي وأبي ضمضم الكلبي وأبي العميث^(١) رأما أن يرحل إليهم ، وأما أن يلتقى بهم في المجالس والأسواق .

والمصدر الثالث هم الشعراء أنفسهم ورواتهم ، ولابد من لقائهم والسماع منهم ومناقشتهم الشعر وفنونه ، فهم الطبقة التي جمعت مع لغة العلماء وأهل البادية موسيقية اللغة ، ورهافة الحس ، وفنية اللفظات ، والكتب هي المصدر الرابع .

وقد تفرس ابن سلام بهذه المصادر وعانها معاناة متواصلة ، وإلى إن وصل إلى درجة العلماء الأوائل الملمين بجوانب اللغة والنحو والشعر والنقد .

وأمثلة قليلة من الأخبار ستوضح ماذهب إليه من أثر هذه المصادر في تكوين ابن سلام العقلي .

أما العلماء فكان ابن سلام يجالسهم ويسألهم ويسمع منهم .

(١) ابن النديم : الفهرست ٧١ — ٨٠

قال : كان سيبويه النحوى جالسا فى حلقاته بالبصرة ، فتذاكر أشياء من حديث قتادة ، فذكر حديثا غريبا ، وقال : لم يَرَوْ هذا إلا سعيد بن أبى العُرُوبَةِ ، فقال له بعض ولد جعفر بن سليمان ، ماهاتان الزائدتان يا أبا بشر ؟ فقال : هكذا يقال : لأنَّ العُرُوبَةَ هى الجمعة ، ومن قال عُرُوبَةَ فقد أخطأ ، قال ابن سلام فذكرت ذلك ليونس ، فقال : أصاب الله دره (١) .

وسأل يونس بن حبيب : إياك زيدا أُنَجَّوْزُها ؟ قال : وهو من الإغراء قال ابن إسحاق الفضل بن عبد الرحمن :

إياك إياك المِرَاءَ فإنه : إلى الشر دَعَاءٌ وَلِلْعَنَى غَالِبٌ (٢)
ثم يسمعه مشايخه يقولون :

لم يكن للعرب بعد الصحابة ، أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ولا كان فى العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع (٣) .

وهكذا يمدح العلماء بما لديهم ويكمل هو نفسه وثقافته بما يسمع من الأعراب وبما يجيبون به عن أسئلته ، وما يلاحظ من طريقة نطقهم وكل ما يمكن أن يُعِيَهُ منهم .

ويقول : رأيت أعرابيا من بنى أسد أعجبني ظَرْفُهُ وروايته ، فقلت له : أيهما عندكم أشعر ؟ قال : بيوت الشعر أربعة ، فخر ومدح وهجاء ونسيب ، وفى كلها غلب جرير :

قال فى الفخر :

إِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ .. حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

وفى المديح :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا .. وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

(١) الزبيدي : طبقات النحويين ٦٧ والزائدتان هما ، ادخال الألف واللام وفتح العين .

(٢) المرزبانى : معجم الشعراء ١٧٩

(٣) عبد الواحد اللغوى : مراتب النحويين ٢٨ ، السيوطى : المزهر ٤٠١/٢

والهجاء :
فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ .: فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

والنسيب :
إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ .: قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا (١)

ويحدثه شيخ من ضبيعة أن جريرا خرج إلى الشام ، فنزل منزلا بنى تغلب .
فخرج مثلثا عليه ثياب سفره ، فلقى رجل لا يعرفه ، فقال : ممن الرجل ! فقال
من بنى تميم ، قال : أما سمعت ما قلت لعاوى بنى تميم ، فأنشده مما قال لجرير .
فقال : أما سمعت ما قال لك عاوى بنى تميم فأنشده . ثم عاد الأخطل ، وعاد
جرير في نقضه حتى كثر ذلك بينهما — فقال التغلبي : من أنت ؟ لا حياك
الله ، والله لكأنك جرير ، قال : فأنا جرير ، قال : وأنا الأخطل (٢) .

أما عن الشعراء فينشده ابن قنبر الشاعر لنفسه :
صَرَمْتَنِي ثُمَّ لَا كَلَمْتَنِي أَبَدًا .: إِنْ كُنْتُ تُحْنُثُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ
وَلَا اجْتَرَمْتُ الَّذِي فِيهِ خِيَانَتُكُمْ .: وَلَا جَرَتْ خَطَرَةٌ مِنْهُ عَلَى بَالِي
قال ابن سلام : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا ، لقد بالغت في اليمين ،
فقال : هي عندي كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي (٣) .

ثم هو يسأل بشارا المرعث ، أى الثلاثة أشعر ؟ فقال : لم يكن الأخطل
مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له فأفرطت فيه ، فيقول له ابن سلام : فهذان ؟
فيقول بشار : كان لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار
فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير ، فيقول ابن سلام ، وأى شعر لجرير في المراثي ،
إلا التى رثى بها امرأته ، فأنشده بشار لجرير يرثى ابنه سواده وقد مات بالشام :
قالوا نَصِيبُكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتَ لَهُمْ .: كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتَ أَشْبَالِي
فَارَقْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي .:

وحين صرت كعظم الرمة البالى
الآيات (٤)

(١) الأغاني : ط الوزارة ٦/٨

(٢) الأغاني : ط الوزارة ٣١٧/٨

(٣) الأغاني : ط الوزارة ١٦٥/١٤

(٤) الأغاني : ط الوزارة ١٠/٨ ، ٦٠

وهو يذاكر مروان بن أبي حفصة جريرا والفرزدق فيقول : أحكم في الثلاثة
 بشعر فإن الكلام يرويه كل قوم بأهوائهم ، فقال :
 ذهب الفرزدق بالفخار وإنما : . . . حلوا الكلام ومرة لجرير
 ولقد هجا فأمض أخطل تغلب : . . . وحوى اللهى بمدح المشهور
 كل الثلاثة قد أجاد فمدحه : . . . وهجاؤه قد سار كل مسير
 الأبيات (١)

وأما عن الكتب — فقد كان عصر ابن سلام عصر الكتب وتأليفها ونقلها
 من لغاتها والتنافس في نسخها ، كيف لا ، وقد انتشرت المكتبات الخاصة في
 بيوت الناس وقرأنا عن كثرتها الأخبار الموثقة في الأغاني والبيان وغيرهما وكفانا
 دليلا وجود « بيت الحكمة » ، والقائمين فيه على النسخ والتأليف والنقل واشتداد
 نشاطهم في عهد المأمون وغيره ممن خلفه ، وقد تعجب حين نسمع أن الكتب
 التي أحبها الجاحظ وكدها في بيته كانت سببا في قتله ، حين سقطت عليه وهو
 جالس وكان عليلا ، كما يحكى لنا أبو الفدا (٢) ونددهش حين نعلم أن استعارة
 الكتب كانت موجودة بل وعادة الاستهانة بالكتب المستعارة أو عدم ردها كانت
 موجودة أيضا (٣) .

وكان ذلك سببا في أن كره بعض الأدباء والعلماء إعاره كتبهم خوفا عليها قال
 رجل لأبي العتاهية : أعزني كتابك ، فقال : أنى أكره ذلك . فقال الرجل : أما
 علمت أن المكارم موصولة بالمكاره ، فأعاره الكتاب (٤) وطلب الشافعي من محمد
 ابن الحسن كتبها فمنعها فكتب الشافعي شعرا (٥) .

(١) ابن سلام : الطبقات ٣٧٨ أقض : أحرق وآلم وأوجع — واللهى جمع لهوة وهى العطية تكون
 أفضل العطاء وأجزله .

(٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر : ٤٧/١ ، الطبعة الأولى — المطبعة الحسينية ١٢٢٣ هـ ، وانظر
 ابن الاثير — الكامل : ٣٨/١١ .

(٣) المقرئ « الخطط » ٣/٣٦٦ .

(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم : ط القرى ١٣٥٨ هـ الباب الرابع ٥٢

(٥) المصدر السابق : ص ٥٣ قال :

ياذا الذى لم تر عين منظرا مثله . . . العلم يأبى أهله أن يمنعه أهله

وبعد فهذه أمثلة عن المصادر التي أرى أنها كانت المصدر الرئيسي في تكوين ابن سلام ، أعراب وعلماء وشعراء ورواة ثم كتب ومكتبات . وأستطيع أن أضيف لهم المجالس الأدبية التي كانت تقام للمناقشة والمدارسة والمنافسة ، وقد كانت تتناول بطبيعة الحال ، الأدب واللغة والنقد والتاريخ والسير والمُلح والنوادر بجانب ما استحدثه الشعراء من أشعار وما استجد من أفكار في ميدان اللغة والنحو والنقد (١) .

هـ - اتجاهاته

الاتجاهات هي النزعات الأساسية في العالم أو المفكر، أي الجانب الذي يدل على بقية جوانب التخصص ، الذي يعمل فيه ، مع الإحاطة التامة بمختلف الجوانب المكونة لميدان هذا التخصص .

فالعالم لا ينال تقدير العلماء والمؤرخين ، إلا حين يصل لدرجة عليا من الاتقان التام لمادته المعروف بها . وغادة ماتكون هذه المادة محتوية على فروع تتشعب ولكنها تصب في مجرى واحد مستهدفة غرضا واحدا . وعن طريق تراث العالم أو المفكر يمكن أن نحدد الميدان الذي برع فيه داخل حدود تخصصه .

وابن سلام — مثلا — يرى أبو الطيب اللغوى أنه ثقة جليل (٢) ويرى ابن الأثير أنه عالم بالأخبار وأيام الناس (٣) ويرى الخطيب أنه من أهل الأدب (٤) والعسقلاني يرى أنه من أئمة الأدب (٥) وتدور آراء العلماء في هذه الدائرة ، فهو ثقة جليل (٦) وهو من أعيان أهل الأدب (٧) وهو راوية عالم بالأخبار (٨) وهو من

(١) المرزبالي : الموشح ١٨٥

(٢) أبو الطيب : مراتب النحويين : ٦٧

(٣) ابن الأثير : الكامل ١٠/٧

(٤) البغدادي : تاريخ بغداد : ٣٢٧/٥

(٥) العسقلاني : لسان الميزان ٦٦/٣

(٦) السيوطي : الزهر ٤٠٥/٢

(٧) الحموي : معجم الأدباء ٢٠٤/١٨

(٨) خير الدين الزركلي : الأعلام — ط القاهرة ١٩٢٨ م ٩٠١/٣

جملة أهل الأدب (١) وهو أخباري حافظ (٢) وهو من أهل العلم والفضل والأدب (٣) وهو أخباري حافظ (٧) وهو أحد الأخباريين الرواة (٨) وهكذا ، ولم يذهب غير هؤلاء بعيدا عما قالوا حين ترجموا لابن سلام .

وهذه آراء تحدد ميدان التخصص ولكنها لم تُخطَّ خطوة تحدد الاتجاهات التي برز فيها ابن لاسلام أكثر من غيرها .

وعن طريق تراث ابن سلام في ميدان تخصصه أقول : إن اتجاهاته تنحصر في :

أولا — النقد

ثانيا — الرواية (أخبار الأدب واللغة والنسب) .

أولا — اتجاهه إلى النقد :

وفي الباب الثاني متسع لمناقشة هذا الجانب .

ثانيا — اتجاهه إلى الرواية (أخبار الأدب والأدباء والشعر والشعراء واللغة وغريبها والنسب والغناء والمغنين) .

وهو اتجاه يكاد يغلب على علماء وأدباء القرن الأول والثاني ، ويرجع إلى تأخر تدوين العلوم والفنون ، ومنها الأدب واللغة اللذان كانا أخبارا وآراء يتناقلها الرواة ويريدون فيها من نتاج حصيلتهم الشخصية ، هذا بالإضافة إلى أن اللغة والأدب ما كانا قد اتخذتا الصورة النهائية التي تبرزُ حدود ميدان كل منهما . فمرحلة تزويد الأدب مع الحفاظ عليه من الضياع جعلت للجانب الأخباري أهمية عظيمة ، وهذا الجانب بدوره حصيلة مجالس العلماء والأدباء وحصيلة مناقشاتهم وآرائهم ، فتسجيلها والسعي لجمعها والاهتمام بها ما كان موضع اهتمام العلماء والأدباء ، ولذا انتشرت ظاهرة الأخبار في مؤلفاتهم وكستها وميزتها . فخرجت في مجموعها سجلا

(١) الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٢١٦

(٥) ابن تغري يردى : النجوم الزاهرة ٢٦٠/٢

(٦) القفطي : انباء الرواة ١٤٣/٣

(٤) الحنبلي : شذرات الذهب ٧١/٢

(٥) ابن النديم : الفهرست ١٧١ .

واضحاً ضخماً لكافة الأخبار التي تخدم كافة العلوم والفنون وبخاصة الأدب واللغة
وفي نخضم الأخبار قد تجد شخصية المؤلف أو ظلالها أو قد لا تجد لها على
الإطلاق .

والأخبار التي أكثر ابن سلام منها في طبقاته وغيره ، تنقسم إلى أخبار حول
الشعر والشعراء ، وحول المغنين والغناء ، وحول النوادر والملح بجانب اهتمامها
بغريب اللغة والنسب .

وقد استقيت هذه النتيجة من الأخبار التي انفرد بها ابن سلام ونقلها عنه
تلاميذه ، لا تلك التي أخذها عن شيوخه واستخدمناها في الإحصائية ، لأن
التي انفرد بروايتها تمثل طابعه وميوله واتجاهاته في صورة أقرب وأوضح من التي كان
دوره فيها مجرد نقل ماحكاه له شيوخه .

ذكر أبو الفرج أن عمه ويحيى بن علي قال ، حدثنا أبو أيوب المديني قال
حدثني محمد بن سلام قال : بشار المرعث — وهو بشار بن برد — وإنما سمي
المرعث بقوله :

قال رِيَمٌ مُرْعَثٌ .: ساحر الطَّرْفِ والنظر
لَسْتُ . والله نَائِلِي .: قلت أو يَغْلِي الْقَدْرُ
أنت إن رُمْتَ وَصَلْنَا .: فأنج هل يُدْرِك الْقَمَرُ

قال أبو أيوب : وقال لنا ابن سلام مرة أخرى : إنما سمي بشار بالمرعث لأنه
كان لقميصه جيبان : جيب عن يمينه وجيب عن شماله ، فإذا أراد لبسه ضمه
عليه من غير أن يدخل رأسه فيه ، وإذا نزعَه حَلَّ إزاره وخرج منه . فشبهت
تلك الجيوب بالرَّعَاث لا سترسائها وتدلُّها وسمى من أجلها بالمرعث (١) .

هذا عن الشعراء ، وأما عن الغناء ، فقد حكى أبو الفرج أخبرني محمد بن
خلف وكيع قال أخبرنا أبو أيوب المديني عن ابن سلام ، قال : وأخبرني حماد بن
اسحاق عن أبيه عن ابن سلام :

(١) الأغاني : ط الوزارة ١٤٠/٣ ، و « أو » في البيت الثاني بمعنى « بل » .

سألت عمر بن أبي خليفة العنبري ، وكان غابدا ، وكان يعجبه الغناء ، أي القوم أحسن غناء ؟ قال : ابن سريج إذا تمعبد يريد إذا غنى في مذهب معبد من الثقيل ، قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل صوته :

لقد حَبِيتُ نَعْمَ إلينا بوجهها . مساكِنَ مائِنَ الوتائر والنَّقع (١)

وأما الأخبار المليحة فهي كثيرة ، تحررت بعضها فجاءت ألفاظها مكشوفة ، وتخرَّجَ أكثرها ، فجاءت مقبولة . كالذي ذكره المرزباني : قال : حدثني أحمد بن عيسى الكرخي : قال حدثنا أبو العيلاء ، قال : حدثنا محمد بن سلام قال :

كان المهدي يقعد للشعراء ، فدخل عليه شاعر ضعيف الشعر ، طويل اللحية فأنشده مديحا له ، فقال فيه : وجوار زِفَرات « فقال المهدي : أي شيء زِفَرات ؟ فقال : ولاتعلمه أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، وابن عم رسول رب العالمين ﷺ ، لاتعرفه ، أعرفه أنا ؟ كلاً والله . فقال له المهدي : ينبغي أن تكون هذه الكلمة من لغة لحيتك (٢) .

واتجاه ابن سلام إلى النسب ظاهر وكثير ، ففي كتابه الطبقات أتى على نسب سبعة وستين شاعرا من الذين أوردتهم ، وفي كتاب « الأغاني » يذكر له أبو الفرج تسعة أنساب لشعراء مغنين . لم يأت لهم ذكر في كتابه « الطبقات » (٣) كما ذكر له المرزباني في كتابه « معجم الشعراء » نسب للشاعر كنانة بن عبد ياليل (٤) .

وهو لا يقتصر على ذكر النسب بل أحيانا يأتي بشيء مما يعرفه عن حياة فرد أو أكثر من عائلة صاحب النسب مغنيا كان أو شاعرا .

(١) الأغاني — ط الوزارة — ٢٤٠/٩ .

(٢) المرزباني : الموشح ٥٦٠ .

(٣) نسب عمر بن أبي ربيعة ٦٦/١ ونسب الخطيئة ١٥٨/٢ نسب محمد بن عائشة ٢٠٣/٢ ونسب موسى شهوات ٣٥٢/٣ ونسب أبي العتاهية ٣/٤ ، ونسب طريح ٣٠٢/٤ ونسب جرير ٤٢/٨ . ونسب معد بكر ٢٠٨/٥ ونسب بكر بن الطناح ١٦٤/١٧ والجزء ١٧ ط ساسي .

(٤) يقول المرزباني : وفي ثقيف أيضا كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف عقدة بن غيره بن ثقيف ، وهو شاعر معروف ذكره ابن سلام وغيره . معجم الشعراء ص ٢٤٦

يقول الأصفهاني : وأم عمر بن أنى ربيعة ، أم ولد ، يقال لها (مَجْدُ) سُبَيْتٌ في حضرموت ، ويقال من حمير ، قال أبو مُحَلَّم ومحمد بن سلام : هي من حمير ومن هناك أتاه العَزَل ، يقال غَزَل يَمَانٍ وَدَل حِجَازِي (١) .

وفي نسب آخر يقول أبو الفرج : محمد بن عائشة — وينكنى أبا جعفر — لم يكن يعرف له أب فكان ينسب إلى أمه ويلقبه من عاداه وأراد سبه (ابن عاهة الدار) وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر وليس يعرف ذلك ، وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش — وقيل إنها مولاة لآل المطلب ابن أبي وداعة السهمي ، وذكر ذلك اسحاق عن محمد بن سلام (٢) .

فابن سلام ينظر إلى النسب على أنه جانب من جوانب التأثير على نفسية الشاعر ، فكما يؤثر الزمن والبيئة في شاعريته ، قوة وضعفا ، يؤثر وجود الأفراد العاديين أو الممتازين في شاعريته أيضا بشكل من الأشكال وينسب من النسب ، بفعل عامل القدوة ومحاولة الشاعر الوصول إلى عظمة شخص معين في سلسلة نسبه أو قبيلته وقد يكون هذا منه بشكل ظاهر نلمسه نحن أو بشكل خفي نرى بصماته من خلال المنظار . لذا فإن ذكر ابن سلام لنسب معظم من ترجم لهم من الشعراء ، أو من أورد خبرا له من المغنين والشعراء ، يعطينا منتهى أبعاد التأثيرات المختلفة على شاعرية الشاعر وفنه حين يُقَصِّد القصيد .

وهو يفسر كثيرا من الألفاظ التي يختلف الرأي فيها أو تحتاج الإشارة إلى موقف الشاعر منها حين يكون مختلفا لما تعارف عليه الناس ، وينظر ابن سلام إلى اللغة على أنها الأداة السلسلة التي تنقل مشاعر الشاعر إلى المستمع ، فلا بد أن تكون موصَّلا جيدا بعيدا عن الإغراب والأقحام والنشاز واللبس ، كيلا يفسد البيت ويضيع مجهود الشاعر لذا يثابر ابن سلام في هذا الميدان ويجنح دائما إلى تفسير مشكل الالفاظ ، إما سماعا عن شيخوخة ، وإما اجتهدا منه .

والأمثلة عديدة ومنتشرة بكثرة في كتابه الطبقات ولناخذ مثلا منها أو مثلين يوضحان مآذنه إلى :
يوضحان مآذنه إلى :
يوضحان مآذنه إلى :

(١) الأغاني — ٦٦/١

(٢) المصدر السابق ٢٠٣/٢

يقول ابن سلام : في الحديث عن الخطيئة ، وكيف أنه طلب من كعب بن زهير أن يذكره في شعره لأن الناس أروى لشعره — في حديث طويل — ثم يقول فاعترضه مُزَرَّدٌ أخو الشماخ — وكان عَرِيضاً — أي شديد العارضة كثيرها — فقال :

وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ قُدْسٍ أَوْرَاةٍ • أَحَلَّتْكَ عَبْدُ اللَّهِ أَكْنَافٌ مُبْهِلٌ

ثم يشرح :
مُبْهِلٌ : جبل لعبد الله بن غطفان ، وَقُدْسٌ أَوْرَاةٌ : جبل لمزينة ، فَعَزَاهُ إِلَى مَزِينَةٍ ، وكان أبو سلمى وأهل بيته في بني عبد الله بن غطفان ، بهم يُعْرَفُونَ ، وَإِلَيْهِمْ يُنْسَبُونَ فقال كعب بن زهير يُثَبِّتُ أَنَّهُ مِنْ مَزِينَةٍ :
أَلَا أَبْلَغَا هَذَا الْمَعْرُضَ آيَةً • أَيْقَظَانِ قَالَ الْقَوْلُ إِذْ قَالَ أَوْ حَلَمَ

ثم يشرح :

يَقَالُ : حَلَمَ فِي الْمَنَامِ : وَحَلَمَ (مِنْ الْحِلْمِ) إِلَى قَوْلِهِ :
أَعْيَّرْتَنِي عِزًّا عَزِيْزًا وَمَعَشَرًا • كِرَامًا بَنَوْا لِي الْمَجْدَ فِي بَاذِخٍ أَشَمَّ
هُمْ الْأَصْلَ مِنِّي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنِّي • مِنْ الْمَزِينِيِّينَ الْمَصَفِّيْنَ بِالْكَرَمِ

ثم يشرح :

وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ . لَا يُعْزَى الرَّجُلُ إِلَى قَبِيلَةٍ غَيْرِ الَّتِي هُوَ مِنْهَا • إِلَّا قَالَ : أَنَا مِنَ الَّذِي عِبْتُ (١) .

هذا إلى العديد من الأمثلة اللغوية المنتشرة في كتابه « الطبقات » وفي الأخبار التي وردت عنه في « الأغاني » وغيره وقد يكون في الباب الثاني متسع للقول في هذه الجوانب إذا اقتضى الأمر الرجوع إليها .

(١) ابن سلام : الطبقات ١٠٤ — ١٠٧

الفصل الثاني

كتاب « طبقات الشعراء »

- تمهيد : مفهوم الطبقة .
- أولا : « طبقات الشعراء » أم « طبقات فحول الشعراء » .
- ثانيا : طبقات الكتاب .
- ثالثا : قضايا في المقدمة .
- رابعا : منهج ابن سلام في « الطبقات » .

تمهيد :

مفهوم الطبقة

- أ — بين كتب « الحديث » وكتب « النقد » .
- ب — عند الأستاذ شاکر فی کتاب ابن سلام .

أ - بين كتب « الحديث » وكتب « النقد »

اقتبس ابن سلام لكتابه اسما جامعا للرواية بطرفها ، دينية وأدبية ، لرواية الحديث من اسم الكتاب نصيب . وهو لفظ « الطبقات » ولرواية الشعر أيضا نصيب وهو لفظ « الشعراء » .

وإذا كان علم الحديث ، وفن الشعر قد عاشا شبه متلازمين في صدور العرب ، فإن الحديث وعلمه قد نال القسط الأكبر من عناية المسلمين ورعايتهم . فانصرفوا له مولينه اهتماماتهم الشديدة مجتدين له كل طاقاتهم ومعارفهم حتى نضج واحترق ، كما يقول الزركشي^(١) ، وأستوى عملاقا ذا تاريخ عريق عميق .

ودراسة الطريق الذي سلكه حديث رسول الله ﷺ ، سُسِّلِمْنَا إلى الضرورة التي أرغمت العلماء أن يضعوا رواة الحديث في طبقات ، ويبحثوا عنهم ، ويدققوا في البحث والمعرفة . وذلك عن طريق الإسناد وفحصه والحكم له أو عليه . حتى جعلوا الإسنادَ عاليهً ونازلهً ، كأنه علم الأخلاق التاريخي^(٢)

لكن ماصلة الشعر العربي بهذا التيار ؟ الشعر كان جُلّه في الصدور . وانتشر في الأمصار وعاصر مشكلات العرب السياسية والاجتماعية والنفسية ، وظهر فيه الوضع والانتحال ، وزَيَّفُ الرواة والمغرضون ، وقام العلماء الرواة يصدون عنه ويلات الوضع والانتحال والتزييف . فنظروا في الإسناد واهتموا به ونظروا في الرواة وحياتهم ، حتى انتهى الأمر بابن سلام الجمحي وزملائه إلى التأليف في طبقات الشعراء .

وكثير من الأدباء درسوا الحديث ، وكثير من المحدثين تذوقوا الشعر وَرَوَوْهُ^(٣) .

(١) السيوطي : الأشباه والنظائر : ط حيدر آباد الدكن - ١٣١٦ هـ (٥/١)

(٢) انظر في ذلك : العسقلاني : في فتح الباري ١/١٩٥ ، ط الحلبي ١٩٥٩ م وابن خلاد الرامهرمزي :

أبو القاسم البلخي - قبول الأخبار ومعرفة الرجال ص ٩ مخطوط بدار الكتب - البخاري : الصحيح

بمحاشية السندی : ٥٢/٤ ، وكتاب الأستاذ محمد عجّاج الخطيب : السنة قبل التدوين : وماورد فيه

من مصادر . وكتاب الأستاذ الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٧/١

(٣) قال مطرف : خرجت مع عمران بن الحصين (صحابي توفي ٥٢ هـ) من الكوفة إلى البصرة فما أتى

علينا يوم إلا ينشدنا فيه بشعر ويقول : إن لكم في المعارض لندوحة عن الكذب (ابن سعد

وإذا قلنا إن الأدباء اقتفوا أثر الفقهاء في الاهتمام بالأسناد ، وأشخاص النقلة
 للشعر ، لما ذهبنا بعيدا . والأسناد في الأدب ، لا يراد منه إلا توثيق الرواية وإثبات
 صحتها وضمان عهدها (١) ، وعلماء اللغة قد رتبوا درجة الأخذ والتحمل كما فعل
 المحدثون فقالوا (أُملي علينا) أرفع ممن (سمعت) و (سمعت) أعلى من
 (حدثني) و (حدثني) خير من (أخبرني) ، كما يفعل المحدثون كذلك رتبوا
 ألفاظ اللغة إلى فصيح وأفصح ، وجيد وأجود ، وضعيف ومنكر ومتروك ، كما
 فعلوا في الحديث من صحيح وحسن وضعيف ، بل اتبعوا نمط المحدثين في تجريخ
 الرجال وتعديلهم فعدّلوا الخليل بن أحمد وأبا عمرو بن العلاء مثلا ، وجَرَّحُوا قطربا
 المتوفى سنة ٢٠٦ هـ وهو الذي قال فيه ابن السكيت : كتبت عنه قمطرا ، ثم
 تبين أن يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئا ، ولكن لم يبلغوا في ذلك — كما
 يقول الأستاذ أحمد أمين — مبلغ المحدثين في دقة التحري والتقصي (٢) لأن الأمر
 لا يصل في الأدب إلى حساسيته في الحديث .

كذلك نجد فكرة تأليف كتب الطبقات موجودة في الميدان الفقهي ، مبكرة
 عنها في الميدان الأدبي . فالمعروف أن « طبقات ابن سعد » (ت ٢٣٠ هـ) هي
 أقيم كتب « الطبقات » وأهمها ، ولكنها ليست أقدمها فأبو عبد الله بن عمر
 الواقدي ، قد ذكر له ابن النديم كتابا في الطبقات (٣) ولم يحدد مضمونه وأغلب
 الظن أن طبقاته هي قريبة من طبقات الواقدي ، وأن التلميذ قد احتذى الأستاذ
 فيما كتب ، وكذا معاصر الواقدي الهيثم بن عدي له أيضا كتاب « طبقات

الطبقات ٢٦/٢/٤) وقال روح بن عباد : كنت مع شعبة ، فضجر من الحديث ، فرمى بطرفه ،
 فرأى أبا زيد سعيد بن أوس في أخريات الناس ، فقال يا أبا زيد :

واشعجمت دار مي ما تكلمنا . والدار لو . كلمتنا ذات أخبار
 إلى يا أبا زيد ، فجعلنا يتناشدان الأشعار (ابن سعد : الطبقات ٣٨/٢/٧) . رواة الأدب هم
 الذين جعلوا غريب الحديث علما ، وخصّوه بالتدوين ، فعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى ، والنضر بن
 شميل ، وقطرب ، وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة وغيرهم .

(١) الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٧/١

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٣٥٨/٤ ، ٢٥٩

(٣) ابن النديم : الفهرست ١٥٦

الفقهاء والمحدثين » ، وله كتاب طبقات من روى عن النبي ﷺ ، وأصحابه (١) والاثنان من وفيات سنة ٢٠٧ هـ .

ونجد أن واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ) قد سبقهما في التأليف في الطبقات فله كتاب « طبقات أهل العلم والجهل » (٢) وقد قصد بأهل العلم المعتزلة ، وبأهل الجهل أعداءهم فيما أعتقد ، بينما كان أقدم ما وصل إلينا من كتب طبقات الشعراء هو « طبقات ابن سلام » .

ومن طبيعة الأمور أن يقلد الأدباء الفقهاء فيما ذهبوا لتشابه الأغراض في كلا الميدانين ، فحدث في الشعر وضع ، وانتحال وأدى إلى الحيلة والحذر وتقصى الأسباب ، وحدث أن الأدباء كانوا جُلهم من المهتمين بالحديث فاستساغوا الفكرة وحدث التقليد ، وقد يكون هناك تدوين للشعر الجاهلي وأسناد في بعض رواياته ، جعل الدكتور ناصر الدين الأسد يقول « إن الرواية الأدبية أصل قائم بذاته » (٣) ، ولكن لاينفى إطلاقاً أن الأسناد للحديث ، والجرح والتعديل لرجال الحديث ، والطبقات لكتب الحديث ، والأمر كله يلزم الحديث لأنه من ضرورياته ، وعندما ينتقل إلى الأدب ، تكون مهمته الإقناع وإثبات الرأي لا القطع والحسم . وإذا كان الفقهاء قد سبقوا الأدباء في وضع رجالهم في طبقات ، فلأن أنظمة السياسة والاجتماع قد شكّلت الناس وضبتهم في طبقات مقفلة ، انقسم الناس في إلى العصر العباسي طبقتين ، طبقة الخاصة وطبقة العامة ، تفرع من كل طبقة طبقات وأتباع وفروع تتشعب وتنتهي إلى الدائرة الكبيرة ، خاصة أو عامة — انقسمت الطبقة الخاصة إلى خمس طبقات ، الخليفة ثم أهله ثم رجال الدولة ثم أرباب البيوتات ثم توابع الخاصة — وأهل الخليفة هم بنو هاشم ، وكانوا أرفع الناس قدراً أما العامة فكانوا ينقسمون إلى طبقات حسب ثقافتهم وقدراتهم المالية وأنسابهم ومناصبهم في الدولة (٤) .

(١) المصدر السابق ١٥٢

(٢) المصدر السابق ٢٥١

(٣) الدكتور ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ٢٥٥ ، ط دار المعارف سنة

١٩٦٢ م

(٤) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ٢٦/٥ — ٥١ ط دار الهلال

وأول من رُتبَ المراتب في الدخول على الخليفة زياد بن أبيه في العراق (١) فجعل الإذن للناس على البيوتات ثم على الأنساب ثم على الآداب (٢) وصار بذلك سنة في الاستئذان على الخلفاء ثم في عصر الأمويين ثم حدث هذا في مختلف العصور الإسلامية .

وواقع الحياة الاقتصادية قَسَمَ الناس طبقات ، فنظام الإقطاع جعل طبقة للملاك وطبقة للمستأجرين ، ونظام الفتوحات الإسلامية — والرقيق الذي جلب منها ، جعل طبقة للعرب وطبقة للموالي ، ونظام الخلافة جعل طبقة حاكمة أبدا وطبقة محكومة أبدا ، وهكذا غلش الناس في طبقات ومنازل ومراتب مختلفة في أغلب الأحيان ، ودخلوا على خلفائهم وهم في أودية طبقتهم ، وأصبح الأمر عاديا . حتى الندماء والمغنون والسُّمَّار كانوا في طبقات (٣) فليس عجيبا أن يرى المؤلفون في الصحابة طبقات تختلف صعودا ونزولا بالنسبة للرسول ، ثم يروا المحدثين طبقات من حيث صديقهم وكذبههم ، وورعهم وخبثهم ، ثم يرى ابن سلام الشعراء طبقات من حيث كثرة شعرهم وجودته .

قلنا : إن طبقات المحدثين والفقهاء ، سبقت طبقات الشعراء والأدباء وكان دليلنا الواقع المادي لظهور المؤلفات في الطبقات ، ونستطيع الآن أيضا أن نقدم دليلا فنيا آخر يثبت ذلك ويثبت أن فكرة الطبقات لا تنجح في إعطاء الشعراء حقوقهم في الإنصاف ، بالإضافة إلى اضطراب الأمر في يد من يتعرض لوضع الشعراء في طبقات .

ولن نذهب بعيدا فهذه طبقات الشعراء لابن سلام .

عَلَامَ قامت فكرته في الطبقات ؟

(١) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ١٥٢/٥

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٧٩/١ ، ١٣/٥

(٣) الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك : تحقيق ونشر دار الفكر ودار البحار بيروت ١٩٥٥ م ، يقول عن الرشيد « ومن بين خلفاء بني العباس من جعل للمغنين مراتب وطبقات على نحو ماوضعهم أردشير بن بابك أنو شروان فكان إبراهيم الموصلى وإسماعيل أبو القاسم ابن جامع ، وزلز « منصور الضارب » في الطبقة الأولى ، وكان زلز يضرب ويغنى ، هذان طبقة ، والطبقة الثانية سليم بن سلام (أبو عبيد الله الكوفى) وعمرو بن الغزأل ومن أشبههما والطبقة الثالثة (ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٦) .

يقول في ص ٢١ (ففصلنا الشعراء ، من أهل الجاهلية والإسلام
والمخضرمين — فنزلناهم منازلهم. — واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من
حجة — وقال فيه العلماء) .

ويقول في ص ٢٢ (فاقصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ،
فاللنا من تشابه شعره إلى نظرائه — فوجدناهم عشر طبقات — أربعة رهط
متكافئين معتدلين) .

ثم يقول في ص ٤٢ (ثم إنا اقتصرنا — بعد الفحص — والنظر إلى الرواية —
عمن مضى من أهل العلم ، إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقة — ثم
اختلفوا فيهم بعد — وسنسوق في اختلافهم واتفاقهم ، ونسمى الأربعة ، ونذكر
الحجة لكل واحد منهم — وليس تبدلتنا واحدا في الكتاب نحكم له ، ولا بد من
مبتدأ) .

ولقد حدد ابن سلام نفسه في أربعين شاعرا — لكل من الجاهليين
والإسلاميين — وأخذ يقرن كل من تشابه من الشعراء في الصفات أو في
الأسلوب أو في المستوى الفني إلى قرينه فأصبحوا عشر طبقات ، كل طبقة أربعة
رهط ، وهناك اختلاف واتفاق في الآراء حول بعض الشعراء فهو سيظهره ويوضح
أسبابه ، إن إقتضى الأمر ثم يجد نفسه مُرغماً على تبدئة شاعر على إخوانه
الثلاثة ، فينوه أن هذه ضرورة وليست تعمدا ولن يترتب عليه شيء .

فهل استطاع ابن سلام أن يطبق هذا المبدأ بدقته المعهودة كما لانظن ، فقد
حصر نفسه حين جعل كل طبقة أربعة رهط ، فوجد أن المعروف من الشعراء
لدى العلماء كونوا عشر طبقات ، ونحن لانلومه في جعلهم عشر طبقات ، ولكن
نتساءل لماذا جعل الطبقة أربعة لا أقل ولا أكثر ؟ وعلى أي أساس اختار
أشعارهم ؟

إنها قاعدة جافة وتزمت ضيق كلف ابن سلام به نفسه ، ووقع في مقتضيات
الأمر الطبيعي حيث تكمل الطبقة ويجد أنه ترك شاعرا جديرا بأهل تلك الطبقة
التي أغلقت عليه ، (فأوس نظير الأربعة المتقدمين ، إلا أننا اقتصرنا في الطبقات
على أربعة رهط) . كما يقول — والطبقة المتقدمة هي الطبقة الأولى وشعراؤها امرؤ

القيس ، والنابعة الذبياني وزهير بن أبي سلمى والأعشى ، بينما وضع في الطبقة الثانية أوسا هذا الذي يعتذر لوضعه في غير طبقته ، وبشر بن أبي خازم ، وكعب ابن زهير ، والخطيئة .

وفي الطبقة الثانية نفسها نجده قد وضع كعبا ، ولا نكاد نعرف لكعب إلا رائحته (بانت سعاد) ، وهي من غرر الشعر العربي ، مافي ذلك جدال — بينما نجد في الطبقة الرابعة طرفة بن العبد وطويلته أجود المطولات وهو أشعر الناس واحدة — كما يعترف ابن سلام ، ويقول : وله أخرى مثلها ومن بعد له قصائد حسن جِيَاد^(١) ونعتقد أنه من الانصاف أن يكون طَرَفَةُ في الطبقة الثانية مع كعب إن لم يكن طرفه في الثانية وكعب في أخرى .

ولو حاولنا أن نعرف لماذا وضع لييد في الطبقة الثالثة ، وطَرَفَةُ في الرابعة ؟ لما اهتدينا إلى سبب يريح ، وهذا مانلاحظه في الطبقة السادسة ففيها عمرو بن كلثوم والحارث بن حِلْزَة وعنترة بن شَدَّاد وسويد بن أبي كاهل اليشكري ، بينما وضع في الخامسة شعراء أقل منهم ذكرا ونباهة ، مع العلم بأن ابن كلثوم وابن حِلْزَة وعنترة من أصحاب المطولات ، وابن أبي كاهل هو صاحب اليتمية^(٢) . فلو ترك الأمر بلا طبقات وبلا أربعة شعراء لكل طبقة لَانْفَسَحَ أمامه مجال القول وَلَأَذْرَكَ مافاتَه من الحديث عن شاعر أو التنويه بشاعر .

فالتمودج الفنى ، والشكل العام — لاختيار ابن سلام — هو الذى ضيق عليه ، وأوقعه فى اضطرابات كان فى غنى عنها .

ونظام الطبقات أمر لا يرضاه للأدب وللشعراء بأية حال ، فقد يؤدى مهمة كبيرة بين رجال الحديث والفقه والتفسير ولكنه لا ينفع الأدب فى شيء ، فالمحدثون يجولون فى مجال محدود ، هو أحاديث رسول الله ، فهى مهما كثرت محدودة بعدد وقدرة ثابت . ومقاييس نقد الرجال التى اتفق عليها علماء الحديث ، نجدها ثابتة وتؤدى إلى جعل المحدثين طبقات من حيث العدل والتجريح ، والبدعة والنزاهة ، والدقة والمخالفة ، واتصال الرواية وانقطاعها ، كما قسموا الأحاديث إلى متواتر ومنقطع ومتصل .. الخ فنظام الطبقات لرجال الحديث أمر لصيق بهم لازم

١ — ابن سلام — طبقات الشعراء — ١٣٨

٢ — الأغاني — ط الوزارة — ١٠٢/١٣

لمعرفتهم ، والمُدلس سيصير مدلسا في كتب الطبقات وعند الفقهاء إلى الأبد ، بينما الشاعر قد يضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة ، ويراها ابن قتيبة جديرا بالطبقة الثانية ، وابن المعتز يراها أهلا بالطبقة الأولى ، ويأتى ناقد آخر ولا يعتبره في زمرة الشعراء ، أصلا وهكذا ... وكل منهم يبدى رأيه فيما يرى ، معتقدا صواب ماذهب إليه مُدَلِّلا عليه .

وها نحن نلاحظ أن طبقات ابن سلام لم تخرج في هيكلها عن طبقات ابن سعد وغيره من المؤرخين ، ولكنه لم يطرد في الأدب والنقد ، وماظهر من طبقات للشعراء بعد ابن سلام إنما هو تقليد لتلاميذه له ، أو إعجاب من غير تلاميذه بالفكرة إلى أن اضمحلت وانتهت ، وإنك لتلاحظ استطرادا طويلا من ابن سلام . وخروجا عن صلب الموضوع إلى جوانب متعددة منه ، وهمة الوصل بين الموضوع العام وسبب الاستطراد ، ورود كلمة ، أو بيت ، أو اسم شاعر ، أو شخصية معروفة ، أو حادثة معروفة وهكذا .. كما نلاحظ تحكُّم نظام الطبقات في بناء الكتاب ، فبينما الطبقة الأولى في سبع وثلاثين صفحة ، تقع الطبقة الثانية في عشرين صفحة والثالثة في إحدى عشرة صفحة والتاسعة في خمس عشرة صفحة وتكون السابعة في صفحتين والرابعة في أربع والثالثة في ثلاث ...

وتطول الطبقة الأولى لأنه يريد أن يُعرِّف بأشياء كثيرة ، حتى إذا وصل إلى الطبقة السابعة لم يجد مايقوله سوى أنه عَرَضَ أسماء الشعراء ، ولم يَزِدْ شيئا بعدهم سوى بيت سُمِّي به المتلمس متلمسا وبيتين له أيضا .

وإذا تركنا هذا قليلا ، ونظرنا إلى فكرة ابن سلام في ترتيب الشعراء وجدناه لم يقتصر في تكوين الطبقة على تشابه الشعراء في شعرهم والاحتجاج لهم أو عليهم وذكر ماقاله العلماء فيهم ، فقط ، بل ، اشترط فيهم كى يكونوا فحولاً أن يُجيدوا في شعرهم ويكثرُوا في جَيِّدِهِمْ . فأضاف مبدأ الجودة والكثرة إلى مبدأ التشابه وورود الحجة ورأى العلماء .

فيقول في الطبقة السابعة : أربعة رهط مُحْكَمُونَ مُقْلُونَ وفي أشعارهم قلة فذاك أَخْرَهُمْ (١) بينما وضع امرؤ القيس في الطبقة الأولى لأنه « سبق العرب إلى أشياء

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ١٥٥

ابتدعها ، استحسنها العرب واتبعته فيها الشعراء ... وكان أحسن طبقته في التشبيه « والنابعة » كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا ، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف ، « والأعشى » أكثرهم عروضا وأذهبهم في فنون الشعراء وأكثرهم طويلة جيدة وأكثرهم مدحا وهجاء ونظراً ووصفا ، كل ذلك عنده و « زهير » كان أحصفهم شعرا وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا في شعره « وأما الجعدي » فكان مختلف الشعر مغلبا^(١) فوضعه في الطبقة الثالثة ووضع معه الشماخ لأنه كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لييد وفيه كرازة ولييد أسهل منه منطقاً^(٢) وطرفة وعبيد بن الأبرص وعدى بن زيد ، أربعة رهط فحول شعراء ، فوضعهم مع الأوائل وإنما أدخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة^(٣) والأسود بن يعفر شاعر فحل وكان يكثر التنقل في العرب يجاورهم ، فيذم ويحمد وله في ذلك أشعار ، وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها لقدمته — كما يقول ابن سلام — على مرتبه^(٤) والطبقة السادسة أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة^(٥) وهم عمرو بن كلثوم والحارث ابن حلزة وعنترة وسويد بن أبي كاهل ، أما الطبقة العاشرة ففيها أمية بن حُرثان بن الأسكر واكتفى ابن سلام بأن نوه بأن له شعرا في الجاهلية وشعرا في الإسلام^(٦) والثاني حُرَيْث بن مُحَفَّظ وهو أيضا جاهلي إسلامي له في الجاهلية أشعار^(٧) والثالث وهو الكميت بن معروف اكتفى ابن سلام بأن وصفه بأنه شاعر^(٨) وأما الرابع فعمرو بن شأس ، وهو كثير الشعر في الجاهلية والإسلام ، أكثر أهل طبقته شعراً ، وكان ذا قدر وشرف ومنزلة في قومه^(٩)

(١) المصدر السابق ١٢٤

(٢) المصدر السابق : ١٣٢

(٣) المصدر السابق ١٣٧

(٤) المصدر السابق ١٤٧

(٥) المصدر السابق ١٥١

(٦) المصدر السابق ١٩٠

(٧) المصدر السابق ١٩٢

(٨) المصدر السابق ١٩٥

(٩) المصدر السابق ١٩٦

فابن سلام يطبق مبدأ التشابه والاحتجاج للشاعر أو عليه ، ورأى العلماء مع رأيه أن اقتضى الأمر ، ثم يشترط فيهم الجودة في النتاج مع كثرته .

وهي قوانين في النقد سليمة ، وآراء قيمة في حد ذاتها . بعيدا عن وضعها في قالب طبقات ، وأهمها في نظرنا مبدأ الجودة والكثرة .

ب — مفهوم الطبقة عند الأستاذ شاكر في كتاب « الطبقات »

يقول الأستاذ شاكر « ولكن ههنا شيء ينبغي التنبيه له وهو لفظ (طبقة) و « طبقات » الذي استعمله ابن سلام في ثانيا كلامه — ثم جعله عنوانا لكتابه ، والذي لا شك فيه أن هذا اللفظ من كلام العرب قد درج على ألسنتهم قديما للدلالة على معان مختلفة ، ولما جاء عصر التدوين صار له مجاز آخر عند المؤلفين ، والكاتبين حتى انتهى إلى زماننا هذا بمعنى مشهور مألوف ومن الخطأ البين تغافلنا عن هذه الحقيقة ونحن نقرأ نصا قديما ، بل أول ما يجب أن نحاوله هو تتبع أطوار معاني اللفظ واختلاف هذه المعاني على تطاول السنين . وقد كنت أشرت من قبل إلى معنى من معاني (طبقة) يدل عليه كلام ابن سلام دلالة واضحة فقلت (٢٥ تعليق ١) إن ابن سلام عاد مرة رابعة فنظر في شعر الأربعين من الفحول فأنهى في تمييز شعرهم إلى عشرة ضروب أو مناهج سماها « طبقات » وإنما قلته استظهارا من فحوى نص ابن سلام ومن بيانه عن عمله في تأليف كتابه . ومادة « طَبَقَ » تؤول أكثر معانيها في لسان العرب إلى تماثل شيئين إذا وضعت أحدهما إلى الآخر ساواها — وكانا على حذو واحد فقل منه (تطابق الشيئين) إذا تساويا أو تماثلا، وسما كل ما غطي شيئا طبقا، لأنه يغطيه حتى يكون مساويا له ، لأنه لا يغطيه حتى يكون فوقه فسموا مراتب الناس ومنازل بعضهم فوق بعض (طبقات) ، ولما كانت كل مرتبة من المراتب لها حال ومذهب، سمو الحال المميزة نفسها (طبقة) ، فقال : فلان من الدنيا على طبقات شتى أى على أحوال شتى . وهذا المعنى أشد وضوحا في حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ (مسند أحمد ١٩/٣ و ٦١) : « أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى مِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا ، وَيَحْيَا مُؤْمِنًا ، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا ، وَيَمُوتُ كَافِرًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا ، وَيَحْيَا كَافِرًا ، وَيَمُوتُ كَافِرًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا ، وَيَحْيَا مُؤْمِنًا ، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا » .

وهذا إن شاء الله بيان عن مذاهب الناس في حياتهم، لا عن مراتبهم ومنازلهم، فلفظ (طبقة) في هذا الحديث مجاز ذال على مثل المعنى الذي ذهبت إليه في تفسير نص ابن سلام . وقد وجدت هذا اللفظ في خبر على مجاز آخر تعين عليه اللغة — فقد روى القاضي ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢٣٨/١) بإسناده إلى العباس بن محمد حاتم الدوري (١٨٥ — ١٧١ هـ) أنه قال « انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى ستة نفر من الصحابة رضي الله عنهم : عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل فهؤلاء طبقات الفقهاء ، أما طبقات الرواة ف ستة نفر ، أبو هريرة وأنس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وعائشة ، وأما طبقات أصحاب الأخبار والقصص ف ستة نفر ... وأما طبقات التفسير ف ستة أيضا وأما طبقات خزان العلم وأما طبقات الحفاظ ف ستة نفر ... وبين جدا أنه سمي كل واحد من الستة طبقة ، وسمى كل ستة نفر جميعا ، إما « طبقات الفقهاء » ، وإما « طبقات الرواة » وإما « طبقات التفسير » إلى آخر ما سمي ، وبين أنه يعني بتسمية كل واحد منهم (طبقة) أنه رأس متميز في الفقه أو الرواية أو التفسير أو الحفظ ، وصاحب هذا الخبر هو العباس بن محمد الدوري قريب العهد من محمد ابن سلام عاشا في زمان متعاقق ، وهو لم يجر هذا اللفظ على لسانه إلا ومعناه مألوف متداول في زمانهما دال على التميز في باب من الأبواب وعلى مذهب من المذاهب ، في الفقه أو التفسير أو الرواية ، يعرف به صاحب . وقد وقفت طويلا عند قول ابن سلام وهو من أغرب ما قرأت « ثم إنا اقتصرنا — بعد الفحص والنظر والرواية — إلى رهط أربعة على أنهم أشعر العرب طبقة ثم اختلفوا بعد ... » ص ٤٩ « فوجدته صعبا أن يفسر قوله هنا « طبقة » بما يهجم على خاطر مما ألفناه نحن من معنى « طبقة » ، ولم أجده له إلا معنى واحدا كأنه هو الذي في الفقه أو التفسير أو الرواية يعرف به صاحبه، وقد وقفت طويلا عند قول يعنيه ابن سلام وهو أنهم أشعر العرب مذهبيا من مذاهب الشعر قبل ذلك (ص ٢٤) : « فاقصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا فالفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين » ، فبدأ لي أن معنى هذا أن التشابه هو أساس نظر ابن سلام ، ولايتشابه

شاعران إلا في شيء واحد هو مذهبهما في الشعر ، أو منهجهما الذي يتميز به كل واحد منهم ، ويكاد يكون رأساً فيه — فلما قال بعد ذلك « فوجدناهم عشر طبقات » رأيت لا يكاد يكون له معنى ، حتى يكون معنى ذلك : فوجدناهم عشر مذاهب أو عشر مناهج من مذاهب الشعر ومناهجه ، من أجل ذلك جاء ابن سلام في آخر كلامه عن تأليف كتابه فقال (١١ فقرة ٥) « وليس تبدئنا أحدهم في الكتاب نحكم له ولا بد من مبتدأ » فاحترس ونبه قارئ كتابه على أن تقديم شاعر من الأربعة على صاحبه المشابه مذهبه لمذهبه ليس حكماً منه على تقديم بل الأربعة جميعاً عنده متكافئون معتدلون ، لأن كل واحد منهم على رأس في مذهبه ومنهجه ، وإنما جمعهم فيما سماه (طبقة) لما انتهى هو إليه بعد الفحص والنظر وقد تشابه مناهج هؤلاء الأربعة النظراء ، والتشابه هنا عند ابن سلام لا يعني التطابق ، فهذا باطل لا يعقله العقل ، وإنما يعني وجوهاً من الشبه بعينها في المناهج مع اختلاف ظاهر يتميز به واحد منهم عن صاحبه ، وبهذا الاختلاف يكون كل منهم رأساً في هذا المذهب من مذاهب الشعر — ونعم — لم يفسر لنا ابن سلام هذه المذاهب ، ولم يدُلنا على الأساس الذي بنى عليه مذهب وإليه من تشابه المناهج ، وترك لنا نحن استخراج أسلوبه في النظر حتى انتهى إلى ما انتهى إليه من تشابه هؤلاء الأربعة النظراء من الفحول في مناهجهم — وحملنا نحن عبء النظر حتى نعرف ماهي هذه المناهج العشر ، من مناهج الشعر ، من خلال قراءة أشعار هؤلاء الفحول .

ولكن ما أقطع به هو أن ابن سلام لم يُرد بقوله "طبقة" ما يهجم على الخاطر من معنى المرتبة ، أو المنزلة ولم يُرد ما أراده غيره في زمانه ، أو بعد زمانه في كتب ألفوها وسموها (بالطبقات) ، وجعلوا الطبقات فئات مرتبة على أصول القبائل ، أو فئات مرتبة على منازل العلماء في المدن ، أو فئات مرتبة على السنين ، والنظر في كتاب ابن سلام يُرد هذا رداً صريحاً بتفريقه (المخضرمين) في الطبقات وهم الذين توهم يوسف هـ أن ابن سلام أراد أن يجعلهم (طبقة) ثم عدل إلى آخر ما قال (١) .

(١) انظر المقدمة من ص ٦٥ إلى ٦٩

ورأى الأستاذ شاكر في نقاط :

- أولاً: أن لفظ (طبقة) له معان مختلفة .
- ثانياً: هو عند ابن سلام يعنى المنهج أو المذهب .
- ثالثاً: أن كل طبقة مكونة من أربعة شعراء متشابهين في مذهبهم أو منهجهم مع فروق فردية فيما بينهم .
- رابعاً: لم يفسر لنا ابن سلام هذه المذاهب ولم يدل على الأساس الذى بنى عليه مذهب إليه من تشابه المناهج .
- خامساً: ليس معنى (طبقة) عند ابن سلام مايتوارد إلى الذهن من مرتبة أو منزلة .

والحق فيما قال الأستاذ شاكر، فكل شاعر طبقة وهو مع قرنائيه الثلاثة يكونون طبقة فامرؤ القيس ، ما قال ما لم يقولوا ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، استحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء منها ... وكان أحسن طبقته تشبيهاً^(١) ، والنابعة كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا كأن شعره كلام ليس فيه تكلف^(٢) وزهير كان لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع حوشيته ولا يمدح الرجل إلا بما فيه^(٣) والأعشى أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة وأكثرهم مدحاً وهجاءً وفخراً ووصفاً كل ذلك عنده^(٤) ، فهذه الميزات الخاصة بكل شاعر ، عن سائر الشعراء بالشعر الجيد الكثير . فالجودة والكثرة شرطان حدد بهما ابن سلام معنى الفحولة والشهرة والتقدمة ، يقول في طرفه « وما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صبح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن غيرهن فليس موضعهما حيث وضعنا من الشهرة والتقدمة^(٥) والطبقة الرابعة من الجاهليين طرفة وعبيد وعلقمة وعدى » وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع

(١) الطبقات — ٥٥

(٢) الطبقات — ٥٦

(٣) الأغاني — ٢٨٩/١٠

(٤) الطبقات — ٦٥

(٥) الطبقات — ٢٦

الأوائل وإنما أحل بهم قلة ما بأيدي الرواة» (١) والأسود بن يعفر ويكنى أبا الجراح كان « شاعرا فحلا وكان يكثر التنقل في العرب يحاورهم فيذم ويحمد . وله في ذلك أشعار وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر لو شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته (٢) .

والطبقة السادسة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة وسويد . أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة (٣) والسابعة أربعة رهط مُحَكِّمُونَ مقلون وفي أشعارهم قلة فذاك الذي أخرهم (٤) وفي الطبقة الثامنة ينص على أنهم أربعة رهط (٥) وكذا التاسعة أربعة رهط (٦) وفي العاشرة يقول وهي آخر الطبقات وهم أربعة رهط (٧) فمن الطبقات ما جمع شعراؤها إلى الجودة كثرة ومنها الجودة فقط ، كالطبقة الرابعة والسادسة والسابعة ، ومنها ما لم يجمع شعراؤها جودة ولا كثرة في انتاجهم وهؤلاء الذين اكتفى ابن سلام معهم بقوله « هم أربعة رهط » .

ونراه في طبقات شعراء القرى يقول عن حسان بن ثابت « وهو كثير الشعر جيده » (٨) بينما كعب بن مالك شاعر مجيد (٩) وأبو قيس بن الأسلب شاعر مجيد (١٠) وأبو طالب بن عبد المطلب من شعراء مكة شاعر مجيد (١١) ، وعن شعراء البحرين يقول « وفي البحرين شعر كثير وفصاحة (١٢) . أما شعراء يهود « ففى يهود المدينة وأكنافها شعر جيد »

(١) طبقات الشعراء ١٣٧

(٢) طبقات الشعراء ١٤٧

(٣) طبقات الشعراء ١٥١

(٤) طبقات الشعراء ١٥٣ — محكمون : من إحكام القول .

(٥) طبقات الشعراء ١٥٩

(٦) طبقات الشعراء ١٧١

(٧) طبقات الشعراء ١٥٩

(٨) طبقات الشعراء ٢١٥

(٩) طبقات الشعراء ٢٢٠

(١٠) طبقات الشعراء ٢٢٦

(١١) طبقات الشعراء ٢٤٤

(١٢) طبقات الشعراء ٢٨٠

إذن دَلَّ ابن سلام على الأساس الذي بنى عليه مذهب وهو المبدأ العام عنده
(جودة وكثرة) أما طبقة كل شاعر أو مذهبه فقد أوضحها في شرحه
للخصائص المفردة لكل شاعر ، تلك التي ذكرناها آنفا .

ومن ثم نعود فنجد أنفسنا مازلنا في نقطة البداية وهي أن لفظ (طبقة) بمعنى
منزلة ومرتبة ، وطالما أن هناك مبدأً عاماً لمفهوم الفحولة عند ابن سلام فمن
الطبيعي ألا يتوافر الشرطان في كل الشعراء ومن توافر فيهم شرطاً ابن سلام ظهر
بينهم خصائص الذاتية فجعلهم طبقة وأبان عن خصائصها ووضع الباقي في
طبقات تبعد نزولاً عن المثل الأعلى للفحولة ، حتى يصل إلى الطبقة العاشرة
(وهم أربعة رهط) لاجودة في شعرهم ولا كثرة .

والذي نقوله في هذا المقام هو مانأخذه على ابن سلام ، أنه لم يبين لنا سبب
اختياره لتماذجه الشعرية الدالة على فحولة هؤلاء الشعراء المختارين . فنراه مع امرئ
القيس مثلاً يأتي بما يدل على أنه أحسن طبقته تشبيهاً وذلك بعرض المشهور من
تشبيهاته قائلاً : « استحسن الناس من تشبيه امرئ القيس قوله ... »^(١)
فالاختيار جزء من شخصية الناقد ، وابن سلام التزم بما هو مشهور عن الشاعر ،
أو الذي أرتضاه له أهل النظر ممن أساتذته المعروفين .

أولاً : « طبقات الشعراء » أم « طبقات فحول الشعراء » ؟

إن أكبر ماثير انتباه الباحث أن كتاب ابن سلام في ثوبه الجديد قد ظهر
باسم جديد ، فهو معروف لدى جمهور الباحثين باسم (طبقات الشعراء)
فماذا حدث ؟

قال الأستاذ شاكر في (ص ٣٤ ، ص ٣٥) من مقدمة الكتاب :
« بقي أمر واحد ، لأجد مناصاً من الحديث عنه ، هو : اسم الكتاب :
فان ابن النديم ذكره في ترجمة ابن سلام كما مضى آنفاً ص ١٤ باسم (طبقات
الشعراء الجاهليين) و (طبقات الشعراء الإسلاميين) ، كتاب واحد ، وذكر في
أكثر الكتب والتراجم باسم (طبقات الشعراء) فعدلت أنا عنها إلى اسم
(طبقات فحول الشعراء) لأسباب :

(١) طبقات الشعراء ٨١

أولها : إن اسم (طبقات الشعراء) لا يطابق موضوع كتاب ابن سلام كل المطابقة فإنه لم يستوف فيه ذكر (الشعراء) ، بل اختار منهم عددا معلوما : أربعين شاعرا في طبقات الشعراء الجاهليين ، وأربعين شاعرا في طبقات الشعراء الإسلاميين ، وأربعة شعراء في طبقة أصحاب المرائي ، واثنين وعشرين شاعرا في طبقة شعراء القرى العربية ، وثمانية في طبقة شعراء يهود ، فهم جميعا (١١٤) شاعرا وحسب .

والذى أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ماذكر . وإذن فاسم (طبقات الشعراء) ثوب فضفاض لا يطابق ما في كتابه .

ثانيهما : أنى رأيت ابن سلام نفسه قد أوجدنا اللفظ المطابق لمعنى ما أراد في كتابه . إذ قال في ص ٢٢ . « فاقْتَصَرْنَا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ... » وهذه كلمة دالة ، وهى مطابقة لما فعل ، فإنه وازن بين الشعراء « فألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه » (ص ٢٢) ونزلهم منازلهم ، ثم اقتصر (بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقة (ص ٤٢) فرأيت أن تسمية الكتاب باسم (طبقات فحول الشعراء) أولى وأدل ، من تسميته (طبقات الشعراء) .

ثالثها : أنى رأيت أبا الفرج الأصفهاني ، قد أوجدنا هذه الكلمة في موضعين من كتابه أحدهما في ترجمة الخبل السعدى (ج ١٢ : ٣٨ ساسى) إذ يقول : « وذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » والآخر في ترجمة عبيد بن الأبرص (١٩ : ٨٤ ساسى) إذ يقول : « وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، فهاتان وكلمة ابن سلام ، تدل جميعا على كتاب ابن سلام دلالة أحسن من دلالة (طبقات الشعراء) .

وآخرها : أنى رأيت على نسختى التى نقلتها بيدى هذا العنوان (طبقات فحول الشعراء) فلست أدري بعد هذا الزمن الطويل : أكانت هذه الكلمة فى الأم العتيقة ، ثم نقلتها كما هى ، أم ترانى كتبها من عندى ؟ وأنا كنت يومئذ فى أول الطلب ، وأجهل من أن أنظر نظرا صحيحا فى مثل هذا الأمر الدقيق المحتاج إلى التمييز والبصر .

فمن أجل هذا لم أتردد في جعل اسم الكتاب (طبقات فحول الشعراء) فإن كان هو الاسم القديم الذي سمي به ابن سلام كتابه ، فذاك ، وإلا فإني أراه بعد ذلك كله أولى بأن يكون اسما للكتاب ، دون الاسم الذي عرف به ، واستغفر الله إن كنت قد أسأت .

فالأستاذ يغير اسم الكتاب وحججه هي :

- أ - أن الاسم لا يطابق موضوع الكتاب .
- ب - أن ابن سلام ذكر لفظ (فحول) في ص ٢٢ من كتابه .
- ج - أن أبا الفرج الأصفهاني ذكر أن ابن سلام وضع المخبّل السّعدى في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وعيّيد بن الأبرص في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية .
- د - أن نسخته التي يطلق عليها (الأم العتيقة) وجد عليها عنوان (طبقات فحول الشعراء) ويستبعد أن يكون قد حوّرهما وأضاف لفظ (فحول) عليها لأنه كان صغير السن آنذاك .

ولكى أناقش هذه الحجج لابد أن أقرر بوضوح أن المحقق للأثر القديم لاحق له مطلقا في تعديل أو زيادة أو حذف أى لفظ من النص الذى يحققه ، وله في الهامش متسع رحب يكفل له عرض ما يعنّ له من تعديلات ، أو زيادات ، أو حذف ، وهذه البديهة احترامها الأستاذ شاكر مرارا ونسيها في أهم موضع وهو عنوان الكتاب .

وحينما ظهر الكتاب لفت نظر النقاد ، فسجل الأستاذ السيد أحمد صقر في مجلة « الكتاب » المجلد الثانى عشر الصادر فى مارس ١٩٥٣م فى ص ٣٧٩ يقول ... « كما كنت أؤثر أن لا يغير اسم الكتاب الذى عرف به وذكر فى أكثر الكتب والتراجم وهو (طبقات الشعراء) لا (طبقات فحول الشعراء) . وليس فى قول ابن سلام (فاقترضنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا) دلالة على الاسم الذى اختاره الشارح لأنه قال أيضا (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة) وقول الشارح إن اسم (طبقات الشعراء) ثوب فضاض لا يطابق ما فى

كتاب ابن سلام لأنه لم يستوف فيه ذكر الشعراء يقال كذلك على الاسم الذي اختاره « طبقات فحول الشعراء » لأن ابن سلام لم يستوف فيه ذكر (فحول الشعراء) ، ولو اتخذنا فضفضة اسم الكتاب ذريعة إلى تغيير اسمه لبدلنا كثيرا من أسماء الكتب ، فإن أكثرها لا يطابق اسمه موضوعه ، وهل يطابق اسم (الكامل) للمبرد موضوع كتابه ، كلا ، فما أين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه ، وأشد منافاته للقبه .

وإذا تركنا هذا الرأي الوجيه جانبا . وتتبعنا المؤلفين الذين أوردوا اسم الكتاب منذ القرن الثالث الهجرى . نجد ان ابن سلام قد توفى سنة ٢٣١ هـ وألقى بترائه لأبى خليفة الفضل بن الحباب ابن اخته الذى تولى روايته لتلاميذه — وأبو خليفة توفى سنة ٣٠٥ هـ وروى لنا أبو الطيب عبد الواحد اللغوى الحلبي (ت ٣٥١ هـ) نقلا عن الحسين بن أبى صالح قال :

« أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى — ابن أخت أبى عبد الله محمد بن سلام — قال : كان الرياشى (ت ٣٥٧ هـ) يختلف إلى أبى عبد الله يستعير منه كتابه فى « الطبقات » ففيل للرياشى فى ذلك ، فقال : لو عاش يومين لسمعه منى (١) والخطيب البغدادى المتوفى (٤٦٣ هـ) ذكر أن لابن سلام كتابا فى « طبقات الشعراء » (٢) وابن رشيق القيروانى المتوفى (٤٦٣ هـ) يقول : ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى فى كتاب « الطبقات » (٣) وكذا أبو البركات عبد الرحمن محمد الأنبارى المتوفى (٧٧ هـ) (٤) وذكر ياقوت الحموى المتوفى (٦٢٦ هـ) أن ابن سلام قد ألف كتابا فى « طبقات الشعراء » (٥) وكذا ذكره القفطى المتوفى (٦٤٦ هـ) (٦) وذكره العسقلانى المتوفى (٨٥٢ هـ) فى ترجمته له بأنه كان من أئمة الأدب وألف « طبقات الشعراء » (٧) والسخاوى المتوفى (٩٠٢ هـ) ذكر أيضا أن لأبى عبد الله محمد

(١) عبد الواحد اللغوى : مراتب النحويين ٦٧

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٣٢٧/٥

(٣) ابن رشيق : العمدة ٥٤/١

(٤) الأنبارى : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ٢١٦

(٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٢٠٤/١٨

(٦) القفطى : أنباء الرواة ١٤٥/٣

(٧) العسقلانى : لسان الميزان ٦/٣

بن سلام الجمحي مولاهم ، البصري الأنباري ، « طبقات الشعراء » (١) ويقول
السيوطي المتوفى (٩١١ هـ) عن الخليل ابن أحمد : من تلاميذه أبو عبد الله
محمد بن سلام صاحب « طبقات الشعراء » (٢) .

أريد من وراء هذا أنؤكد بالدليل أن الكتاب لم يتغير اسمه إلا على يد الأستاذ
محمود شاكر في القرن الرابع عشر الهجري بعد وفاة ابن سلام بأحد عشر قرناً .
وإذا افترضنا أن كل هؤلاء نقلوا من بعضهم فلدينا كتاب «مراتب النحويين» لأبي
الطيب النحوي (ت ٣٥١ هـ) أي بعد وفاة أبي خليفة بست وأربعين سنة ،
وإذا حدث أن تغير اسم الكتاب — تغير لسبب من الأسباب — لأشار إلى
ذلك مؤلف كتاب النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ (٣)

ودليل آخر ، فكل تلاميذ ابن سلام قلدوه فيما كتب وألفوا في « طبقات
الشعراء » ولم يفكروا في التأليف في « طبقات فحول الشعراء » ، فأبو خليفة له
كتاب « طبقات الشعراء » (٤) واسحق الموصلي كذلك (٥) وعمر بن شبة (٦) .
أما الحجة الثانية « أن أبا الفرج ذكر لفظ « الفحول » في كتابه » .

فقد ولد أبو الفرج علي بن الحسين الأموي بأصبهان سنة ٢٨٤ هـ في خلافة
المعتضد بالله أبي العباس أحمد الموفق وتوفي سنة ٣٥٦ (٧) ، وأما عن كتابه الأغاني
فقد قال أبو أحمد المهلب ، سألت أبا الفرج في كم سنة جمعت هذا الكتاب ،
فقال في خمسين سنة ، وأنه كتبه مرة واحدة من عمره (٨) وهي النسخة التي
أهداها إلى الحَكَم المستنصر أحد خلفاء بني أمية بالأندلس ، الذي بعث إليه

(١) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ عن ذم التاريخ ١٠٤

(٢) السيوطي : الزهر ٤٠٥/٢

(٣) ابن النديم : مقدمة الفهرست ٤

(٤) المصدر السابق — ١٧١

(٥) المصدر السابق — ٢٠٧

(٦) المصدر السابق — ١٦٩

(٧) الحموي — معجم الأدباء — ٩٥/١٣

(٨) المصدر السابق والصفحة

بألف دينار (١) وتوفي المستنصر في اليوم الثاني من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ بعد أن حكم ست عشرة سنة (٢) أي تولى الخلافة في سنة ٣٠٥ هـ قبل وفاة أبي الفرج الأصفهاني بست سنوات .

وإذا افترضنا أن الحكم طلب من أبي الفرج نسخته في سنة توليه الخلافة سنة ٣٥٠ هـ فيكون أبو الفرج بدأ كتابة أغانيه في سنة ٣٠٠ هـ ، ولكننا سنفترض أن أبا الفرج انتهى من كتابة الأغاني في سنة وفاته سنة ٣٥٦ هـ فيكون تاريخ البدء سنة ٣٠٦ هـ أي بعد وفاة أبي خليفة الفضل ابن الحباب بسنة واحدة — وأبو خليفة رجل معروف في البصرة ، وتولى قضاءها ، وابن أخت ابن سلام الناقد تلميذ الخليل بن أحمد ، وعمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب فكيف لا يلقاه أو في الأقل يسمع به ، أو يعرف كل منهما مالم يأتى الآخر من التراث الأدبي ؟ هذا بالإضافة إلى الأسانيد التي أوردها أبو الفرج والتي تحمل طابع اللقاء أو المعرفة المؤكدة الأمر الذي يتنافى معه الوقوع في الخطأ أو تعديل لاسم الكتاب فهو يقول :

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلى بأجازته لي يذكر عن محمد بن سلام .. (٣) ويقول : أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب مما أجازته لنا روايته من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلام الجمحي (٤) ويقول :

(١) يقول ابن العماد الحنبلي صاحب الشذرات عن وفيات سنة ٣٥٦ هـ ، وفيها توفي « صاحب الأغاني » أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الكاتب الأخباري ... ، توفي في ذي الحجة عن ثلاث وسبعين سنة ... ، وله المصنفات المستملحة منها كتاب « الأغاني » ، الذي وقع الاتفاق على أنه لم يُعمل في بابيه مثله ، يقال أنه جمعه في خمسين سنة ، وحمله إلى سيف الدولة ابن حمدان ، فأعطاه ألف دينار ، واعتذر إليه (١٩/٣) وفي ص ٢٠ جزء ١٩ ، أيضا ، يقول ، وفي السنة نفسها توفي سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدون التغلبي ... وهذه الرواية ، رواية إهداء أبي الفرج الكتاب لسيف الدولة الذي توفي سنة ٣٥٦ هـ ، تسائر مذهبنا إليه من افتراض أن أبا الفرج قد انتهى من كتابه في سنة وفاته (ت ٣٥٦ هـ) ، وإلى هذا يذهب ياقوت الحموي في معجمه (٩٨/١٣) وانظر تاريخ ابن كثير ٢٦٤/١١ .

(٢) ابن خلدون — المقدمة — ١٤٤/٤ والدكتور حسن إبراهيم — تاريخ الإسلام ١٧٩/٣ .

(٣) الأغاني — ط الوزارة — ١٥٨/٢

(٤) الأغاني — ط الوزارة — ١٢/٥

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة^(١) ويقول: أخبرني أبو الفضل الحباب في كتابه إلى^(٢)

فكيف يكتب أبو خليفة إلى أبي الفرج ويحيز له رواية الأخبار عنه وهو لم يلقه أو لم يعرفه ؟

ومن ثمَّ كيف يلقاه أو يعرفه ويقلب اسم الكتاب إلى (طبقات فحول الشعراء) ؟

وإذا قيل إن أبا الفرج ذكر في ترجمته للمخبل السعدي أن ابن سلام ذكره في الطبعة الخامسة من فحول الشعراء^(٣) نقول إنه ذكر العجير السلولى وجعله في طبقة أبي زيد الطائى ، وهى الخامسة من طبقات شعراء الإسلام ، وهذا حدث فى نفس الجزء المذكور فيه ترجمة المخبل السعدي ، بل قبله بمائة وإحدى وثلاثين صفحة^(٤) وذكرها مرة ثانية فى ترجمة سويد بن كراع قال : « وذكر ابن سلام فى كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال ... »^(٥) .

ولفظ (فحول) لفظ عابر أتى مع سياق الحديث ولا يقصد به شىء على الإطلاق ، لأنه لو قصد إلى اعتبار الشعراء فى طبقاته فحولاً كلهم لرفضنا هذا منه وأخرجنا له طائفة لا تسموا إلى درجة الفحولة . ولوضع نفسه فى دائرة ضيقة وهى ترتيب الفحول فقط فى طبقات . ولكنه آثر أن يكون مؤلفه فى الشعراء والمشهورين المعروفين منهم^(٦) وليس كل مشهور فحلاً ولا كل فحل مشهوراً .

ثانياً : طبقات الكتاب

فى دار الكتب بالقاهرة مخطوطة لكتاب طبقات الشعراء تحت رقم (٣٦ أدب) عدد ورقاتها (١٠٥) ورقة ، ذات خط حسن منمق ، فى كل سطر عشر

(١) الأغاني — ٣٠٥/٨ و ٥/٩ و ٣٠٧ و ١٢٧/١٢

(٢) الأغاني — ٨٢/١ و ١٦٥/١٦ و ١٢٤/١٨ و ١٢٥ ط ساسى ، و ١٥٧/١٩ ط ساسى .

(٣) الأغاني — ١٨/١٣

(٤) الأغاني — ٥٨/١٣

(٥) الأغاني — ٣٤٠/١٢

(٦) طبقات ابن سلام — ص ٣

كلمات وفي كل ورقة سبعة عشر سطرا ومكتوب في نهايتها .

« وقع الفراغ من نسخ هذه النسخة الشريفة على يد أحقر عباد الله ، الصمد
الراجي من فضله ، محمود الشكري ، من قرة حصار شرقى ، في اليوم الثانى من
شهر ذى الحجة الشريفة لسنة ثلاث وثلثمائة وألف من هجرة سيد الكونين صلى الله عليه
على تعاقب المملوكين وكان نسخها من كُتُبْخانة شيخ الإسلام الكائنة فى المدينة
المنورة ، ومُعَنَوَتَة باسم (طبقات الشعراء للجمحى) » .

وفى الدار مخطوطة أخرى تحت رقم (٣٧ أدب ش) عدد ورقاتها (٩٧)
ورقة بخط أقل جودة من السابقة والورقة بها (١٧) سطرا ومكتوب فى نهايتها .

« كان الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة يوم الثلاثاء فى واحد وعشرين
من شوال سنة ١٣١٠ هـ ألف وثلثمائة وعشرة من هجرة النبى سيد البررة أفضل
الصلاة وأكمل التحية ، على يد أحقر العباد محمد بن الشيخ عبد القادر السندى
ثم الممدنى ، غفر الله له ولوالديه ، وأحسن اليهما ، واليه ، صلى الله على سيدنا
ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما
كثيرا ، والحمد لله رب العالمين » .

وراوى المخطوطتين « أبو محمد عن أبى طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن
نصر ابن بجير القاضى عن أبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحى عن أبى عبد
الله محمد بن سلام الجمحى »

« وأعتقد أن المخطوطة (٣٧ أدب ش) نسخة أخرى من مخطوطة (٣٦
أدب ش) .

وفى المكتبة العامة بالاسكندرية « البلدية سابقا » مخطوطة تحت رقم ١٧٧
تاريخ/ ٨١٦٧ ج باسم « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحى وفى نهايتها :

« وقد نقلها أضعف الكتاب ، راجى عفو ربه القدير ، محمد إبراهيم الخفير
النساخ بدار الكتب السلطانية من نسخة مضبوطة طبق الأصل حرفا وحرفا
والحمد لله رب العالمين » .

وفي الهامش :

« وقع الفراغ من نسخ هذه النسخة الشريفة على يد أحقر عباد الله الصمد ،
الراجي من فضله ، محمود الشكري من قرّة حصار في (١٣٠٣ هـ) .

فالأصل نسخة كتبخانة شيخ الإسلام الكائنة في المدينة المنورة ، نسخ منها
الأستاذ محمود الشكري نسخة للدار الكتب ، وأصبحت أصلا ، نسخ من هذا
الأصل الأستاذ محمد إبراهيم الخفير نسخة للإسكندرية ، ونسخ الأستاذ محمد بن
الشيخ عبد القادر السندي نسخة أيضا للدار الكتب وهي (٣٧ أدب ش) .
فيكون لدينا أصل وصورتان . وتكون المخطوطة (٣٦ أدب ش) هي
المخطوطة الأم .

ومن المخطوطتين الموجودتين في الدار ، ظهرت أولى طبعات الكتاب وذلك سنة
١٩١٦ م عن طريق مجهود ضخم قام به المستشرق الألماني يوسف هّل ، وطبعها
في مطبعة ليّدن ، وقد اعتمد يوسف هّل على المخطوطتين اعتمادا كبيرا وأشار إلى
ذلك في المقدمة ، وسرعان ما أصبحت طبعة ليّدن للكتاب أصلا من الأصول
اعتمد بعض الناشرين عليها ، والبعض الآخر كلف نفسه مشقة الرجوع إلى
مراجع اليه يوسف هّل مع الاستعانة بما فعل في نسخته المحققة .

فظهرت طبعة السعادة ، نشر حامد محمد عَجّان الحديد الكتي بحلب وذلك
سنة ١٩٢٠ م ، كما ظهرت طبعة المطبعة المحمودية التجارية نشر محمود علي صبيح
وهي بدون تاريخ ، ولكنها وصلت إلى دار الكتب سنة ١٩٢٣ م ، وظهرت أيضا
طبعة أخرى للسعادة نشر محمود علي صبيح وأخيه محمد .

وقد حرص محمود صبيح على أن يبين في نشرته للكتاب أنه طبع على نسخة
خطية قديمة ، وقوبل على نسخة طبع أوربا وهو في طبعة المحمودية للكتاب
يصدّرها بترجمة لابن سلام نقلها عما قاله الأنباري والسيوطي وجورجي زيدان .
والكتاب في مخطوطاته وطبعاته ظهر باسم (طبقات الشعراء الجاهليين
والإسلاميين) .

فاذا أردنا أن نحقق الكتاب تحقيقاً علمياً استهدفنا مخطوطه (٣٦ أدب ش) مع النظر بعين الاعتبار لأى مخطوطة أخرى — غير النسختين الأخريين لها (نسخة مكتبة الإسكندرية) و (نسخة ٣٧ أدب ش) .

طبعة ليدن : سنة ١٩١٦ م :

إنّ قراء العربية ، ومتخصصى الأدب والنقد ، يدينون بالفضل الكبير للمستشرق العظيم يوسف هلّ ، الذى تجشم صعباً جمة وتصدى للكتاب باصرار العلماء وصبر الباحثين ، فليست اللغة لغتُهُ ، وليست هى بالسهلة ولكن الرجل صمم أن يضع فى يد قراء العربية كنزاً من كنوز أجدادهم .

وطبعة ليدن للكتاب بها مقدمة بالألمانية ، ثم ثبت بالمراجع التى رجع إليها المحقق العظيم وفى مقدمتها مخطوطتا (٣٦ أدب ش) و (٣٧ أدب ش) ثم تحقيق فى الألفاظ التى وقع فيها خلاف ، ورأى المحقق مع شرحه لبعض الألفاظ الغريبة ويلين هذا فهرس أسماء الرجال والنساء والقبائل والمواضع وغير ذلك ويليه فهرس القوافى ثم فهرس الكتاب .

والكتاب نفسه يقع فى (١٥٤) صفحة والصفحة الكاملة بها اثنان وعشرون سطراً ، وقد حاول المؤلف أن يشكل كثيراً من الأعلام والألفاظ وأبيات الشعر والكتاب فى الحجم المتوسط .

ومن الطبيعى أن يقع المستشرق يوسف هلّ فى أخطاء فنية ، وهذا يرجع إلى طبيعة المخطوطة ، وعدم دقة الكتابة بها أحيانا ، كما يرجع أيضاً إلى صعوبة اللغة وكثرة غريب ألفاظها على المحقق ، مما جعلنا نعيد له أخطاء بمعدل كل صفحة خطأً أو خطآن أو أكثر ، والذى وسع عليه رقعة الأخطاء أنه لجأ إلى شكل الأعلام وبعض الألفاظ فكان فيها معظم الخطأ .

وفى المقدمة الألمانية للكتاب استعرض المستشرق يوسف هلّ هواجسه وأراءه فى الكتاب وصاحب الكتاب .

وكنت قد عرّضتُ مقدمة المستشرق يوسف هلّ التى كتبها بالألمانية على الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف هاشم الأستاذ بكلية العلوم بجامعة

الإسكندرية فتفضل مشكوراً وترجمها ، ثم وجدت الأستاذ شاكر قد عرض نفس المقدمة على الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي والأستاذ الدكتور أحمد بدوي وذلك في الطبعة الجديدة لكتاب الطبقات^(١) وأستطيع أن أستعرض أهم مآثر انتباه المستشرق يوسف هـل وسجله في المقدمة .

أولاً : أبدى إعجابه بطريقة العنونة التي اتبعها ابن سلام في كتابه والتي رأى أنها إظهار براعة من ابن سلام ، واعتداد منه بكثرة معرفته لعدد كبير من الأسماء مسلسلة — تلك الطريقة التي لم يلاحظها عند الأصمعي — وهي الرجوع إلى آراء السابقين في حكمه ، وفي طريقة علمية^(٢) .

ثانياً : أشار إلى أن كتاب الفهرست قدم عملين لابن سلام ، ولكن في النصوص التي عثر عليها وجد عملاً واحداً ، له مقدمة واحدة ، تشمل طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء للإسلاميين وقد وضع بينهما فصل جديد عن المخضرمين على أنها مجموعة وسط بين الجاهليين والإسلاميين^(٣) .

ثالثاً : لاحظ أن الفقرة التي وردت في طبعة كـيـدن^(٤) وهي « ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عن مَنْ مضى مِنْ أهل العلم على رهنط أربعة من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة » يقول : هذه الفقرة تدل على أنها جزء من مقدمته الخاصة بالشعراء الإسلاميين^(٥) .

ويلاحظ عدم الترابط ، مع وجود فقرات داخل المقدمة في الغالب مأخوذة من مقدمة أخرى ، والمرجح — كما يقول يوسف هـل — أنها مقدمة لفصل عن الشعراء الإسلاميين ويبدو ذلك في (ط كـيـدن)^(٦) .

رابعاً : ذكر أن كتب الأدب نقلت عنه أخباراً لم يُجد لها ذكراً في الطبقات منها مارواه أبو الفرج في أغانيه (٢/٩ ط سباسي) حين ذكر دريد بن الصمة ،

(١) انظر ص ٥٢ من مقدمة المحقق لطبقات (فحول) الشعراء ط المذني سنة ١٩٧٤ م .

(٢) ص ١٥ ، ١٦ .

(٣) ص ١٦ .

(٤) ص ١٥ .

(٥) ص ١٨ .

(٦) ص ٩ ، ص ١٠ ، ص ١٥ س ٦ ، ١٢ .

فقال (وجعله محمد بن سلام ، أول شعراء الفرسان) ثم مارواه أيضا في الأغاني (١٣٤/١٦ ساسي) إذ ذكر خفاف بن ثذبة فقال (وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ، ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ، ومالك بن حمار الشمخي) ، ثم قل (إن هذين النصين حملا بروكلمان إلى الظن بأن ابن سلام خليف بآن يكون قد ألف كتابا في (فحول الشعراء) أو (فرسان الشعراء) ويعلق يوسف هل بأنه لم يرد في الفهرست ، ذكر كتاب بهذا الاسم ويقول : قد يكون هذا الخلط الذي وقع فيه أبو الفرج ناتجا عن وجود مؤلفات لآخرين بنفس الاسم مثل « طبقات الشعراء » لدعبل ، « وكتاب الفرسان » لأبي خليفة « وطبقات الشعراء » لأبي حسان الزيادي ، « وطبقات الشعراء » لأبي عبيدة معمر بن المثنى .

خامسا : يحار من وجود ابن سلام أصلا للكتاب وأبي خليفة محررا للكتاب وأبي طاهر محمد بن أحمد بن بجير النقاضي راويا للكتاب ويتساءل عن نصيب كل منهما فيه ، مع إعجابه بدقة رواية أبي خليفة لكتاب خاله ابن سلام الجمحي .

سادسا : يقول في (ص ٢١) إنه اعتمد على المخطوطه (٣٧ أدب ش) أكثر من اعتماده على المخطوطه (٣٦ أدب ش) مع أنه يلاحظ تطابقا كبيرا لدرجة أنه يعتبر الحديثه منهما صورة للقديمه ، ولو لم تكن الحديثه أكثر إسهابا في بعض المواضع ، وأنه قد اعتمد عليهما باعتبارهما يكملان بعضهما .

وأخيرا يرجو أن تظهر اكتشافات جديدة تكمل النواحي الناقصة في الطبعة التي قام بها .

طبعة دار المعارف ١٩٥٢ بتحقيق العلامة الأستاذ محمود شاكر :

وإذا كان ابن سلام قد أحسن عندما ألف كتابا في النقد ، فإن الله تعالى قد أكرمه ، حين قيض له الأستاذ محمود محمد شاكر يحقق كتابه الطبقات ويقدمه في ثوب جديد ، منمقا ، مزدانا بالإطلاع الغزير ، والثقافة المتنوعة ، ترف عليه روح العلماء وتواضعهم .

وأود أن أقول الكثير من الحسنات التي أسداها الأستاذ شاكر للأدب والنقد أولاً ثم لابن سلام ثانيا ، لأن هناك الذي أستطيع أن أشير إليه وبسهولة ولكن

سأقف هنيهة عند بعض الملحوظات التي عُنْتُ لى ، ومهما كان شأنها فلن تقلل من روعة هذا العمل الضخم .

أقول إذا تركنا قصة العنوان التي أثرتها من قبل . انتقل بصرنا نقلة إلى نهاية الكتاب نبحث عن المصادر التي أعتمد عليها المحقق وتاريخ ومكان طبعتها ، لنبحث عما يَعْنُ لنا البحث عنه — لم نجد شيئاً في المقدمة، وتبرير الأستاذ شاكر لذلك قوله :

« وقد آثرت أن لا أذكر في المراجع إلا مالا غِنَى عنه وكرهت أن أحشد عند كل مكان مراجع كثيرة لا ينتفع بها (قارئ الكتاب) انتفاعاً يذكر . وأما أهل العلم والتحقيق فهم أقدر منى على استيعاب ما يشاءون من المراجع ، وهم لذلك في غِنَى عن الإدلال عليهم بكثرة مراجعي وتنوعها (١) .

والأمر ليس إدلالاً بكثرة مراجع ، ولكنه بحث علمي له أدواته ووسائله .
وندع الآن قصة العنوان ، ونَقْصُ ثَبَّت المراجع ، إلى موضوع شائك أثار شك الباحثين وتساؤلهم المتكرر كلما تعرضوا للكتاب ، « هل كتاب الطبقات كتاب أم كتابان ؟ » .

يشير المستشرق يوسف هِل إلى أن كتاب الفهرست قد ذكر عملين لابن سلام ، ولكن في النصوص التي عثر عليها وجد عملاً واحداً ، له مقدمة واحدة ، تشمل طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين ووضع بينهما فصل جديد عن المخضرمين على أنها مجموعة وسط بين الجاهليين والإسلاميين ص ١٦ - مقدمة يوسف هِل .

ويرد الأستاذ شاكر أن ذكر صاحب الفهرست في ترجمة ابن سلام كتابين باسم « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات الشعراء الإسلاميين » لا يدل على أنهما كتابان منفصلان ، فإن القدماء كانوا إذا اختلف الموضوع في الكتاب الواحد ، سمو كل باب كبير منه (كتاباً) فابن قتيبة مثلاً (ولد سنة ٢١٣ هـ وتوفي سنة ٢٧٦ هـ) ألف « أدب الكاتب » ، وكتاب « معاني الشعر

(١) المقدمة : ص ٣٣

الكبير » ، وكتاب « عيون الأخبار » وغيرها (وكلها مطبوع) فكتاب « أدب الكاتب » فيه أربعة كتب : كتاب المعرفة ، وكتاب تقويم اليد ، وكتاب تقويم اللسان ، وكتاب الأبنية ، وفي كل كتاب منها أبواب عدة — وكذلك « معاني الشعر الكبير » يحتوي على اثني عشر كتابا ، في كل كتاب أبواب كثيرة ، فعبارة ابن النديم لاتدل عن أنهما كتابان منفصلان — بل هما بابان كبيران من كتاب واحد . وسائر النقول عن كتاب (طبقات الشعراء لابن سلام) تدل على ذلك دلالة واضحة — ومن رجع إلى فهرست ابن النديم ، عرف صحة ماذهبنا إليه «

وقبل أن أناقش المشكلة أناقش كيفية وصولها إلى ابن النديم : قلنا إن لقاء حدث بين أبي خليفة وأبي الفرج الأصفهاني ، ولكن ابن النديم توفي سنة ٣٨٥ هـ بينما توفي قبله أبو الفرج الأصفهاني سنة ٣٥٦ هـ ، وإذا ألف ابن النديم كتابه بعد هذه السنة فما قيمة اللقيا ؟ وبالرغم من ذلك : يقول ابن النديم في كتابه (ص ٢٠٩) « وحدثني أبو الفرج الأصفهاني قال : حدثني أبو بكر محمد بن خلف ، وكيع ، قال : سمعت حماد بن إسحق يقول : ما ألف أبي هذا الكتاب قط يعني (كتاب الأغاني الكبير) — ولا رآه — ... الخ ثم يقول ابن النديم : وقال لي أبو الفرج : هذا سمعته من أبي بكر وكيع . »

فابن النديم التقى بأبي الفرج ، وأبو الفرج — فيما نرجح — التقى بأبي خليفة الفضل بن الحباب .

والسنوات التي مضت من وفاة أبي خليفة سنة ٣٠٥ هـ إلى وفاة ابن النديم سنة ٣٨٥ هـ ليست طويلة لدرجة الخطأ والخلط وضياح الكتاب ، ثمانون سنة ليست شيئا يفعل الأفاعيل في كتاب ، ويشوهه ، وينقل اسمه إلى اسمين ، ويتصرف فيه مع العلم بأن تلاميذ ابن سلام وتلاميذ أبي خليفة ، قد نسخ كل منهم بدوره نسخة من الطبقات — فإلى سنة وفاة ابن النديم ، أي إلى سنة تأليف كتاب الفهرست — نقرر باطمئنان أن الكتاب كان سليما صحيحا ومنتشرا بين طبقة المثقفين ، بل قد سمع به المغرب العربي حين وصل إليهم كتاب « الأغاني » يحمل في طياته مائتين وخمسة وأربعين خبرا عن طبقات ابن سلام .

والتصفح لكتاب الفهرست يجد أدلة عديدة على تحري ابن النديم الدقة والتزامه النصفه وبعده عن التحيز ، فهو مثلاً يقول في ترجمة أبي عبد الله هارون بن علي ، وله كتاب « اختيار الشعراء » ولم يتعمه (١) كذا ابنه أبو الحسن علي بن هارون له كتاب ابتداء فيه بنسب أهله عمله للملهبي ولم يتعمه (٢) والطوسي كان عدوا لابن السكيت لأنهما أخذوا عن نصران الخراساني ، واختلفا في كتبه بعد موته ولا مصنف له (٣) .

الشواهد كثيرة مبثوثة في كتاب الفهرست (٤) تدل على مدى دقته في نقل الأخبار ونقل أسماء الكتب — ومثلاً — أنه ذكر كل كتب ابن سلام ، حتى كتابه « غريب القرآن » ذكره ابن النديم تحت عنوان الكتب المؤلفة في غريب القرآن مع كتاب أبي عبيدة ومؤرج السدوسي وابن قتيبة وأبي عبد الرحمن اليزيدي ثم قال : وغريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي (٥)

وليس معنى دقته أنه سجل كل الكتب التي ظهرت إلى عصره ، ولكنه سجل ما وصل إلى علمه منها ، وما حاول جهده أن يعرفه ، فما أورده منها لاختلاف في حقيقته ، والدليل على ذلك بالإضافة إلى ما سبق مناقشته نسبة كتاب الأغاني لإسحق الموصلي (٦) .

ويسرد لنا قصة أخرى عن حكاية الأغاني المنسوب إلى إسحق ، وكعاداته لا يدلي برأيه في شيء كما فعل في أخبار آل المنجم (٧) وفي كتاب « الزين » للخليل بن أحمد (٨) فهو مدقق يسجل ما يراه وما يقرؤه وما يصل إليه ، والكتاب نفسه كفيلاً بتقديم ما ثبت ذلك بوفرة .

(١) ابن النديم : الفهرست ٢١٢

(٢) ابن النديم : الفهرست ٢١٣ .

(٣) المصدر السابق : ١١٢ .

(٤) انظر على سبيل المثال — الفهرست ١١٩ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ٥٨ .

(٦) المصدر السابق : ٢٠٨ و ٢٠٩ .

(٧) المصدر السابق : ٢١١ .

(٨) المصدر السابق : ٦٩ — ٧١ .

وبقى الآن المثل الذى استشهد به الأستاذ شاكر على أن العرب كانوا إذا اختلف الموضوع فى الكتاب الواحد سمو كل باب كبيرا منه كتابا ، والدليل ابن قتيبة وكتابه المقسم إلى كتب صغيرة ، فنقول : إذا كان الأمر كذلك فماذا يمنع ابن النديم أن يقولها صراحة ؟ ولماذا نقول إن ابن النديم يقصد ، ويذهب إلى ، ويود أن . وإذا دققنا النظر فى عبارته وجدنا الرجل واضحا فى كتابه ، جليا فى بيانه . ولو لم يفعل مع ابن قتيبة وأضرابه مافعل فى توضيح مؤلفاتهم لقبلنا هذا الرأى . ولكن بعد تصفح الكتاب مرارا نرفض هذا ونقرر أن « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحي كتاب حوى كتابين كاملين منفصلين بمقدمتين منفردتين ، وجئت عليهما الأحداث فأدمجنا فأصبحا كتابا واحدا .

وقد أورد الأستاذ شاكر نصا من طبعة يوسف هل للكتاب تدل على أن الكتاب كتابان ، ورد عليه بأن هذا النص مقحم ، فما موقف النقاد المحدثين ؟ يقول الأستاذ طه إبراهيم « والظاهر أن الكتاب فى الأصل كتابان ، أحدهما فى طبقات فحول الشعراء الجاهليين والآخر فى فحول الشعراء الإسلاميين ، فاضطراب المقدمة وما فيها من الخلط يشعر بأنها كانت مقدمتين أدمجت أحدهما فى الأخرى (١) .

ويقول الدكتور بدوى طبانة « إن هذا الكتاب مُلَّفٌ من كتابين ، وضع كل منهما لفريق من الفريقين » (٢) . ولكن جورجى زيدان يشير إلى أنه كتاب فى طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين ، وقد ذكره ابن النديم فجعله كتابين أحدهما فى الشعراء الجاهليين والآخر فى الإسلاميين (٣) وإلى هذا يذهب كاتب مقال ابن سلام فى دائرة المعارف « للبستاني (٤) » والدكتور مندور فى مقالة له عن ابن سلام « بمجلة تراث الإنسانية » (٥) .

(١) تاريخ النقد الأدبى — الأستاذ طه إبراهيم ٨٣ ط لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٣٧ م .

(٢) دراسات فى نقد الأدب العربى : الدكتور بدوى طبانة ١٢٨ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيدان ١٢٣/٢ .

(٤) ص ١٩٧ .

(٥) المجلد الأول ص ٦٥٩ وما بعدها .

فالنقاد ينقسمون إلى مؤيد لابن النديم ومؤيد للأستاذ شاکر ونتساءل على أى المصادر يعتمد الأستاذ شاکر؟ تجده يعتمد على النسخة الأوربية، ثم نسخة السعادة نشر حامد عَجَّان الحديد الكتبي، ويقول في المقدمة (ص ٧) (ثم نشر الكتاب نفسه عن النسخة الأوربية فيما أرجح وعن المخطوطتين المذكورتين [يقصد مخطوطتي (٣٦ أدب ش) و (٣٧ أدب ش)] حامد عَجَّان الحديد الكتبي وطبع بمطبعة السعادة سنة ١٩٢٠م ثم طبع الكتاب بعد ذلك طبعات لاخير فيها والمعتمد عند أهل العلم هما هاتان الطبعتان) .

ولاندري مَنْ مِنْ أهل العلم اعتمد طبعة السعادة أو طبعة ليدن؟ فطبعة السعادة اعتمدت على طبعة ليدن والمخطوطتين، وطبعة ليدن اعتمدت على المخطوطتين، والمخطوطتان إحداهما اعتمدت على الأخرى فيجب هنا أن يكون مدار حديث الأستاذ شاکر مخطوطة (٣٦ أدب ش) التي هي الأصل والأساس الأول الذي ظهر عنها المخطوط والمطبوع من الكتاب .

والمخطوطة (٣٦ أدب ش) تقول (فاقصرنا في هذه على فحول الشعراء الإسلاميين للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتي المؤلفة في ذلك)

يقابلها في المطبوعة تحقيق الأستاذ شاکر ص ٢٢ (فاقصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات ...)

والعبارتان توقعان في الحيرة، وليس أماننا إلا أسلوب ابن سلام في المقدمة، فقد يمدنا بما نتوكأ عليه — يقول ابن سلام : ذكرنا العرب وأشعارهم والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها، فاقصرنا من ذلك على مالا يجهله عالم، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه ...) (ص ٣٧) .

والتصفح لكتاب ابن سلام يجد عدیدا من أشراف العرب المشار إليهم في الأدب والسياسة والحكم، بالإضافة إلى شعرائهم الذين يفرّد لهم كتابه، وأما

الأيام ففي الكتاب واحد وأربعون يوما ، واذن « فابن سلام في أسلوبه يقدم أولا ما سيطرحه من قضايا جملة ثم يبدأ بشرحها قضية قضية . فهو يتبع تقديم القضية الكلية ثم يردفها بما تحوى من قضايا جزئية . وقد تكلم عن الشعراء والأشراف والأيام في تصنيفه هذا فأين الشعراء الفرسان وطبقاتهم ؟

هل من التعسف في القول إذا قلت ان « كتاب طبقات الشعراء » كتاب وقع في جزئين أحدهما في طبقات الشعراء الجاهليين وألحق به طبقات الشعراء الفرسان ، والثاني في طبقات الشعراء الإسلاميين وألحق به شعراء القرى والمراثى والشعراء اليهود ، إن الشعراء الفرسان أحراراً وصعاليك . كانت معظم أحداثهما ووجود مشاهيرهما في الجاهلية ، وشعراء القرى واليهود وشعراء المراثى عاشوا معظمهم في الجاهلية حتى مطلع الإسلام . والرياشى ، ألم يأخذ الكتاب قبيل وفاة ابن سلام جزءا جزءا ؟ فهو يعتبر كتابا واحدا في الموضوع ، لأن الفكرة واحدة ومطرودة ، وكأني بابن سلام بعد أن انتهى من كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وجد الموضوع يحتاج إلى تعميم وتطبيق فأكمل حديثه في كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين .

وحين يعتبرهما ابن النديم كتابين فهو صادق لأنهما كتابان ، والذين يعتبرون الكتاب كتابا واحدا قد نظروا إليه من حيث موضوعه ومضمونه . لاشكليه ويجوز أنهم وجدوه مغلفاً بغلاف واحد . ولكن هذا لا يمنع أن يكون ابن النديم صادقا في حديثه عن كتابي ابن سلام .

بقيت مسألة في طبعة دار المعارف ، وقبل أن نتعرض لها ، نذكر تعليقا للأستاذ شاكر على فقرة ابن سلام التي يقول فيها (ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، إذ لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب ، فبدأنا بالشعر) .

يقول الأستاذ شاكر (ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال ابن سلام في الشعر والشعراء وحدهم ، على مائتين بعد في كتابه ، وقال أنه « بدأ بالشعر » فهذا

وحده مشعر بأنه سوف يتبع الشعر بالكلام على (فرسان العرب) ثم (أشراف العرب وساداتها) ثم (أيام العرب) ، وقد وجدنا كتاب (طبقات فحول الشعراء) ، وذكر ابن النديم كتاباً أسماه (يئوتات العرب) فهذا فيما نعتقد هو الذى فيه ذكر (أشراف العرب وساداتها) فجاء أبو الفرج فدلنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لابن سلام هو (كتاب الفرسان) (أو كتاب فرسان الشعراء) . وابن النديم لم يستوعب كتب كل مؤلف ، ولا هو ادعى ذلك وهو خليق أن يكون سقط ذكره عنه ، كما سقط عنه ذكر كتاب ابن سلام (غريب القرآن) (١) .

وبعد أن بينت أن ابن النديم لم يسقط عنه ذكر كتاب « غريب القرآن » وقد ذكره في ص ٥٨ من كتابه ، أقول أن كل ما في الأمر أن المؤلف يعدد للقارئ ما ما سيقدمه له ، والدليل على ذلك أنه بعد أن قال (فبدأنا بالشعر) قال وفي الشعر مصنوع مفتعل موضع كثير لاخير فيه (٢) ، وإذا كان هذا ثبثاً بكتبه فأين ذكر كتاب « غريب القرآن » ؟ وأين ذكر كتاب « ملح الأخبار والأشعار » ؟

يقول الأستاذ شاكر ، « وقد جمعت أيضا كل أسانيد أبي الفرج إلى ابن سلام على اختلاف صورها التي ذكرها في كتابه ، فبلغت عدتها أربعة وخمسين إسنادا ، كنت أحب ذكرها مفصلة بين يدي هذا الكتاب ، ولكنى رأيت طال وامتلاً واكتظ .. ولكن يهمنى هنا أن أثبت منها مايتصل بأمر كتابنا هذا » وبعد أن ذكر ثلاثة عشر سنداً قال : « وهذه النصوص تدل دلالة واضحة على أن أبا خليفة كان قد كتب إلى أبي الفرج كل ما رواه عن ابن سلام ، لكتاب الطبقات وكتاب الفرسان وغيرهما ، وأنه أجاز أبا الفرج بروايتيهما عنه وأظن أن هذا الكتب لم تصل إلى أبي الفرج إلا بعد إعداد كثير من مادة كتابه الأغاني فإنه لم يذكر ابن سلام ولا طبقاته في كثير ممن ترجم هو لهم ، ولهم في الطبقات ذكر (٣) .

(١) المقدمة ٦٠ .

(٢) ابن سلام : طبقات الشعراء ٣ و ٤ .

(٣) المقدمة : ٢٨ - ٣٠ .

وأقول : أما أسانيد ابن سلام في كتاب الأغاني فقد جمعت الأخبار التي حواها الأغاني لابن سلام فكانت (٢٤٥) خبراً موزعين في الكتاب من جزئه الأول إلى جزئه الحادي والعشرين ، أرجعت منها إلى كتاب الطبقات (١٢٣) خبراً ، وبقي (١٢٢) خبراً استقاها أبو الفرج من كتب ابن سلام الأخرى ، ومن ثم ، لماذا يظن الأستاذ شاكر تأخر وصول تراث ابن سلام إلى أبي الفرج وفي الجزء الأول من الأغاني اثنا عشر خبراً أرقام صفحاتها (٣٩ — ٤٠ — ٦١ — ٦٦ — ٧٩ — ٨٢ — ٢٦٥ — ٢٩٤ — (خبران) — ٣١٠ — ٣١٤ — ٣٣٨) ، وفي إسناد الخبر السادس يقول أبو الفرج (٨٢) (أخبرني الفضل ابن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلى قال حدثنا محمد بن سلام قال : أخبرني شعيب بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر ابن عبد الله بن معمر كلام ... الخ) .

أما المسألة الأخرى فيشرحها الأستاذ شاكر في المقدمة بقوله :
(ولما كانت المطبوعة ناقصة أو مختصرة كما قلنا ، استبحت لنفسي أن أنقل أخبار أبي الفرج التي أسندها عن أبي خليفة إلى ابن سلام في مواضعها التي ظننت أنها أحق بها . ففعلت ذلك في المواضع التي ضاع من مخطوطتنا ما يقابلها وكذلك فعلت بالأخبار التي رواها المرزباني في « الموشح » عن إبراهيم بن شهاب عن أبي خليفة عن ابن سلام ، فإنني رأيت مانقله المرزباني أيضاً مطابقاً لما في النسخة المطبوعة أو النسخة المخطوطة في أكثر رواياته — وهي كثيرة — وهناك أخبار أخرى نقلتها عن أبي القاسم الزجاجي في أماليه في موضوعين أو ثلاثة رأيت أنها شبيهة بأن تكون من كتاب ابن سلام — ولولا أن الأمر قد يطول لذكرتها واحدة واحدة حتى يطمئن القلب إلى صواب ما ذهبت إليه من ذلك^(١) .

ولقد تبعت الزيادات في طبعة دار المعارف فوجدتها كثيرة جداً . أخبار تشغل صفحات برمتها — وأبيات كاملة ، وأعجاز أبيات ، أو صدورها ، قد أشار إليها الأستاذ شاكر ، أما الزيادات التي وضعت بين قوسين فلا أدري عنها شيئاً .

(١) المقدمة ٣١ — ٣٢ .

وإذا تتبعنا الفقرات الكاملة المزودة في طبعة دار المعارف وبيننا مصدر كل فقرة
لكانت النتيجة : في ص ٢٨٧ فقرة من الأغاني : في ص ٢٨٩ فقرة من
الأغاني ، في ص ٣٠٨ فقرة من الأغاني ، في ص ٣١٥ فقرتان من الأغاني
والموشح ، في ص ٣١٦ فقرة من الموشح ، في ص ٣٢٠ فقرة من الأغاني ، في
ص ٣٥٥ فقرة من الأغاني ، في ص ٣٥٩ ثلاث فقرات من الأغاني ، في ص
٣٦٠ فقرة من الأغاني ، في ص ٣٦١ فقرة من الأغاني ، في ص ٣٩١ فقرة من
الأغاني ، من ص ٤١٦ إلى ص ٤١٨ فقرة من الأغاني في ص ٤١٩ فقرة من
الأغاني ، في ص ٤٢٠ فقرة من الأغاني ، في ص ٤١٣ فقرة من الأغاني ، في
ص ٤٣٦ فقرة من الأغاني ، في ص ٤٦٥ فقرة من الأغاني في ص ٤٦٦ فقرة
من الأغاني والموشح ، في ص ٤٦٨ فقرة من الموشح ، في ص ٤٧٥ فقرة من
الأغاني ، في ص ٤٧٩ فقرة من الأغاني ، في ص ٤٨٠ فقرة من الأغاني ، في
ص ٥١٠ فقرة من الأغاني ، في ص ٥١١ فقرة من الأغاني ، في ص ٥٢٠ إلى
ص ٥٢٢ فقرة من الأغاني ، في ص ٦٤٢ فقرة من الأغاني ، في ص ٥٤٣ فقرة
من الأغاني ، في ص ٥٤٥ فقرة من أمالي الزجاجي ، في ص ٥٧٦ فقرة من
الأغاني ، في ص ٥٧٩ ثلاث فقرات من الأغاني ، في ص ٥٨٠ فقرة من
الأغاني في ص ٥٨١ فقرة من الأغاني ، في ص ٥٨٩ فقرة من الأغاني .

فيكون عدد الفقرات التي نقلها الأستاذ شاكر من مصادرها وأضافها الى
كتاب الطبقات (٣٧ فقرة كاملة) .

أما الصفحات التي زاد فيها كلمة أو عبارة أو بقية نسب ، فأرقامها هي :
(٣٣) كلمتان ، (٨٣) كلمة ، (٢٢٩) بقية نسب ، (٨٩) كلمتان ، (٢١٦)
نسب كامل ، (٢٢٠) بقية نسب ، (٢٢٣) وضع جملة في غير مكانها ،
(٢٣٥) بقية نسب ، (٢٧٤) أربع كلمات ، (٢٧٨) كلمة ، (٢٧٦)
كلمتان ، (٢٨٣) نسب وسبع كلمات ، (٢٨٦) بقية نسب ، (٢٨٨) بقية
نسب ، (٢٩٤) كلمة وبقية نسب ، (٣٠٨) بقية نسب ، (٣٢٢) كلمة
وبقين نسبين ، (٢٣٤) سبع كلمات ، (٣٣٦) ست كلمات ، (٣٣٧) سبع
كلمات ، (٣٤٦) كلمتان ، (٣٤٧) كلمة ، (٣٦٢) كلمة ، (٣٦٨)

كلمة ، (٣٧٠) عشر كلمات ، (٣٧١) كلمة ، (٣٧٢) أربع كلمات ،
(٣٧٥) اثنتا عشرة كلمة وبقية نسب ، (٤٠٦) كلمتان ، (٤٠٨) ثلاث
كلمات ، (٤١٨) بقية نسب ، (٤٢٢) بقية نسب وكلمة ، (٤٣٤) ثماني
عشرة كلمة ، (٤٥١) بقية نسب ، (٤٦٩) خمس كلمات ، (٤٧٦) كلمة ،
(٣٥٨) كلمة ، (٥٥٤) تسع كلمات . وعددها (٤٠) موضعا وهذه ما أشار
إليها الأستاذ شاكر بأنها زيادة لضرورة تمام المعنى أو لسياق الكلام أو ماشابه ،
وتركنا الزيادات التي بين الاقواس ولم يوضح الأستاذ شاكر مصدرها وسبب
مجيئها ، وهي كثيرة .

أما زيادات الأبيات الكاملة أو شطر البيت فصفحاتها :

(٣١) ٦ أبيات ، (٦٤) شطرتان ، (٨٨) بيت ، (٨٩) بيت ، (٩٠)
سطر ، (٩٣) سطر ، (١٠٤) بيت ، (١٧٦) شطرا ، (١٣٦) بيت ، (٢٤٦)
بيت ، (٢٥٨) بيت ، (٢٩٠) بيت ، (٣٠٣) بيتان ، (٣٠٧) بيتان ،
(٣٣٦) بيت ، (٣٦٥) بيت ، (٣٦٦) بيت ، (٣٦٧) ٥ أبيات ، (٣٦٨) ٣
أبيات ، (٤٠٠) بيت ، (٤٢٧) بيت (٤٦٣) بيت ، (٤٦٥) بيتان ، (٤٦٦)
بيت ، (٥٣٤) بيت ، (٥٥) بيت ، (٥٧٢) بيت ، (٥٧٤) شطرا .
فيكون المجموع سبعة وثلاثين بيتا وستة أسطر .

وهذه الزيادات سبب تضخم الكتاب ولا سيما إذا علمنا أن السطر به عشر
كلمات والصفحة الكاملة — بلا هراش — بها اثنان وعشرون سطرا ، وتلك
صفحات المقدمة ، أما صفحات الكتاب نفسه فأقصى ما وصلت اليه خمسة
عشر سطرا وأدنى ما وصلت اليه ثلاثة أسطر . وأن الفهارس من (ص ٦٠١ إلى
٧١٣) والمقدمة التي كتبها الأستاذ شاكر وقعت في (٣٦) صفحة .

وأخيرا ، هذا شأن طبعة دار المعارف ، ونعلم أننا قد تركنا الرد على بعض
ما جاء في طبعة يوسف هل — ونظن أننا رددنا على بعضه في أثناء حديثنا عن
طبعة المعارف ، ونقرر للرجل صدق نظره حين شك في المقدمة ، وحين تصور
وجود كتاب « الفرسان » لابن سلام ونتقبل خطأه في فهم شكل الكتب القديمة
لأنه بذوقه الغربي يدرس تراثنا العربي .

والأستاذ يوسف هل رجل مستشرق ، وله أن يشك كما يشاء في بعض جوانب حياتنا الأدبية التي تغمض عليه ، وعلينا أن نقدر للرجل مجهوده ولا سيما حين يقرر أنه اعتمد على المخطوطة (٣٧ أدب ش) أكثر من اعتماده على المخطوطة (٣٦ أدب ش) ، مع أنه يلاحظ تطابقا بينهما لدرجة أنه يعتبر الحديثه منهما صورة للقديمة (ص ٢١ من المقدمة الألمانية) وهذا ما أغفله الأستاذ شاكر .

وبعد ، فقد كان من الطبيعي حينما تصدر هذه الطبعة من الكتاب أن يتلقفها النقاد بالبشر ويتفرغون لقراءتها ودراستها ، لذا نجد أثر ذلك واضحا ، في مارس سنة ١٩٥٣ ، وقد نشرت مجلة « الكاتب » وبها مقال نقد للأستاذ السيد أحمد صقر عن الكتاب الجديد طبقات الشعراء لابن سلام . من (ص ٣٧٩ — ٣٨٧) يقول : « ... وإن شرحه هذا لشرح دقيق جليل ، لاتكاد تمضي فيه حتى تحس أنك أمام رائد أدبي ممتاز ، يرتاد بك منازل الكتاب ، مفسرا لما غمض من ألفاظه ، موضحا لما أنبهم من معانيه ، في غير إسراف ولا إسفاف ، كما يصنع بعض الناشرين ، لأنه يقدر وقتك ولحظك حق قدرهما فلا يعوج بك إلا ريثما يطرفك بفائدة لغوية أو نكتة أدبية ، تجلي لك أسرار نص أو تقفك على مفاتن شعر ... إلى آخر ما يستحق المحقق من تقدير وثناء .

ثم يرفض الناقد من الشارح :

١ — إكمال المخطوطة بنقول من المرزباني والزجاجي والأصفهاني وغيرهم .

٢ — تغييره لاسم الكتاب « إلى طبقات فحول الشعراء » .

وأشاد ببعض شروحه ولحاته الفنية النقدية الرائعة ولكنه أخذ عليه ستة مآخذ في شرح الآيات ، فمن ذلك ما جاء في بعض ٢٨ من قول دُوَيْد بن زيد حين حضره الموت :

وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوِثَتْهُ . . . وَمِعْصِمٍ مُّخَضَّبٍ ثَنِيَّتُهُ

قال الأستاذ في شرحه (« الغيل » : الساعد الريان الممتلىء ، يصف صاحبه بالشباب والنعمة والكرامة على أهلها . والمعصم : موضع السوار من اليد . وأراد

اليد نفسها لذكره الخضاب ، وهو الحناء ، أو غيره مما يصبغ به ، يعنى أن صاحبه عروس جديدة الخضاب ، كنى بالشطر الأول عن تجاوزه الأعراس والمنعة إلى الكريمة المنحة . وكنى بالشطر الثانى عن غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج فهى عن التطرف إلى غير زوجها أبعد وأعف) (ولست أرى فى الشطر الأول ما يدل من قريب أو بعيد على أن الشاعر كنى به عن تجاوزه الأعراس والمنعة إلى المنحة الكريمة على أهلها . وكل ما يمكن أن يؤخذ منه أنه يذكر شبابه ومتاعه بالنساء ذوات السواعد السمينة فيقول : وم ساعد عبل ثنيته ، ولست أرى كذلك فى الشطر الثانى أن الشاعر عنى « أن صاحبه عروس جديدة الخضاب » ، وأنه قد كنى به عن « غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج » فما كان الخطاب من زينة العروس فقط ، بل هو من زينة المرأة التى تتخذها طيلة شبابها . وقد وضعت العروس وصفا خاصا لمن تكثر استعماله منهن وجاء فى لسان العرب ٣٤٥/١ : « والخضبة مثل هُمَزَة ، المرأة الكثيرة الاختضاب » .

وفى العدد الثانى من مجلة الكتاب (ابريل سنة ١٩٥٣) رد الأستاذ شاكر على الأستاذ السيد أحمد صقر ، وكان نقده فى جزئين الأول منه يرد فيه على إكمال المخطوطة وتغيير اسم الكتاب ، برّد يدع نقد الأستاذ صقر قائما .

طبعة المدنى ١٩٧٤ م :

وكرت السنون ، ونفدت طبعة ١٩٥٢ م بما لها وما عليها ، ونسى الباحثون يوسف هـل ، وأصحاب الطباعات التجارية ، وصار ابن سلام مقرونا بالعلامة الكبير ، الأستاذ محمود شاكر ، وتطلّع علينا سنة ١٩٧٤ م ببشرى طالما تطلّعنا إليها . وهى الطبعة الجديدة لكتاب ابن سلام للمحقق الرائد الأستاذ محمود شاكر ، وبمقدمتها يُورد الأستاذ شاكر تنبيها رائعا يقول فيه « .. فأنا لا أحل لأحد من أهل العلم أن يعتمد بعد اليوم على هذه الطبعة الأولى ، وأضرع إلى كل من نقل عن هذه الطبعة شيئا فى كتاب سواء كان قد نسبته إلى أو لم ينسبه أن يراجعه على هذه الطبعة الثانية من الطبقات لينفى عن نفسه وعمله العيب الذى احتملت أنا وجدى وزره (١) .

(١) ص ٧ من مقدمة الطبعة الجديدة .

أولا : قصة الطبعة الجديدة :

تركنا الأستاذ شاكر في مقدمة طبعة ١٩٥٢ م عند الأوراق « الدشت » التي أعطاها له المرحوم أمين الخانجي ووجد فيها كتاب « طبقات الشعراء » فأخذها ورتبها ولكنه لم يتم نقلها ثم رد الأم العتيقة التي نقل عنها جزءا منها إلى المرحوم الخانجي ولم يخبره بعدم إتمامه للنقل ، وضاعت الأم العتيقة فلم يجد الأستاذ شاكر بُدًا من أن ينشر ما كان كتبه من الأم العتيقة وأخرجته باسم « طبقات فحول الشعراء » وكان الفراغ منه ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م . ثم ماذا ؟

يقول الأستاذ شاكر في مقدمة طبعته الجديدة « وبعد ظهور الكتاب في الأسواق وبعد إهدائي نسخة منه إلى شيخنا وأستاذنا عبد العزيز الميموني الرَّاجِكُوْنِي أطال الله بقاءه مضى زمني طويل ثم جاءني منه رسالة يذكر فيها أنه قرأ في إحدى مجلات المستشرقين مقالة للأستاذ اربري المستشرق ، فيها قراءة جديدة لكتاب الطبقات ، توشتك أن تكون شبيهة بنسختي التي نشرتها من كتاب ابن سلام ، فلما اطلعت على المجلة أيقنت أن هذه النسخة هي نسختي التي فقدت خبرها بموت أمين الخانجي ، فبادرت وراسلت صديقنا د . محمود رشاد سالم وكان يومئذ تلميذا لأربري في إنجلترا وسألته أن يوافيني منها بمصورة وعلمت أنها بمكتبة « اتشستر بتي » فجاءتني المصورة فإذا هي نسختي وعليها خطي وتوقيعي كما أشرت في التعليق رقم ٣ ص ٢٠٤ فحمدت الله وسألته أن يرد غربة هذه النسخة التي رمتها المقادير إلى بلاد العجم ، ومنذ وصلتني هذه النسخة المصورة جعلت همي أن أعيد طبع الكتاب تاما وكان من فضل الله علي أن ظفرت أيضا بمصورة أخرى لنسخة المدينة شرفها الله وصلى على ساكنها صلاة طيبة مباركة وظل العزم كامنا حتى أذن الله فمهد لطبع كتاب « الطبقات » مرة أخرى على وجه يرضيني بعض الرضى والحمد لله أولا وآخر (١) .

إذن فقد عاد أستاذنا إلى مانادينا به فاعتمد على مخطوطة المدينة مع اعتماده على المخطوطة الأم العتيقة .

(١) ص ١١ من المقدمة

ثم يعقد الأستاذ فصلا يقارن فيه بين المخطوطتين رامزا بالحرف (م) لمخطوطة المدينة وبكلمة (مخطوطة) للآم العتيقة . مشيرا الى أن عدد الأوراق المفقودة من أصل الطبقات خمس وأربعون ورقة ، أما ما بين المخطوطتين من فرق فيقول : « وقد قارنت بين خط النسختين فتبين لي أن الصفحة الواحدة من مخطوطتنا يقابلها من نسخة المدينة (م) مقدار صفحة وبضعة أسطر ، بل ربما بلغت أحيانا أكثر من صفحة ونصف صفحة ، فإذا كان مابقي عندنا من المخطوطة (٦٨) ورقة ومن نسخة (م) (٧١) ورقة ، فمن البين أن (المخطوطة) على ما فيها من خرم بليغ تستوعب من نص كتاب ابن سلام أكثر مما تستوعب نسخة المدينة (م) تامة غير منخرمة — وإذا علمنا أن عدد الأوراق التي ضاعت من مخطوطتنا خمسة وأربعون ورقة على وجه الضبط فمعنى ذلك أن أصلها يوشك أن يكون ضعف نسخة (م) على قلة حروفها وقد دلت مقارنة النصين على مقدار هذا الفرق البين بين النسختين في ثانيا الكتاب كله » (١) .

ثانيا : قصة الإضافات

حدثنا الأستاذ شاكر في هذه الطبعة عن الإضافات التي زادها في الطبعة الأولى والتي ورد ذكرها في مقدمته للطبعة الأولى ، أما الجديد فقولُه هنا ... « فعاب على ذلك بعض أهل الفضل من العلماء ، ولكن لما جاءني مُصَوَّرَة (المخطوطة) كاملة ، وجدت كل ما زدته من الأغاني موجود في (المخطوطة) ، بل كان بعضها في نفس سياق ابن سلام ، وفي موضعه من كتابه كما أثبتته أنا استظهارا ، مثال ذلك الخبر رقم ٧٩٥ فإنني كنت وضعته بعد الخبر ٧٩٢ مباشرة ، وهو كذلك في المخطوطة إلا أنه فصل بينهما الشعر الذي رواه ابن سلام في رقم ٧٩٤ — والخبر رقم ٩٤٧ كنت نقلته من الأغاني ووضعتُه بعد الخبر رقم ٩٤٦ فكان كذلك في المخطوطة أيضا ومواضع أخرى أدع التكميل بذكرها — ومن أجل ذلك رأيت أن الذي فعلته ليس عيبا قادحا في عملي لأن ما في الأغاني هو يبين من كتاب الطبقات ووضعي إياه اجتهادا في موضع من الكتاب ربما أصاب موضعه من أصل ابن سلام وربما أخطأ الموضع الذي وضع فيه ، ولكنه

(١) انظر ص ٤٣ الى ٤٥ من المقدمة .

مع ذلك من أصل ابن سلام بلا ريب . ولا عيب في ذلك إن شاء الله . وعسى أن يأذن الله بظهور مخطوطة كاملة من الطبقات تؤيد أكثر ما ذهبت إليه في إثبات هذه الأخبار في مواضع النقص والخرم التي وقعت في (المخطوطة) وفي (م) ، وهذا بيان المواضع التي أدخلت فيها روايات أبي الفرج من نسخته التي نقل عنها في كتاب الأغاني (١) . فهذه خمسة وعشرون موضعا فيها ستة وثلاثون خبرا منها خبران مذكوران في (م) ولكني أثبت نص الأغاني وخبران في (المخطوطة) زدت فيهما من الأغاني أسطرا وتسعة أخبار زيادة على المخطوطة لأنني أرجح أن نسخة أبي الفرج كانت أتم منها ، فيبقى بعد ذلك ثلاثة وعشرون خبرا كلها زيادة (م) وهي مختصرة كما أثبت ذلك في « بابة المقارنة بين المخطوطتين » .

وليس الأمر مقصورا على الأغاني فثمة زيارات أخرى يقول الأستاذ شاکر « ومراجعتي ما جاء في الموشح تبين لي أن كل ما فيه عن طريق إبراهيم بن شهاب موجود بنصّه في كتاب الطبقات فلذلك زدت خبرين من هذه الطريق تمام رقم ٤٦ ثم رقم ١٤٦ ، ثم زدت أيضا من الموشح من رواية المرزباني عن أبي بكر محمد ابن يحيى الصولي (ت ٣٣٦ هـ) عن أبي خليفة عن ابن سلام الخبر رقم ٧٤٣ ، لأن بعض مارواه عن طريق محمد بن يحيى في الموشح موجود أيضا في الطبقات وكلها زيادة على (م) ، وزدت أيضا خبرا عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عز الدين أبي حامد عبد الحميد هبة الله المدائني (٥٨٦ هـ — ٦٥٥ هـ) لأنه نص على أنه من كتاب الطبقات ، وهو رقم ١٣٧ وهو زيادة على (م) وزدت شيئا قليلا في صدر الخبر رقم ٧١٢ عن ابن عساكر في مخطوطة تاريخ دمشق لأنه إنما نقل في كتابه عن كتاب الطبقات . وإذن فمجموع ما زدته من الأخبار عن أصل الطبقات (م) هو سبعة وعشرون خبرا وتسعة أخبار زيادة على (المخطوطة) فهي جميعا ستة وثلاثون خبرا وأرجو أن أكون قد أصبت الحق في أكثر ذلك (١) .

(١) انظر ص ٤٤ وفيها أرقام الفقرات التي زيدت .

(٢) انظر ص ٤٥ و ٤٦ من المقدمة ط ١٩٧٤ م .

ويقول : « وبقيت زيادات أخرى نقلتها عن الكتب المختلفة رجحت أنها من أصل الطبقات ولكنى أثبتتها في التعليق وهذا بيانها (١) » .

ثالثا - « طبقات الشعراء » وليس « طبقات فحول الشعراء » يقول الأستاذ شاكر فضلا عن أن اسم « طبقات الشعراء » كما عرف بذلك عند المتأخرين اختصارا لا يطابق كتاب ابن سلام كل المطابقة ، فإنه لم يستوف فيه ذكر « الشعراء » بل اختار عددا معلوما أربعين شاعرا في طبقات الشعراء الجاهليين وأربعين شاعرا في طبقات الإسلام ، وأربعة شعراء في طبقة شعراء القرى العربية وثمانية في طبقة شعراء يهود فهم جميعا ١١٤ شاعرا وحسب ، والذي أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ماذكر . إذن فاسم « طبقات الشعراء » ثوب فضفاض لا يطابق ما في كتابه وإنما هو اختصار ممن ذكره بهذا الاسم على الأرجح فبدليل العقل ودليل النقل أن يكون اسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » والحمد لله رب العالمين (٢) .

وأقول : بعد مناقشت هذه القضية في حديثي عن طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٢م إن اسم الكتاب « طبقات الشعراء » بدليل العقل ودليل النقل . وقد صوّرتُ الورقة الأولى من مخطوطة المدينة (م) كما هي ملصقة بطبعة ١٩٧٤م وليش فيها ذكر لكلمة (فحول) - وكذا الورقة الأولى من (المخطوطة) وفيها العنوان الذي اعتمد عليه الأستاذ شاكر مشيرا إلى أن كلمة (فحول) مطموسة ، وهذا دليل مرفوض بالنهاية المكتوبة في آخر المخطوطة إذ بها « تم كتاب « طبقات الشعراء » والحمد لله رب العالمين كثيرا سرمدا وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم أولا وآخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، فاسم الكتاب « طبقات الشعراء » .

(١) انظر ص ٤٦ من المقدمة - كانت في تسعة مواضع وأخذت عن « الزينة لأبي حاتم الرازي والعمدة ونثر الأزهار والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر واختلف والمؤلف للآمدى والأغاني » .

(٢) انظر ص ٢٦ من المقدمة .



الصورة الأولى

كتاب التواضع
في معرفة الله

كتاب التواضع
في معرفة الله



سِفْرٌ فِيهِ طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ
تَأْلِيفُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ الْجَمْحِيِّ

استقصى اشوكلي على الله عبد الله بن عثمان بن موسى
المرادي في سبقي زاده فوجد في الله تعالى لهم
زونا كما بهم بينهم
بين

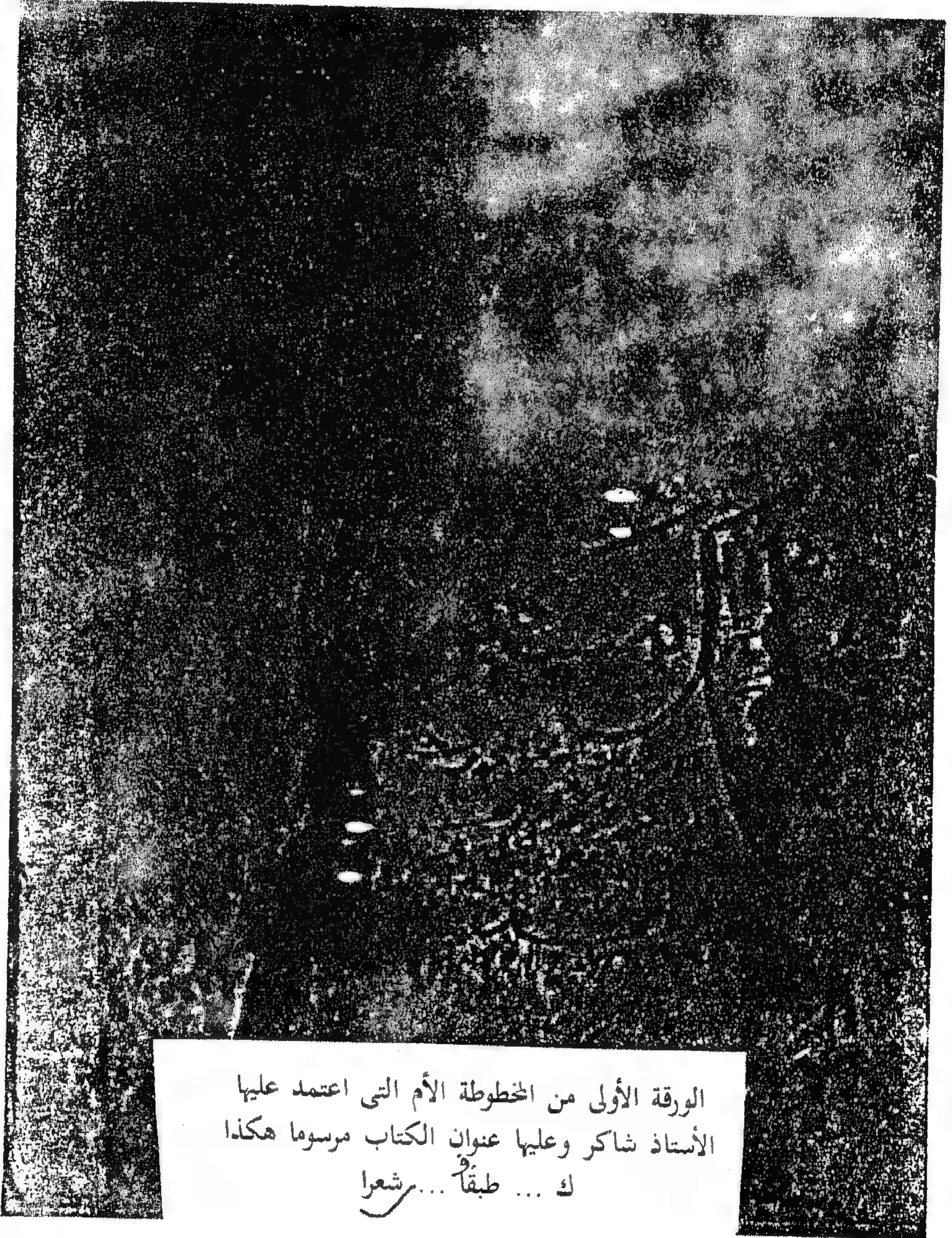
ياكيو

كتاب التواضع
في معرفة الله
خمس
٤٤١



الورقة الأولى من مخطوطة المدينة « م »
سِفْرٌ فِيهِ طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ
تَأْلِيفُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ الْجَمْحِيِّ

الصورة الثانية



الورقة الأولى من المخطوطة الأم التي اعتمد عليها
الأستاذ شاكر وعليها عنوان الكتاب مرسوما هكذا
ك ... طبقاً ... مشعرا

الصورة الثالثة

تَمَّ كِتَابُ طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
كَثِيرًا سَرْمَدًا ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

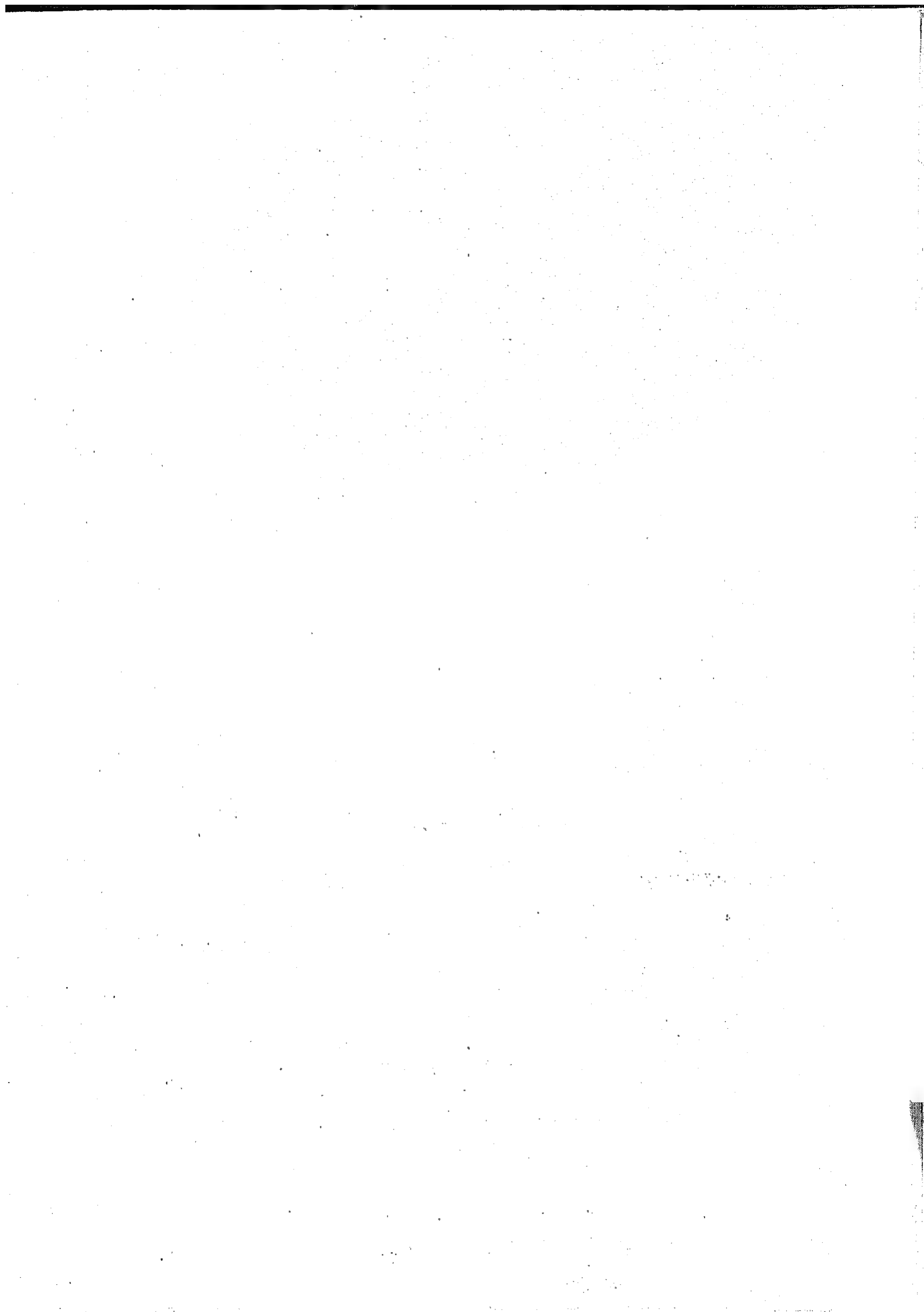
وفي هامش المخطوطة :

« قُوبِلَ بِالْأَصْلِ فَصَحَّ »

تَمَّ كِتَابُ طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
كَثِيرًا سَرْمَدًا ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

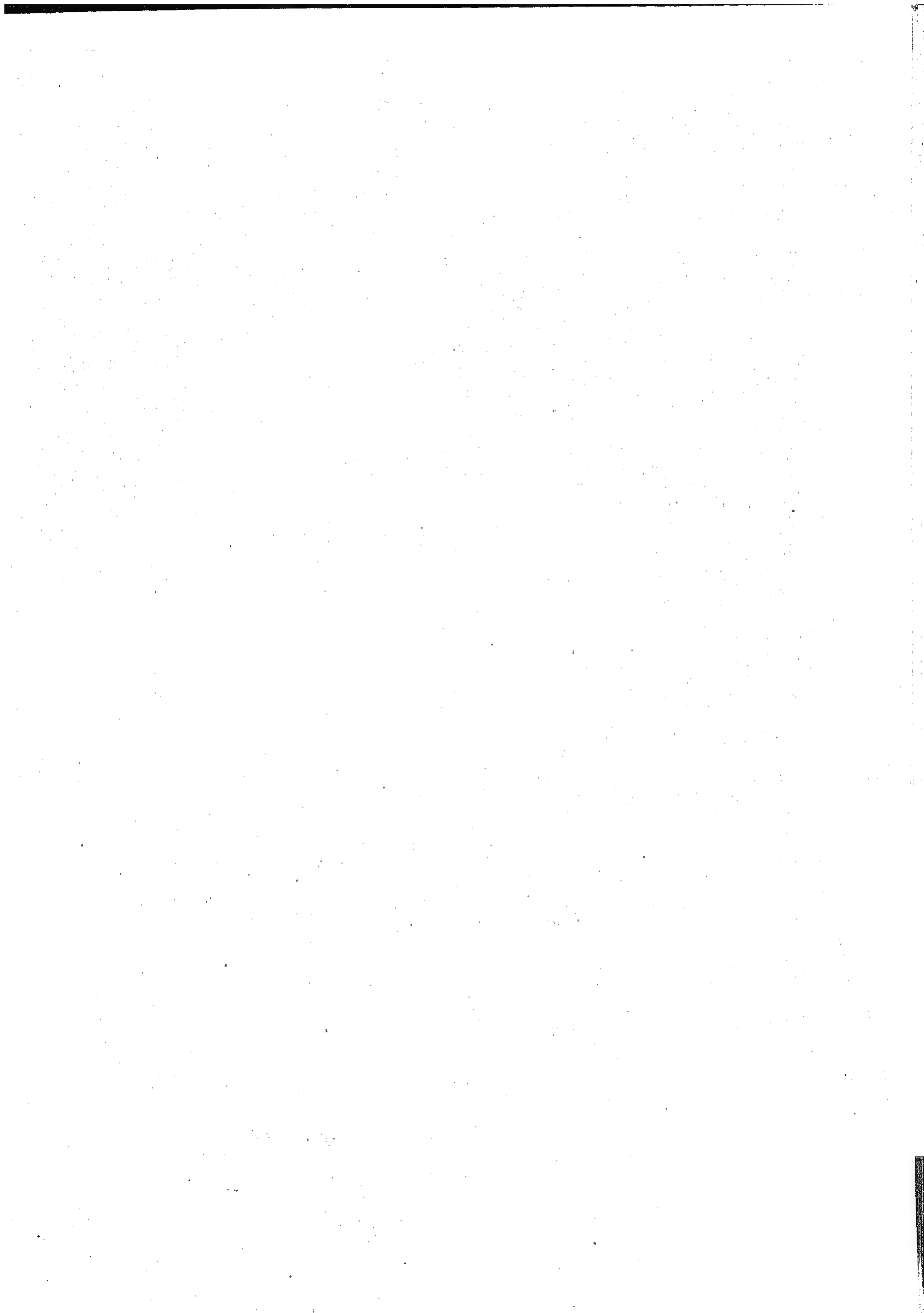
وفي هامش المخطوطة :

« قُوبِلَ بِالْأَصْلِ فَصَحَّ »



ثالثا : قضايا في المقدمة

- ١ — قضية انتحال الشعر .
- ٢ — قضية الكوفة والبصرة .
- ٣ — قضية اللحن .



ثالثا : قضايا في « المقدمة »

احتوت مقدمة ابن سلام على عدة قضايا أدبية ونقدية من أبرزها :

١ — قضية انتحال الشعر :

يقول ابن سلام « وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه »^(١) .
وقد أَلَمَّ علماء القرن الثاني بالمشكلة ولكن ابن سلام استطاع أن يعرضها عرضا طبييا ويحدد أسبابها بل ويقدم العلاج الذي يراه ناجعا .
نرى أبا عمرو بن العلاء يحكم بأن ضادية ذى الأصبع العدوانى الطويلة لا يصح منها إلا ثلاثة أبيات فقط وهى :

وليس المرء فى شىء .: من الأبرام والنقض
إذا يفعل شيئا خكا .: له يُقضى وما يقضى
جديد العيش ملبوس .: وقد يوشك أن ينضى

أما سائرهما فمنحول^(٢) وذهب أيضا الى أن القصيدة المنسوبة إلى امرئ القيس والتى مطلعها :

لا . وأبيك ابنة العامرى .: لا يدعى القوم أنى أفر

هى لرجل من أبناء النمر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جشم وأولها عنده :
أحار بن عمرو كائنى خمر .: ويعدو على المرء ما ياتمر^(٣)

وهذا عامر بن عبد الملك وأخوه مسمع بن عبد الملك الملقب بـ كَرْدِين —
وهما من طبقة ابن عمرو بن العلاء — علامتان بالنسب روايتان للشعر — روى
عنهما أبو عبيدة والأصمعى أخبارا وشعراء ينكران ما أضيف إلى قصيدة الحارث
بن عباد ، ولم يصححا منها غير الأبيات الآتية :

(١) الطبقات ص ٤ .

(٢) الأغاني : ط الوزارة ١٠٦/٣ وبها إقواء فى « ينضى »

(٣) البغدادى : الخزنة : ط السلفية — القاهرة ١٣٤٧ هـ — ٣٣٧/١

قَرَّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنْى ۖ لَقَعَتْ حَرْبٌ وَاثِلٌ عَنْ حِيَالٍ (١)
لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطٌ ۖ كَلَيْبٌ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالٍ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ ۖ وَأَنْتِ بِحَرْمِهَا الْيَوْمَ صَالٍ (٢)

ومن أمثلة ذلك عند أبي عمرو الشيباني أنه كان يدفع أن يكون هذا البيت :
هل غادر الشعراء من متردم ۖ أم هل عرفت الدار بعد توهم
لعنترة ولم يكن يرويه حتى سمع أبا حزام العكلى يرويه له (٣) .

وأما الأخبار المروية في ذلك عن الأصمعي ، قال : أقمت بالمدينة زمانا
مارأيت قصيدة صحيحة ، إلا مصحفة أو مصنوعة (٤) وقال : كثير من شعر
امرئ القيس لصعاليك كانوا معه (٥) وأن أكثر شعر المهلهل محمول عليه (٦) .

هذا العام المطلق ، أما الخاص المحدد فإنه قال : أعياني شعر الأغلب وما أروى
له سوى اثنتين ونصفا ، فلما سُئِلَ كيف قُلْتَ نصف ؟ قال : أعرف له اثنتين
وكنت أروى له نصفًا من التي على القاف فطولوها ، وكان ولده يزيدون في شعره
حتى أفسدوه (٧) وقال أيضا في القصيدة المنسوبة إلى الأغلب في سَجَاحٍ أنه يقال
أن هذه القصيدة في الجاهلية لجُشَم بن الخزرج (٨) وأن الناس يروون لأمية بن أبي
الصلت القصيدة التي منها :

من لم يمت عِبْطَةً يمت هَرْمًا ۖ الموت كَأْسٌ فالمرء ذَائِقُهَا
وهذه لرجل من الخوارج (٩) .

(١) النعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد — وأصل اللقاح الحمل ، وعن بمعنى بُعْد ، وحيال :
مصدر حالت الأثني إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب واثل هاجت بعد سكون .

(٢) الأغاني : ط الوزارة ٤٧/٥ .

(٣) المصدر السابق ٢٢٢/٩ .

(٤) السيوطي : المزهري ٤١٣/٢ .

(٥) المرزباني : الموشح ٣٧ .

(٦) الأصمعي : فحولة الشعراء ٢٢ .

(٧) المرزباني : الموشح ١٣٣٣ .

(٨) ابن سلام : الطبقات ٧٤٣ .

(٩) المرزباني : الموشح ١١٢ ، مات عبطة : أي شابا وقيل شابا صحيحا .

وأما أبو عبيدة فإن أخباره المتفرقة أيضا في هذا النوع تكاد تضارع أخبار الأصمعي — ومن ذلك أنه ذكر خمسة أبيات للحارث بن حلزة في إنكار الطيرة تبدأ بقوله :

يأبها المزمعُ ثم انتنى . لا يُثنيك الحارِ ولا الشَّاحجُ ،

ثم حكم بأن سائر القصيدة مصنوع مولد^(١) وأورد أيضا أربعة أبيات لعوف بن عطية التيمي حين عيّر لقيط بن زرارة أسر بني عامر معبد بن زُرارة في خبر طويل . ثم قال : وبقيّة هذه القصيدة مصنوعة^(٢) .

واستشهد على أن الأسود كان رئيس الرباب يوم النصار ، يقول عجوف بن عطية ابن الخرع التيمي :

ما زال حينكم ونقص حلومكم . حتى بلوتم كيف وقع الأسود
وقبائل الأحلاف وسط بيوتكم . يعلن هامكم بكل مهند
ثم قال : بنو أسد وغطفان^(٣) والقصيدة مصنوعة فلم يشهد الأسود
النصار^(٤) وفي كتابه (الخيل) نصوص كثيرة في هذا الباب^(٥) .

ونقول : إن هذه الأشتات المتفرقات لا تغني عن دراسة ابن سلام لقضية الانتحال .

عرض ابن سلام للقضية :

رسم لنا ابن سلام حدود القضية بأن في الشعر المسموع مفتعل موضوع . وهذا الشعر كثير ويحمل أدلة اتهامه في أنه « لاخير فيه ، ولاصححة في عريته ، ولاأدب يستفاد ، ولامعنى يستخرج ، ولامثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف »^(٦) .

(١) الحيوان : الجاحظ ٤٤٩/٣ — والحازي ، زاجر الطير ، أو الكاهن ، والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

(٢) أبو عبيدة النقائض ط ليدن ١٩٠٥ م ٢٢٨/١

(٣) يقصد بهما أنها قبائل الاحلاف .

(٤) المصدر السابق ٢٤٠/١

(٥) أبو عبيدة : كتاب الخيل : ط حيدرآباد ١٣٥٨ هـ الأولى ١٤ ، ١٥ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٧ ،

١٧١ ، ١٦٠

(٦) الطبقات : ٤٠

وسبب ظهوره : أن الرواة تداولوه في كتاب إلى كتاب ولم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى (١) .

وسبب ثان : القصص : وكان ممن أفسد الشعر وَجَّعَهُ وحمل كل غُثَاء منه محمد بن اسحاق بن يسار ، كتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر انما هو كلام مؤلف معقود بقواف (٢) .

وسبب ثالث : رواية الشعر في غير أهله : يقول : وجدنا رواية العلم يغلطون في الشعر ولا يضبط الشعر ، إلا أهله وقد تروى العامة أن الشعبي ، كان ذا علم بالشعر وأيام العرب ، وروى عنه هذا البيت :
فألفيت الأمانة لم تخنها . . . كذلك كان نوح لا يخون

وهو فاسد . وروى عنه شيء يحمل على لبيد (باتت تشكى إلى النفس مُجْشَهَةً الخ الأبيات) ولا اختلاف في أن هذا مصنوع ، تُكثَّر به الأحاديث ، ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك لاتستقصي (٣) .

وسبب رابع : ذهاب الشعر وسقوطه : بسبب من هلك من العرب بالموت والقتل حين غزو فارس والروم . والدليل على ذلك قلة مابقى بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر (٤) .

وسبب خامس : استغلال بعض العشائر شعر شعرائهم : وماذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت (٥) .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤٠

(٢) المصدر السابق : ٧

(٣) المصدر السابق ٦٤ و ٦١

(٤) المصدر السابق ٢٦

(٥) المصدر السابق ٤٦ و ٤٧ .

وسبب سادس : استلحاق بعض القبائل لمشهورى الشعراء أو ادعاء بعض الشعراء الانتساب لبعض القبائل : فأخو الشماخ يُعزى كعب بن زهير إلى مزينة — وكان أبو سلمى وأهل بيته فى بنى عبد الله بن غطفان ، فبهم يعرفون ، وإليهم يُنسبون ... وكان أبو ضمرة ، يزيد بن سنان بن أبى حارثة ، لأخى النابغة فنام إلى قضاة ، وكان رهط الزبرقان بن بدر يُخلَجُون إلى بنى كعب ابن يشكر إلى ذى المجاسد ، عامر بن جشم بن كعب ... ويقول : ولقد أخبرنى بعض أهل العلم من غطفان أنهم من بنى عبد الله بن غطفان وأن اعتزاه إلى مزينة كقول هؤلاء ، وأما العامة فهو عندهم مزنى ... (١) .

وسبب سابع : أنه كان أول مَنْ جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ويزيد فى الأشعار (٢) .

وهذه بعض الأسباب لانتحال الشعر التى وضعها ابن سلام .

وأما عن العلاج ، فهناك مصدران لأخذ الشعر ، ليس أحدهما الكتب التى يدون فيها الشعر لأنها كثيرة الخلط ، وأن المسلمين قد تركوا لنا أقوالا تصور مدى كراهيتهم لتلقى العلم عن الكتب وحدها ، وكان بعضهم يقول : من أعظم البلية تشيخ الصحيفة ، أى أن يتعلم الناس من الصحف (٣) .

ومصدر الشعر الموثوق بهما عند ابن سلام هما :

١ — أهل البادية .

٢ — أهل العلم والرواية الصحيحة ، لأن للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، وقد يختلف العلماء فى بعض الشعر كما اختلفت بعض سائر الأشياء — أما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه (٤) .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء [حَلَجَه : أى جذبه وانتزعه ، ويستعمل فى النسب ، إذا نُوزع فيه ،

كأنه جُذب من قوم إلى قوم وانتزع] ١٠٤ و ١١٠

(٢) المصدر السابق ٤٨

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ٨٧

(٤) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤ و ٦

فكما يعرف الجوهري اللؤلؤ والياقوت بمجرد معاينتها ، وإدراك كنها ، وكما يفرق الصيرفي بين الدينار الجيد والآخر المزيف ، وكما يرجع زُرَّاعُ النخل كل صنف منه إلى بلده ، الذي خرج منه ، كذا عالم الشعر يعرفه من كثرة مدارسته له ، إلى جانب ذوقه الأدبي (١) .

ويشرح لنا ابن سلام الذوق الأدبي بأنه شيء « يعرفه العلماء عند المعاينة والاستماع ، بلا صفة يُنتهى إليها . ولا علم يوقف عليه (٢) فأدوات هؤلاء العلماء ، دراسة متواصلة للنصوص الأدبية ، وممارسة طويلة لحفظها ، وروايتها ، ومعاشرة أهلها . ثم ذوق أدبي رفيع عرفوا به .

ويقرر ابن سلام أن براعة علماء الشعر ليست مطلقة — فأحيانا يوقفهم شعر مصنوع موقف العاجز بالرغم من علمهم بوضعه أو نحله ، ولكن لاختلافهم معه . وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل بعض الأشكال (٣) وما يستطيعونه أنهم يتشبهون بتلابيبه ، ويعلقون أنه بالرغم من غموضه عليهم — شعر مصنوع — وهذا أبو عبيدة وابن نوح العطاردي يأتیان ابن داود بن متم بن نيرة — ويسألانه عن شعر أبيه متم ، ويقومان بحاجته ، فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لهما — وإذا كلام دون كلام متم — وإذا هو يحتذى على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متم والوقائع التي شهدها فلما توالى ذلك علما يفتعله (٣) .

وتبعد أن يثير ابن سلام القضية ويحددها بأسبابها وظواهرها مقترحا العلاج لها — يضع القواعد العامة الثابتة التي تكشف الشعر الموضوع . يقول : أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما (١) وأنه لم يجاوز أبناء نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان — اقتصروا على معدن ، ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لييد بن ربيعة الكلابي في بيت واحد قال :

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ٦ و ٧

(٢) المصدر السابق ٦

(٣) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤٦ و ٤٧

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مَنْ دُونَ عَدْنَانَ وَالِدًا .: ودونَ مَعَدٍّ ، فَلْتَرَعَكَ الْعَوَاضِلُ

وقد روى لعباس بن مرداس في عدنان قال : (وَعَكَ بَنُ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَعَّبُوا ...) والبيت مريب عند أبي عبد الله (ابن سلام) فما فوق عدنان ، أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب ، والله أعلم بها ، ولم يذكرها علي قط^(١) ويقول : ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصّدت القصائد ، وطوّلت الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وثبع^(٢) .

ويقول : من قديم الشعر الصحيح ، قول العنبر بن عمرو بن تميم ... ، وقول دويد بن زيد بن نهدي ... ، وقول أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ... ، وقول المسترغر بن ربيعة بن كعب بن سعد ... ، وقول زهير بن جناب الكلبي ... ، وقول جذيمة الأبرش ...^(٣) ، ويقول « وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل ، قتله بنو شيبان »^(٤) ويقول : وكان شعراء الجاهلية في ربيعة : أوطم المهلهل ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة والمتلمس والأعشى ، والمسيب بن علس ، ثم تحول الشعر في قيس ، فمنهم النابغة الذبياني ، ولبيد ، والنابغة الجعدي ، والحطيئة ، والشبّاخ ، وأخوه مزيد ، وخداش بن زهير ، ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزل فيهم إلى اليوم ، وكان امرؤ القيس بن حجر بعد مهلهل ، ومهلهل خاله ، وطرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس في عصر واحد^(٥) وغيرها مثلها .

فهذه أدوات تصلح في كل عصر ويستخدمها الناقد ، وبقيس بها وطالما أن النقد دراسة وممارسة ثم ذوق فيعني ابن سلام بمبدأ الدراسة — للنصوص الشعرية المختلفة « وإن كثرة المدارس لتعدي على العلم به »^(٦) ، وابن سلام يضع بين

(١) المصدر السابق ١٠ وما بعدها

(٢) المصدر السابق ٢٦

(٣) المصدر السابق ٢٦ وما بعدها

(٤) المصدر السابق ٣٩

(٥) المصدر السابق ٤٠

(٦) المصدر السابق ٦ و ٧

يدى تلاميذه النقاد ما ارتضاه العلماء من ثقافة أدبية ، وما انتهت إليه الدراسة في تاريخ الشعر .

معلومات ثابتة ، يزيد بها معالم قضية الشعر المصنوع ، وكأنه يريد أن يقول أن هذه مبادئ ثابتة يجب على الخيال ألا يجنح بعدها فيدخل في الكذب والإدعاء وهو لا يكتفى بعرض القضية واقتراح علاجها وتقديم معلومات تستخدم في الكشف عنها فحسب ، بل ينتقل إلى خطوة أخرى عملية في المعالجة ، فيقدم الشعراء مُرتبين في طبقات ، ويفرق بينهم شعرهم الصحيح المقبول عند الشعراء الرواة والعلماء النقاد .

وهو يخلص للقضية من المقدمة إلى آخر الكتاب ، وهو لا ينى يطبق ما ينادى به من ضرورة اليقظة أمام النص الأدبي والبحث فيه بتأده لعله — لسبب من الأسباب — يكون مصنوعاً — وكلما تصفحنا الكتاب خيل إلينا أن ابن سلام يريد أن يزيد أشياء جديدة للقضية يزيداً وضوحاً وكأنه يُبلغ رسالة — كلف بها عن وعي — ويود أن يطمئن أنه بلغ ما كلف به .

ومن القضايا التي عرضتها المقدمة ، (قضية الكوفة والبصرة) ، يقول ابن سلام البصري (وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمةٌ وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية) (١) .

وقد تحدثنا حديثاً عابراً عن البصرة العباسية حينما تعرضت للحديث عن العصر العباسي ، وذكرنا أنها البيئة الملاصقة لابن سلام التي شكلته وهياتة فخرج يعبر عن أفكارها ونزعاتها الأدبية والنقدية .

ولم يكن الأمر للصدفة أن يتلاحى هذان المصْران عن طريق علمائهما ، وأن تكون البصرة مهد الاعتزال وبلد المعتزلة ، والكوفة مهد التشيع وبلد الرافضة ، وأن ينشأ النحو على الأسلوب التنظيمي والطابع العقلي الأرسطي في البصرة دون الكوفة .

لقد نزلت قبائل من العرب البصرة ، ونزلت مثلها الكوفة وأسستا في زمن

(١) الطبقات : ص ١٢ .

منقارب وشغلنا بكل أحداث العالم العربي ، وبالرغم من ذلك اختلفنا وكان اختلافهما خيرا على الأدب والنقد (١) .

ولقد نزل الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ في عهد عمر رضي الله عنه ، وأصبحت الكوفة مع البصرة قاعدة الفتح الإسلامي إلى خراسان وفارس والهند ، وقد هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر (٢) ، ومن أشهرهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم (٣) ، وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير في رفع اسم الكوفة ، لما بذله في سبيل تعليم أبنائها وقد تخرج في هذه المدرسة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة المطهرة (٤) .

ففي لا تقل من حيث نصيبها من الأعلام — عن البصرة التي كان فيها أنس ابن مالك وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وأبو زيد الأنصاري وغيرهم (٥) .

واهتمت الكوفة بالشعر والرواية ، كما اهتمت البصرة ، ومن أقدم رواة الخثعمي ، وأبو البلاد الكوفي ، ثم ظهر بعده حماد الرواية ، واهتمت بالنحو على يد شيبان بن عبد الرحمن التميمي (ت ١٦٤ هـ) وكان بصريا ثقة ، وانتقل إلى الكوفة وسكن بها زمنا ، وهو من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء وظهر معه معاذ الهراء ، واضع التصريف (ت ١٧٨ هـ) ، ثم أستاذ علماء الكوفة وأول من ألف منهم كتابا في العربية وهو أبو جعفر الرؤاسي ، وكان معاذ الهراء عمه ، فأخذ عنه ثم أخذ عن عيسى بن عمرو من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي — وعن هذين أخذ علي بن حمزة بن الكسائي المتوفى (١٨٩ هـ) وهو الذي رسم للكوفيين الحدود التي عملوا بها . وبها خالفوا البصريين .

(١) انظر السفر القيم للدكتور يوسف خليف عن حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني — ط وزارة الثقافة — بالقاهرة ١٩٦٨ م — الفصل الأول من ٤٥ — ١٣٦ .

(٢) طبقات ابن سعد : ط ليدن ١٣٢٢ = ٤/٦ .

(٣) أبو عبد الله الحاكم : معرفة علوم الحديث ١٩١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٤/٦ .

(٥) المصدر السابق ١٣٢ أبو عبد الله الحاكم — معرفة علوم الحديث ١٣٢ .

ولها شعراؤها ، ومنهم في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني — ذو كنانار عمار بن عمرو ، وكان لين الشعر ماجنا حَمِيْرًا معاقرا للشراب — وَحُدَّ فيه مرات (١) .
ومنهم حنين بن بَلُوع الحميري كان شاعرا مغنيا فحلا (٢) ومالك بن أسماء بن خارجة الفزاري وكان غزلا ظريفا (٣) .

والمتوكل بن عبد الله الليثي كان في عصر معاوية وابنه يزيد ومدحهما ، ومن ساكني الكوفة أيضا من الشعراء جلدة بن عبيد اليشكري (٤) وكان من أخلص الناس للحجاج ، فخطب الحجاج منه ابنته ، ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعب ، وكان من أشد الناس تحريضا على الحجاج ، وعرف بأنه كثير الهجاء والخمر (٥) واسماعيل بن عمار بن عُيَيْنَةَ ، الذي أدرك الدولة العباسية وقال الشعر في الرثاء والهجاء والخمر (٦) ، وابن ميادة الذي أدرك خلافة المنصور وقد أكثر من سَبِّ الشعراء ومهاجمة الناس وكان فصيحاً يحتج أهل اللغة بشعره (٧) .

ففي الكوفة فقهاء وعلماء وشعراء ورواة كما في البصرة — وكانا على اتصال وثيق حتى تكون الحادثة بالكوفة عُذُوَّةً ، فيعلم بها أهل البصرة قبل المساء (٨) وتبادلا الثقافة والتلمذة ، وجلس علماء كل مصر يسمع علماء المصر الآخر ، ونستطيع أن نسوق كثيرا من الأمثلة لذلك ، منها أن خلف الأحمر البصري كان تلميذ حماد الراوية وسمع منه (٩) كما كان يزعم فيما يحكى عنه اليزيدي في شعر له فيه ، أنه كان أستاذ الكسائي الكوفي (١٠) الذي كان يجلس في حلقة يونس بن حبيب

(١) الأغاني : ط ساسي ١٧٤/٢٠ .

(٢) الأغاني : ط الوزارة ٣٤١/٢ .

(٣) المرزباني : معجم الشعراء ٢٦٦ ، تحقيق عبد السلام فراج — ط الحلبي القاهرة ١٩٦٠ م .

(٤) الأغاني : ط الوزارة ١٥٩/١٢ .

(٥) المصدر السابق ٣١٠/١١ .

(٦) المصدر السابق ٣٦٤/١١ .

(٧) المصدر السابق ٩ القاهرة .

(٨) البغدادى : خزانة الأدب ١٥٢/١ .

(٩) الجاحظ : الحيوان ٩٧/١ .

(١٠) الحموي : معجم الأدباء ٢٨/١١ .

بالبصرة^(١) والمفضل الضبي الكوفي كان شيخ أبي زيد الأنصارى البصرى ، وأبو عثمان الضرير سعدان بن مبارك الكوفي كان تلميذا لأبي عبيدة البصرى^(٢) .

ولكن كل هذا لم يَمَحُ الفروق الواضحة بين المصريين — فالكوفة ورثت حضارة فارس وروح الشرق المتأمل ، والبصرة لموقعها الجغرافى ورثت حضارة اليونان وغيرها من الأمم التى عرفتها كالهند وفارس ، وكانت مركزا لمختلف التجارات فانطبعت نفسية البصريين بالثورة على القيود وخاصة تلك التى تقيد حرية الرأى وتغلل تفتح الفكر ، فرأينا البيئة البصرية كثيرة الاضطرابات السياسية والفكرية ، نزاعة إلى الواقعية المادية ميالة إلى الشك فى المورثات ، تريد معرفة سير ثباتها وكشف جوانب بقائها وعتوها ، ولعل التجارب التى قام بها الجاحظ والنظام على الحيوانات لم يكن مبعثها إلا الشك وَحْدَهُ فيما توارثه الناس من معلومات عن بعض الحيوان ، وقد عرضوا كثيرا من الأصول للاختبار والتجربة ، فاتجه بعضهم إلى الحديث ينقده نقدا شديدا ، ثم اجتروا وطعنوا على كثير من الصحابة الأوائل ، بل لقد أسرف بعضهم الآخر فاعترض على القياس الشرعى ، قال ابن عبد البر القرطبى الأندلسى ، كان العلماء قديما وحديثا عندما ينزل بهم أمر ولم يزالوا ، على إجازة القياس حتى حدث إبراهيم بن سيار النظام ، وقوم من المعتزلة سلكوا طريقة فى نفس القياس ، والاجتهاد فى الأحكام ، وخالفوا ماضى عليه السلف^(٣) بينما أقدم بعض المعتزلة على القول بإحالة أحكام الإجماع^(٤) .

وبيئة كهذه مادية شاكة مجربة لا بد أن يكثر فيها الجدل ، فقد ساعد على إثارة الفرق الدينية والفلسفية والخصومات العقيدية التى اضطرعت فى البصرة وماجت بها .

وهذا الجانب قَابِلُهُ جانب آخر فى الكوفة ، باطنى يُعْنَى بسرائر الوجود لا بظواهر الكائنات ، ويرى وراء كل ظاهرة سرا خفيا من عالم الروح ، أو ما وراء

(١) المصدر السابق ٧٠/١١

(٢) المرزبانى : معجم الشعراء — ترجمة مروان بن سعيد بن عباد ٣٢٠

(٣) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله — ط مطبعة الموسوعات — القاهرة ١٣٢٠ هـ —

الطبعة الأولى — واختصار أحمد بن عمر المحمصانى البيرونى الأزهرى .

(٤) ابن قتيبة — تأويل مختلف الحديث — ط مطبعة كروستان العلمية القاهرة ١٣٢٦ هـ — الطبعة الأولى (٢١)

الطبيعة ، وهو الذى يعنى به ويرسل أوهامه خلفه ، فقد تشيع الكوفيون واحتضنوا الشريعة الإسلامية والسنة النبوية وأخرجوا منها مفهومات خاصة بهم ولهم ، وكانت المحافظة على التراث جزءا من مكوناتهم النفسية فاهتموا بالدراسات الفقهية ولكن بعضهم أسرف على نفسه ، وتشربوا تعاليم الفرس ومذاهبهم الدينية والفلسفية الروحية فأغلقوا منافذ البساطة واليسر فى الحنيفية السمحاء .

ولذا هب الفقهاء يتمسكون بالسنة ولا يريدون عنها حولا — يُردُّون على الشيعة ، وكان الحفاظ على السنة من شوائب الشيعة والخوارج والمرجئة من أكبر همِّ الفقهاء . ولكنهم فى أثناء جدالهم مع هذه الطوائف وغيرها ، وقعوا فى حدود دائرة ضيقة لا تقبل تسمات فكر جديد ، وتقيدوا بالنص لا يحميدون عنه ، ولم يقبلوا التعقيد أو التنظيم لقضايا اللغة والأدب والفقه ، بل كان لكل ظاهرة قاعدة ولاستثناءاتها قاعدة أيضا ، وليس هناك شاذ فى لغة أو أدب أو فقه بينما قعد البصريون اللغة فى ألفاظها . وماخرج عنها فهو شاذ والشاذ لايعمل به ،. وقننوا الأدب والشعر وغيوبه وماخرج عن حده فهو شاذ وكذا فهموا الحديث والتفسير حتى بلغ بهم الأمر أحيانا إلى الشطط^(١) .

ومن الطبيعى أن يهيج الجدل بين المعتزلة والفقهاء وبمعنى آخر بين البصرة والكوفة عامة — وينتهى الأمر بالجاحظ البصرى أن يواجه بعض المُحدِّثين بأنهم لايفهمون تأويل الأحاديث ، ولا يعرفون أى ضرب منه يكون مردودا ، وأى ضرب منه يكون مُتأَوِّلا — ويقول : فلولا مكان المتكلمين لهلك العوام^(٢) وهكذا نادى البصريون بالقياس فى المحل الأول — مهدين كرامة المأثور والمسموع من الفقه والأدب ، معرفين النحو. بأنه « علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، وأن إنكار القياس فى النحو لايتحقق ، لأن النحو كله قياس ومن أنكر القياس فقد أنكر النحو »^(٣) .

وهم يتعشقون الفروض واستنباط الاحكام واستخراج العلل ، بل ذهبوا يستغلون مااستغله الفقهاء فى قياسهم من اثار الاسئلة واقامة الفروض —

(١) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ٢٣ — ٢٨

(٢) الجاحظ : الحيوان ٢٨٩/٤ .

(٣) السيوطى : الاقتراح — ط حيدر آباد ١٣١٠ هـ ٤٥ — ٤٦

ويتنازع الفقهاء في حق إرث الجسد في الطبقة الخامسة من حفيد مات ولا ولد له ، ويتكلمون في مشكلات الزواج بالجن وتبعاته — فيسأل النحويون البصريون عن جواز صرف عُمر ، وإذا كان اسماً لأمرأة ، ويفترضون وجود انسان سُمِّيَ (إن) أو (لو) أو (كَي) ، فعل ذلك الخليل نفسه^(١) مع أنه كان يرى الأسماء في العربية لاتقل عن ثلاثة أحرف .

فطريقة التفكير مختلفة ، وتؤدي إلى الالتحام الذي لا بد منه — وكان الانتصار من حظ تفكير البصريين ، وكانوا يشعرون بذلك ويُعتدُّون به ، ويرفعون عن الأخذ عن الكوفيين .

وقد سبق أن قَصَصْنَا مآدار بين الرياشي البصري وأحد من كان يفضل الكوفيين وكتاب المنطق ليعقوب بن السُّكَيْت . فقال : إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ وأكلة الشوايرز أو كلام يشبه هذا — على حد قول السيرافي^(٢) .

فالبصريون لا يرون الأعراب الذين أخذ عنهم الكوفيون حجة فلذا لا يأخذون عن كوفي علما إلا الثقة المفضل الضبي ، فإن أبا زيد الأنصاري استباح لنفسه أن يروي عنه شعرا للشاهد^(٣) وكثرت بينهم المناقشات والمنافسات ، والمساجلات وامتألت كتب التاريخ والأدب بالمفاضلات بين البصريين والكوفيين ، وقد حشد البصريون كل إمكاناتهم التاريخية والطبيعية والفكرية وافتخروا به على الكوفيين ، حتى في الأنهار والزروع^(٤) والألفاظ التي يتداولونها ، وكذا فعل الكوفيون .

(١) سيبويه : الكتاب ٣٢/٢ و ٣٣ ط بولاق ١٣١٦ هـ

(٢) السيرافي : أخبار النحويين ٦٨ — حرشة الضباب : صيادوها ، واليرابيع جمع يربوع ، وهي دويبة نحو الفأرة . لكن ذنبه وأذناه أطول منها . وهذا كله كناية عن مصدرهم العلمي كان الأعراب الجفاة . فهذا أوثق لمروياتهم ، أما الكواميخ فهي نوع من الأدم والشوايرز اللبن الرائب المستخرج مأؤه وهذا كله كناية على عدم ثقة الذي يأخذون منه مروياتهم ، فهم يأخذون من أهل الخضر .

(٣) الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ٤٣٥/١

(٤) انظر ابن الفقيه في كتابه (مختصر كتاب البلدان) ط بريل ليدن ١٣٠٢ هـ الفصل من ١١٨ — ١٢٧ بعنوان افتخار الشاميين على البصريين وفضل الخلبة على النخلة . وفيها مفاخرات البصريين بكل ما في بلادهم من نهر وزرع وأعلام ونفس الشيء يحدث بينهم وبين الكوفة .

لهذا كان ابن سلام صادقا في تصويره أزمة الثقة المستمرة بين البصري والكوفي — وهو بصريا — رأى أن علم البصرة هو العلم ، وعلماء البصرة هم العلماء ، وماعداهم شيء لا يقربه ولا يسترخ له .

يقول في مقدمة الطبقات : وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية^(١) ويقول : وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم ، وأَعْلَمُ من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي^(٢) . فيما عدا البصرة غير معترف به ، إلى أن يُثَبَّتَ جَدَارَةٌ كما أثبت المفضل الضبي .

ومن قضايا المقدمة ٣ — قضية اللحن

يقول ابن سلام : « كان سِرَّاءُ النَّاسِ يَلْحَنُونَ ، ووجوه الناس ، فوضع أبو الأسود الدؤلي باب الفاعل ، والمفعول به ، والمضاف ، وحروف الجر والرفع والنصب والجزم »^(٣) .

ومشكلة اللحن — من المشكلات التي لازمت اللغة العربية منذ زمن بعيد ، وأعتقد أن طبيعة اللغة العربية أوجدت اللحن في صورته البسيطة في شكل اختلاف نطق بعض الألفاظ ، أو تحريفها عن موضوعها عند بعض القبائل ، وكان هذا في صورته العامة يُعَدُّ لحنًا ، ولكنه كان مستساغا لأنه لحن لاحيلة فيه ولا سبيل إلى علاجه .

وقد قامت الأسواق والنوادي الأدبية ، مع نزول القرآن الكريم ، وتصدَّر قريش للقبائل ، بدور فعال في سد الثغرات بين اللهجات العربية ، فأصبحت هناك لغة أدبية ترتقى قليلا عن اللغة المطروقة المنطوق بها — وهذه ، يلجأ إليها الأديب حين ينتج نتاجا يود له البقاء الطويل .

ولم تمنع هذه العوامل من وجود اللهجات والفروق المعنوية والصوتية للفظ

(١) ابن سلام — الطبقات ١٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٣ .

(٣) ابن سلام : الطبقات ١٢ .

الواحد بين المناطق المتشعبة في الجزيرة العربية خضوعا لظروف البيئة وقربهم أو بعدهم من الحضارة .

ويجب ألا نعطي هذا الأمر لافتة ضخمة ، بالرغم من أنه فتح باب الشاذ والغريب والاستثناء في اللغة والنحو بالذات — فالعرب جميعا كانت تجتمع في الأسواق وتتناقش ، ويفهم بعضها عن الآخر في سهولة ويسر .

والرسول الكريم مخاطب العرب جميعا وأفهمهم وفهموا عنه . ونحن نتوسع في فهم لفظ (لحن) إذ أردنا أن نطبقها على ما حدث في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، لأنها حالة أشرفت على الزوال مع عصر التدوين وتغلغل الحضارة إلى البوادي والأقاصي — فتقاربت الأشتات ، وقضى الزمن من ناحيته بالفناء على بعض اللهجات الشاذة والألفاظ الغريبة ، لينشئ — من ناحية أخرى — قضية أخطر من سابقتها ، وهي قضية اللحن بين الشعوب العربية الإسلامية .

واللحن بصورته الجديدة هو الخطأ في نطق نهاية الألفاظ الناتج عن جهل قواعد النحو ، وبُعْد السليقة العربية ، بطغيان المولدين وانتشار أسباب الحضارة . وهناك أمثلة لهذه النوادر نجدها في البيان والتبيين^(١) ، وعيون الأخبار^(٢) والكامل^(٣) وغيرها من الكتب .

ومهما كثرت هذه القصص فهي محدودة أيضا ، لأن تفشي اللحن أصبح بعد ذلك مرضا خبيثا قد استشرى ، واستطاع أن ينسل بين صفوف الناطقين بالحناء عجماء كانوا أم عربا ، ثم قفز من بين صفوف الشعب إلى جنبات قصور الخلفاء حتى ضج العلماء .

وأصحاب البلاد المفتوحة — معذرون في خطئهم لأنه : لم تكن هناك لغة واحدة بين اللغات التي التقت بها العربية في عهد الفتح كانت محتفظة بنضام تصرفها ، ولهذا كان من الشاق العسير على الأجانب الذين اضطروا إذ ذاك إلى

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : انظر باب اللحن من (٢١٠ — ٢٢٤) ط : الحلبي — الطبعة الثانية .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٥٥/٢ — ١٦٠ .

(٣) المبرد : الكامل ٢٦٢/١ .

استخدام العربية ، أن يتابعوا القواعد والنظم المعقدة للنحو العربى القديم — فأثروا
لتصرف بوساطة أساليب التعبير التقريبية التى اعتادوها فى لغاتهم الأصلية —
وحذفوا حركات الإعراب الأخيرة .

ومن المستبعد تصور أن اللغة العربية قد سادت منذ السنوات الأولى للفتح
فهذا مخالف لطبيعة الأمور ، فاللغة اليونانية فى غربى الدولة الفارسية وفى شرقها ،
ظلت قرنا كاملا لسان الحكم والإدارة . وحتى فى المدن الناشئة ففى البصرة كانت
أسماء الأمكنة المنسوبة إلى الأشخاص تُختتم عادة بمقطع « آن » ، وبقيت اللغة
الفارسية لغة الفرق العسكرية التى انضمت إلى العربية على حين كان بعضهم
ولاسيما الزط والسيابجة والاندغار يحملون أسماء قبائلهم الهندية التى انتظموا فيها
فى الجندية^(١) وفى هذه الأوساط اللغوية نشأ عبيد الله بن زياد ، الذى صار فيما
بعد واليا على العراق ، وبسبب فارسية أمه وفارسية زوجها بعد زياد ومكوث ابنهما
معهما — كان عبيد الله ينطق عربية غير فصيحة .

وقد رويت أخبار عديدة لمعاوية يوصى فيها زيادا ، أن يصلح من لسان
ابنه^(٢) .

ولم يختلف عن ذلك كثيرا أمر العلاقات اللغوية بالكوفة ، فقد قامت هذه
المدينة فى منطقة كانت تتلاقى فيها اللغات الآرامية والفارسية والعربية من قديم ،
كما كانت الحيرة قبل الإسلام مصدرا لانتشار مسيحية الآراميين ، وثقافة
السامانيين وقد احتلت الكوفة مكان الحيرة فى الازدهار وأصبح لها أساورتها وهم
بقايا الجيوش الساسانية التى انضمت إلى العرب .

وقد كشف الجاحظ النقاب عن مدى تأثير اللغة الفارسية فى الجيوش العربية
بما أورده من ألفاظ معربة فى لهجة الكوفة^(٣) .

ولعب الخلفاء الأمويون دورا حاسما فى مشكلة اللحن ، وكان من أشدهم

(١) انظر يوهان فلك : العربية (١٤ — ١٦) ط دار الكتاب العربى — القاهرة ١٩٥١ م ترجمة الدكتور
عبد الحليم الهجر . ١

(٢) انظر : الجاحظ : البيان والتبيين : ط الخائى ٢/٢١٠ — ٢١١ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين : ٣٩/١ تحقيق السندوفى

وأخلصهم عبد الملك بن مروان الذي طالما حذر أبناءه من اللحن ، وبالرغم من ذلك فقد أهمل تأديب ابنه الوليد^(١) الذي رويت في أخطائه اللغوية شتى الروايات اللاذعة^(٢) .

وعلى النقيض منه تأدب سليمان بن عبد الملك ، أدبا رفيحا ، وكان يحسن الإشادة بقيمة الجمال اللغوي^(٣) ومثله عمر بن عبد العزيز^(٤) وفي الدولة الأموية نستطيع أن نشير بسهولة إلى شخصيات حاكمة كانت تعتر بفصاحتها وتتفنن في الإجادة اللغوية بلا لحن ، وأوضح مثل على ذلك الحجاج الثقفي الذي كان يقيم وزنا لأن يعبر من حوله تعبيرا صحيحا^(٥) .

وكلما اقتربنا من بزوغ الدولة العباسية ، لمسنا بلبلة الألسنة وضياع السليقة ، وانتشار اللحن ، حتى أصبح داء عضالا يهيج أعصاب السامعين من العرب الخالص ، وأصبح من أبلغ آيات التقريظ أن يمدح المثقف بأنه ينطق كما ينطق البدوي لغة فصيحة ، تنبئ عن المعنى بلا تحريف أو ركافة أو لحن .

ومن هنا نلمح أثر تفوق البصريين على الكوفيين ، حين تمكن البصريون من الاتصال المباشر — بحكم البيئة — بعدد كبير من القبائل العربية النازحة من ووسط الجزيرة وشرقها وسؤالهم — بينما لم يستطع الكوفيون ما استطاعه البصريون بسهولة ، واعتمدوا على انصاف المقيمين من القبائل في سواد الكوفة الذين لم يرض علماء اللغة في البصرة الاعتراف بلغتهم على أنها أصل للاحتجاج^(٦) .

وقد ثار العلماء على هذا الداء ، وتشمروا له يعالجونه ، كل بمقدرته — فاهتموا بجمع اللغة وصيانتها وتنقيتها من شوائب اللحن ، وأصبح من الضروري أن ينشأ علّـم يصون ألسنة الناس من الوقوع في الخطأ وخاصة في البلدان التجارية .

(١) المصدر السابق : ٢٠٤/٢ ، ٢٠٥ تحقيق عبد السلام هارون

(٢) ابن وهب : اسحق بن إبراهيم : نقد النثر ، « البرهان في وجوه البيان » ص ١٤٣ - ١٤٤ ، تحقيق طه حسين والعبادي ط مطبعة مصرية ١٩٣٨ م وانظر الموشح للمرزباني ٢٣٩ ط النهضة .

(٣) ياقوت : إرشاد الأريب ٢٤/١ والميمنى : ذيل الأمالي ٦٦

(٤) ياقوت : إرشاد الأريب ٢٥/١

(٥) الجناحظ : البيان والتبيين : ١٦١/١ ، ١٦٣/١ تحقيق عبد السلام هارون

(٦) السيرافي : أنخبار النحويين ٩٠

فهب أبو الأسود الدؤلي لِنَقْطِ الصَّحْفِ نَقْطاً يُعَيِّنُ حَرَكَاتِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ فِيهِ ،
أو بعبارة أدق يُعَيِّنُ حَرَكَاتِ الْأَعْرَابِ ، ويجيء بعده عبد الله بن عمرو الثقفي
الحضرمي (ت ١١٧ هـ) ، وعيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) ، أول
نحاة البصرة الحقيقيين^(١) .

وَأَلَفَتِ الْكُتُبُ فِي اللَّحْنِ عِنْدَ الْعَامَةِ وَعِنْدَ الْخَاصَّةِ ، فَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَمْرَةَ
الْكِسَائِيُّ (ت ١٩١ هـ) أَلَفَ كِتَابَ « لَحْنِ الْعَامَةِ »^(٢) ، وَلِلْفَرَّاءِ (ت ٢٠٧ هـ)
كِتَابُ « الْبِهَاءِ فِيمَا تَلَحَّنَ فِيهِ الْعَامَةُ » وَلَأَبِي الْهَيْدَامِ كَلَابِ بْنِ حَمْزَةَ الْعَقِيلِيِّ
الْحِرَاقِيِّ الْمُتَوَفَى (٢٠٧ هـ) كِتَابُ « لَحْنِ الْعَامَةِ » ، وَلَأَبِي عُبَيْدَةَ اللَّغَوِيِّ الْمُتَوَفَى
(٢٢٢ هـ) « كِتَابُ الْغَرِيبِ » وَلابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْمُتَوَفَى (٣٤٠ هـ) كِتَابُ
« النُّوَادِرِ » .

وَهَاهُو ابْنُ سَلَامٍ يَثِيرُ الْمَشْكَلَةَ فِي مَقْدَمَتِهِ فَقَدْ أَتَّهَمُ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ ، حَمَادَ
الرَّوَايَةَ بِأَنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ وَيَكْسِرُ وَيَلْحَنُ^(٣) وَيُرْوَى بِأَنَّهُ مَعَاصِرُ حَمَادٍ ، مَرْوَانَ بْنَ
أَبِي حَفْصَةَ (ت ١٨١ هـ) قَدْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ لَحْنَةٌ^(٤) وَكَذَا الْكَمِيتُ وَصَفَهُ بِمَا
وَصَفَهُ مَرْوَانُ^(٥) .

وَلِقَاءُ هَذَا ، صَنَعَ الْكُوفِيُّونَ لِيُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الْعَامِيَّةَ : هَاتِي دِيكَ
الْمَاءَ مِنْ ذَلِكَ الْجِرَةِ^(٦) .

وَلَمْ يَتَوَقَّفْ سَيْلُ التَّأْلِيفِ فِي مَشْكَلَةِ اللَّحْنِ ، كَمَا لَمْ يَكْفِ الْقِيَاسُ وَالْإِطْرَادُ فِي
اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ عَنِ التَّمَادِي ، وَكَأَنَّ لَمْ يَلْتَقِ مَعَسْكَرَا الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ
فِكْرِيًّا وَأَدْبِيًّا وَدِينِيًّا حَتَّى بَنَاءَ بَغْدَادَ .

وَيَجْمَعُ لَنَا الْأُسْتَاذُ عَيْسَى إِسْكَندَرُ الْمَعْلُوفُ — عَضُو مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي
بَحْثٍ لَهُ عَنِ اللَّهْجَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْعَامَةِ (مِائَةُ كِتَابٍ وَكِتَابٍ) بِدَائِمِهَا مِنْ سَنَةِ ١٩١ هـ

(١) دكتور شوقي ضيف : العصر العباسي ١٢١ — ط دار المعارف .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية (١٩٣٠ م) ٣٥٣/١

(٣) ابن سلام : الطبقات ٤٩ .

(٤) الأغاني : ط الوزارة ٧٢/٦ .

(٥) المرزباني : الموشح ٣٠٨

(٦) ياقوت : معجم الأدباء ٥١/١ — السيوطي : المزهر ١٢٢/١ .

إلى سنة ١٣١٤ هـ وذلك في المجلد الأول الصادر سنة ١٩٣٤ م (ص ٣٥٣ ومابعدا) . وفي المجلد الثالث من نفس المجلة يقدم لنا مائة كتاب آخرين وسبعة كتب ألقت في قضية اللحن وماتشعب عنها من مسائل .

والظاهر أن تَوَقَّى اللحن كان من أهم المناهج ، التي كان يتلقاها التلاميذ في المكاتب وفي خطاب الجاحظ للمعلمين إشارة واضحة لذلك — يقول للمعلم « ولا تشغل قلب الصبي بالنحو إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام » (١) .

وابن سلام على حق حين يثير مشكلة اللحن ، ويتحدث عنها ، ثم يتحدث عن أبي الأسود ليوظ العلماء وينبههم للمهمة الخطيرة الملقاة على عاتقهم ، وهي مهمة تنقية اللغة من شوائب اللغة البلدية للبلديين ، كما يسميهم الجاحظ (٢) ويقرر أيضا فضل البصريين على الكوفيين في هذا المضمار ، بل فضَّلَهُمْ على المتكلمين بالضاد ، فعلمائهم أول جنود قادوا قافلة صيانة اللغة من عبث ضياع السليقة ، وتفتت الأصالة في النطق اللغوي ، وشيوع اللحن ، الذي يُزرى بالرجل الكريم .

وليست قضية الانتحال وما بين الكوفة والبصرة من تنافس ومشكلة اللحن هي كل ما في المقدمة .

ألم يجعل نجاة البصرة في طبقة دونها طبقة نخاة الكوفة ؟ أنه يقرر أن لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية (٣) ثم يضع نخاة البصرة في طبقات أولهم أبو الأسود الدؤلي (٤) فيحيى بن يَعمَر (٥) فعبد الله بن أبي اسحق (٦) فعيسى بن عمر (٧) فالخليل بن أحمد (٨) ثم يقرر أن أعلم من ورد على

(١) الدكتور أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ٣٢ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١٤٥/١ تحقيق عبد السلام هارون

(٣) الطبقات : ١٢ .

(٤) الطبقات : ١٢ .

(٥) الطبقات ١٣

(٦) الطبقات ١٤

(٧) الطبقات ١٥

(٨) الطبقات ٢٢

البصرة من غير علمائها المفضل محمد الضبي الكوفي^(١) .

ونراه يضع الأصمعي وأبا عبيدة في طبقة واحدة وينص على أنهما كانا من أهل العلم^(٢) .

ويحدد لعلماء السَّير منازلهم ، محمد بن أبي اسحق بن يسار عالم بالسَّير والمغازي ولكنه ممن أفسد الشعر وهَجَّنَه وحمل كل غثاء منه^(٣) أما الشعبي فكان ذا علم بالشعر وأيام العرب ولكن رُواة العلم كانوا يغلطون في الشعر ولا يضبط الشعر إلا أهلُه^(٤) ، بينما كان قتادة بن دِعامَة السَّدُوسي من وراة الفقه ، وكان عالما بالعرب وأنسابهما — ويقول ابن سلام — ولم يأتنا عن أحد من وراة الفقه من عِلْم العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة^(٥) .

والنقاد طبقات ، فخلف الأحمر كان أفرس الناس بيت شعر ، وأصدق لسانا ، يقول ابن سلام — كنا لانبالي إذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا أن لانسمعه من صاحبه^(٦) بينما كان حماد الراوية غير موثوق به ، كال يَنْحَل شعر الرجل غيره ، وَيَنْحَلُه غير شعره ، ويزيد في الأشعار ، كان يكذب ويلحن ويكسر^(٧) .

واللافت للنظر أن ابن سلام حين تعرض لطبقة النحويين البصريين — لم يفته أن يحدد ألصق صفات كل عالم حين يتعرض له ، فأبو الأسود أول من أسَّس العربية وفتح بابها ، ويحيى بن يَعْمَر كان مأمونا عالما ، وابن أبي إسحق أول من بعج النحو ومد القياس والعلل ، وعيسى بن عمر تتلمذ على يد ابن أبي اسحاق وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه ، أما الخليل بن أحمد فقد استخرج من العروض واستنبط منه ومن عِلَّله ، مالم يُستخرج أحد ، ولم يسبقه الى مثله سابق من العلماء كلهم^(٨) .

(١) الطبقات ٢٣ (٤) الطبقات ٦٠

(٢) الطبقات ٢٣ (٥) الطبقات ٦١

(٣) الطبقات ٧ (٦) الطبقات ٢٣

(٧) الطبقات ٤٨ و ٤٩

(٨) الطبقات انظر صفحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ على التوالي .

ويذهب إلى أبعد من هذا فيتبع نشوء اتجاهين في منهج علماء البصرة ، أحدهما يتزعمه عبد الله بن أبي اسحاق وهو اتجاه القياس والاجتهاد فيه والاحتكام إليه ، ومعه تلميذه عيسى بن عمر ، والاتجاه الآخر ما يذهب إليه أبو عمرو بن العلاء في أنه كان أشد تسليما للعرب ، وابن سلام يعتبر أحد تلاميذ هذا الاتجاه فهو تلميذ يونس بن حبيب الذي تخرج في مدرسة أبي عمرو بن العلاء .

وفي المقدمة يسجل ابن سلام ظاهرة سيطرة العلماء على نتاج الشعراء ، لقد أزعج ابن أبي اسحاق الشاعر الفرزدق حتى قال فيه :

لو كان عبدُ الله مولى هَجَوْتُهُ ولكن عبد الله مولى مَوَالِيَا (١) .
وطعن عيسى بن عمر على النابغة ورأى أنه أساء في قوله :
فَبِتُّ كَأَنِّي سَارَوْتَنِي ضَعِيلَةً من الرُّثَى في أنيابها السَّمَّ نَاقِعٌ
وقال : موضعها ناقعا (٢) .

ولنقرأ المقدمة من جديد : وأول ما نلاحظه أن ابن سلام يأخذ بمبدأ « التحديد » فهو يضع حدا منطقيا لكل ما يريد أن يبحث فيه ثم يضع « خطة بحث » يسير على هداها ومن ثم يشرع في التفصيل .

فراه يحدد الهدف من تأليفه ، فيقول : « ذكرنا العرب وأشعارها » ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب — وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها — فاقصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر » (٣) .

فهو سيذكر العرب ، وأشعارها ، وفرسانها ، وأشرافها ، وأيامها وهو لا يطمع أن يأتي على أخبارهم جميعا فليس في مقدوره أن يفعل ذلك مع قبيلة واحدة — إن أراد — فاقصر على المشهور منهم عند العلماء ، وبدأ بالشعر وهو القضية

(١) الطبقات ١٨

(٢) الطبقات ١٦

(٣) الطبقات ٣

الكبرى التى جُنِّدَ الكتاب لها — ولكى يَخْلُصَ لهذه القضية لابد أن يزيل منها الشوائب حتى تبدو رائعة ، وماشوائب الشعر المطبوع إلا الشعر المصنوع فيحدد لنا ابن سلام طبيعة هذا الشعر فهو : (مفتعل موضوع كثير لآخر فيه ...) (١) ويسترسل فى رسم حدود هذا الشعر المصنوع حتى نضع أيدينا عليه ، ونخرجه من القضية الكبرى التى أصبح منطوقها (ليس كل شعر مصنوع شعرا) ، وهو يضرب الأمثلة ، ويكشف الستار عن الجوانب الدقيقة فى هذا الشعر — وينتقل منه إلى الحديث عن دور البصرة فى الكفاح لاستئصال هذا الداء — الذين حاولوا القضاء على داء آخر ليس أقل خطرا من الشعر المصنوع وهو داء « اللحن » .

وبعد أن يمهد ابن سلام الطريق ويشعر أنه قد أخبر القارئ بكثير من الأمور التى تخص الشعر ومشكلاته واللحن وقضيته ، والنحو ومدارسه ، ونقد العلماء للشعر ، يقول لنا : أن شعر الجاهلية والأسلام والنخضرمين قد اختلف الناس والرواة فيهم ، ولما وجد هذا الخلاف قد تشعب نظروا بعلمهم ونفاذهم فى العربية إلى هؤلاء الشعراء ، فقالوا آراءهم فى نتائجهم ، بينما قالت العشائر بأهوائها ، ومع ذلك فالناس لا يثقون إلا بما يقول العلماء ، ولذا قد اقتصر ابن سلام من الفحول المشهورين على أربعين ، فألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة متكافئين متعادلين .

وهذا سبب تسمية الكتاب « طبقات الشعراء » ، أى أنه جمع أقوال العلماء فى الشعراء فوجد أنهم برأى العلماء فيهم يُكوِّنون ، طبقات متعددة كل طبقة حوت أربعة شعراء ، وكانوا عشر طبقات .

وبعد أن ينتهى من عرض خطته فى الكتاب — يبدأ بعرض الأساس الذى ثارت حوله الشكوك وهو بدء الشعر — فالحديث عن بدء الشعر لابد أن يردف نهاية الحديث عن الشعر المصنوع ، ويتقدم ابن سلام بالإجابة عن بدء الشعر الموثوق به قائلا : لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته ، وإنما قُصِّدَت القصائد وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب . وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عماد وثمود وحمير وثَّبع (٢) .

(٢) الطبقات ٢٦

(١) الطبقات — ٤

ثم أخذ يعرض شيئاً من قديم الشعر الصحيح ، للعنبر بن عمرو ولدود بن زيد ، ولأعصر بن سعد ، وللمستوغر بن ربيعة وغيرهم . أما أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع فهو المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل^(١) ثم يقول — وكان شعر الجاهلية في ربيعة ثم تحول الشعر في قيس ثم آل ذلك إلى تميم فلم يزل فيهم إلى اليوم^(٢) .

في تسلسل ، يوضح ابن سلام فكرته ، بدء الشعر الصحيح ثم أول من قصد القصائد ، ثم ارتحال الشعر من قبيلة إلى قبيلة إلى أن استقر . .

ونحن هنا في استطراد جميل أن بعض الشعراء كان يتعفف في شعره ، ولا تغريه الفواحش ، ولا يبالغ في الهجاء ، ومنهم من كان لا يقي على نفسه ويتعهر ولا يستتر ، وضرب أمثلة في الجاهلية والإسلام^(٣) .

وبذلك تنتهي المقدمة ، بتسلسلها في قضاياها ، ولو وصلت إلينا هذه المقدمة مع مقدمة الكتاب الثاني — لوجدنا شيئاً متكاملاً وتخطيطاً رائعاً لعرض أفكار واضحة .

ولكن ماذا نفعل والكتاب قد حكم عليه أن يتحول جزاه إلى جزء واحد ، وتتحول مقدمته إلى مقدمة واحدة ؟ وهي في صورتها الأخيرة مبتورة وتعلن عن النقص الذي بها عن طريق أسلوب ابن سلام .

فهو قد أورد طبقة شعراء القرى العربية وأصحاب المرائي واليهود ولم يُشير إلى سبب وجودهم ، وفيهم الطبقة التي تنفسح لوجودها جنبات الكلام ، وهي طبقة اليهود ، ولأستريح إطلاقاً إلى فرض أن ابن سلام — بدقته هذه في التعبير عما يجيش في صدره — يغفل الإشارة إلى هذه الطبقات ، وذلك لأنه أوضح لنا في المقدمة فيقول : « فاقصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فآلفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط لكل طبقة متكافئين معتدلين »^(٤) وهو صادق فعدد الشعراء الجاهليين أربعون كما يقول

(١) المصدر السابق ٣٩

(٢) المصدر السابق ٤٠

(٣) المصدر السابق ٤١ وما بعدها .

(٤) ابن سلام : الطبقات ٢٢

وعدهم إسلاميين أربعين أيضا ، على الرغم من ضياع ترجمة أوس بن مغراء من الطبقة الثالثة ، والعجاج من الطبقة التاسعة .

وهو يشير إلى شيء دقيق ، قد يغيب عمن يتعرض لتقسيم أى فئة إلى طبقات ، يغيب عنه أن يوضح أن أول اسم فى الطبقة ليس هو الأول ، لأنه لا بد من مبتدأ^(١) فهل مع ذلك نصدق أن هذه المقدمة غير مبتورة ؟ أو أنها مقدمة واحدة ، وهذا لن يضير ابن سلام فى شيء ، ولكن يضيره أن نقرر أن مقدمته على دقتها وتنظيم الأفكار بها ، متداخلة وفيها فقرات محشورة حشرا بلا مبرر ، لو رفعت لكان خيرا . .

(١) الضمات د .

رابعاً : منهج ابن سَلَّام في الطبقات .

أولاً : طبقات الشعراء الجاهليين .

ثانياً : طبقة أصحاب المراثي .

ثالثاً : طبقة شعراء القرى العربية .

رابعاً : طبقة شعراء يهود .

خامساً : طبقات الشعراء الإسلاميين .

1

2

3

4

5

أولاً : طبقات الشعراء الجاهليين

مسألان تحدقان بنا ونحن في طريقنا إلى طبقات الشعراء الجاهليين والحديث عنها :

المسألة الأولى : مدى التزام ابن سلام بالقضايا التي نادى بها في المقدمة ، وتطبيقها على مادة الكتاب .

والثانية : مدى صلاحية اسم « الجاهليين » وانطباقه على الشعراء الموجودين في الطبقة .

وقضية الشعر المصنوع أهم قضية تبناها ابن سلام وقام بشرحها بِأسهاب متعقبا وقائعها موضحا مدى خطورتها .

ونلاحظ أن مجهوده لم يتوقف فيها على المقدمة بل تعداه إلى شعر شعراء الطبقة أنفسهم وخاصة الشعراء الجاهليين .

يقول في الطبقة الأولى :

« أخبرني يونس بن حبيب : قال : قيل لذي الرمة : من أحسن الناس وصفا للمطر ، فذكروا قول عبيد :

دَانِ مُسِيفٌ فَوْقَ . الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
فَمَنْ يَنْجُوته كَمَنْ بِمَحْفَلِهِ وَالْمُسْتَكْنِ كَمَنْ يَمْشِي بِقُرُوجِ

فجعلها يونس لعبيد ، وعلى ذلك كان إجماعنا ، فلما قدم المفضل صرفها إلى أوس بن حَجَر^(١) والمفضل الضبي هو الذي يقول فيه ابن سلام « وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي »^(٢) فمكانته ومنزلته

(١) ابن سلام — الطبقات ٩٢ ، ودار : سحاب قريب من الأرض « مسف : من أسف الطائر إذا دنا من الأرض دنواً شديداً ، والهيذب : ماتدلى منه كهُذْبُ الثوب ، يخيل للمرء لشدة دنوه أنه لو استوى قائما لئالته يده « والسجوة : نخوة الوادي . أعلى مكان فيه لا يصل إليه السيل ، والمخفل : حيث يختفل السيل أى يجتمع مأوئ ، والضمير في « نجوته » و « محمله » للوادي ، والمستكن : الذي استقر في بيته . والقرواح : الأرض البارقة .

(٢) الطبقات — ٢٣

عند ابن سلام لم تمنعاه من أن يذكر له أنه أنحل أوس بن حجر قصيدة ليست له .

وفي الطبقة الثالثة يقول أبو خليفة : أخبرنا ابن سلام ، قلت ليونس . كيف تقرأ « وجئتك من سبأ نبأ يقين » (النمل — ٢٢) فقال : قال الجعدي ، وهو أفصح العرب :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يئنون من دون سيئه العرماً
وهو على قراءة أبي عمرو ويونس ، فجعل يونس القصيدة للجعدي ، وسمعت أبا الورد الكلابي سأل عنها أبا عبيدة ، فقال : لأمية ، ثم أتينا خلفا الأحمر فسألناه فقال : للنابعة ، وقد يقال لأمية (١) .

وفي الطبقة الرابعة يقول عن عدى بن زيد ، أنه كان يسكن البحيرة ويراكز الريف (٢) فلان لسانه ، وسهل منطقه فحمل عليه شيء كثير وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر ، وتخلط فيه المفضل فأكثر (٣) .

وفي الطبقة الخامسة يقول عن الأسود بن يعفر انه له شعر جيد ولا كهذه (أى كداليتها التي مطلعها : نام الخلى وما أحسن رقادى ...) ويقول وذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول : له ثلاثون ومائة قصيدة ، ونحن لانعرف له ذلك ولا قريبا منه ، وقد علمت (أى ابن سلام) أن أهل الكوفة يروون له أكثر ، مما نروى ، ويتجاوزون بأكثر من تجاوزنا ، ويقول : وأسمعنى بعض أهل الكوفة شعرا زعم أنه أخذه عن خالد بن كلثوم ، يرثى به حاجب بن زارة ، فقلت له : كيف يروى خالد مثل هذا ، وهو من أهل العلم ، وهذا شعر متداع خبيث ؟ فقال : أخذناه من الثقات ونحن لانعرف هذا ولا نقبله (٤) .

وفي الطبقة الثامنة ، يقول : حدثني مسجع بن عبد الملك وهو كرديُّ قول امرئ القيس :

(١) الضقات ١٢٦ و ١٢٧

(٢) يرى الأستاذ مشاكر أنها « يراكن » وليست « يراكنز » .

(٣) الضقات ١٤٠

(٤) المصدر السابق ١٤٧ و ١٤٨

بكى صاحبي لما رأى الدَّربَ دوته وأيقن أنا لاجقان بقيصرا

قال : صاحبه الذي ذكر : عمرو بن قميئة ، وبنو قيس ، تدعى بعض شعر امرئ القيس لعمرو بن قميئة وليس ذلك بشئ (١) .

إذاً ، حديث ابن سلام لقضية الشعر المصنوع لم يكن تمحسا ولا اندفاعا .

وعن المسألة الثانية في مدى صلاحية اسم « الجاهليين » وانطباقه على الشعراء الموجودين في الطبقة :

يقول ابن سلام (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ومقال فيه العلماء (٢)) .

وأمام هذا التصريح انتظرناه أن يجعل الجاهليين طبقة والمخضرمين أخرى ثم الاسلاميين ، ولكننا وجدناه في الطبقة الثانية قد أورد فيها كعب بن زهير والخطيئة المخضرمين ، مع أوس بن حجر وشر بن أبي خارم الجاهليين ، والطبقة الثالثة كلها مخضرمون ، والسابعة كلها جاهليون ، والثامنة بها النمر بن تولب المخضرم ، والتاسعة بها مخضرمان وجاهليان ، والعاشر بها ثلاثة مخضرمون وجاهلي .

ولم يقتصر الأمر على الجاهليين وطبقاتهم فقط ، بل تعداه إلى الاسلاميين فقد جعل في الطبقة الثالثة منهم كعب بن جعيل ، ويقال إنه شهد الجاهلية ، وعمرو بن أحمر الباهلي ، وهو مخضرم لاشك فيه ، وسحيم بن وثيل الرياحي وهو مخضرم أيضا ، وفي الطبقة الرابعة حميد بن ثور وهو مخضرم أيضا ، وفي الخامسة أبا زيد الطائي وهو مخضرم ، وفي السادسة بشامة بن ثور الغدير المري وقراد بن حنش — وهما جاهليان فيما يُعرف (٣) .

(١) ابن سلام : الضنقات ١٦٠

(٢) الطبقات ٢٤

(٣) مقدمة التحقيق ص ٦٥ ، قال الأستاذ شاكر في المقدمة « وفي السادسة من الإسلاميين ذكر بشامة ابن العدير ، وقراد بن حنش ، وهما جاهليان فيما يعرف ، فلعل ابن سلام عدَّهما من المخضرمين حبر بلغه عن إدراكهما الإسلام وإن لم يستلما » .

فهل بعد هذا ينطبق اسم طبقات الجاهليين ومعهم الشعراء الستة عشر
المخضرمون ؟ .

تجيب بالاجاب مع التنويه بدقة هذا الصنيع .

فابن سلام لم يعتبر الشاعر الذى عاش ماعاش فى الجاهلية ثم أدرك الاسلام ،
أنه انقلب رأسا على عقب فى نتاجه الشعرى ، فلم يحدث هذا فى تاريخ المسلمين
ولا فى تاريخ غيرهم . بل مضى عهد الخلفاء الراشدين ، والمسلمون يمرون فى
مرحلة انتقال من العصر الجاهلى وآثامه إلى العصر الإسلامى وضيائه ، ولذا لانجد
لعصر صدر الإسلام الملامح الخاصة به التى تفصله فصلا تاما عن العصر
الجاهلى ، لأن الشعراء بُهِتُوا أمام إعجاز القرآن ، وراحوا يقبلونه فى إعجاب
واندهاش ويُرجعون بلاغته وبيانه ، وهم يشعرون أنهم عاجزون أمامه .

فابن سلام محق حين يجعل المخضرمين فى عداد الجاهليين — لأنهم أمّا لم يقولوا
شيئا فى الإسلام فتراثهم جاهلى فى معظمه ، وإمّا لضعف شعرهم فى الإسلام .
ويكون ابن سلام ، فقد واصل حديثه عن الشعر المصنوع بعد أن عرض له
فى المقدمة ثم أدمج المخضرمين مع الجاهليين ، حين شعر أنهم جاهليون فى شعرهم
بالرغم من اسلامهم .

فلا مبرر لافرادهم بطبقة خاصة بهم ، وعبرة ابن سلام التى ورد فيها لفظ
المخضرمين ليست من الناسخ ، ولكنها من ابن سلام ، ووردت لتشير اليهم كواقعا
موجودا فى الكتاب ، وعندما ظننا أنها كانت تشير الى طبقة خاصة للمخضرمين
ثم بترت كنا مخطئين ، وذلك بعد أن استعرضنا الطبقة الجاهلية من الشعراء .
وخيرا فعل ابن سلام الناقد البصير .

ولم يضع ابن سلام الشعراء فى طبقات إلا ظنا منه أنه بهذا يكون قد وضعهم
فى إطارهم الأخير ، وفى أحسن موضع يظهرون منه لمن يحب دراستهم — وحتى
المختارات التى أوردها للشاعر اعتمدت أساسا على تطبيق فكرة معينة ذكرها هو
فى معرض الحديث عن الشاعر ، فيسمى الأبيات المُقلِّدات ، أى روائع شعر
الشاعر فى شيء يجيده هو ، وُصِّفَ أو هُجِّأ أو غَزَلَ والدليل على ما أقول أنه

لم يجمع كل الشعراء الموجودين ، بل اكتفى بأربعين شاعرا وجعلهم عشر طبقات .

في الطبقات يبدأ ابن سلام بعرض أصحاب الطبقة الأربعة ، مشيرا إلى أن الأول منهم ليس زعيمهم ولا أفضلهم . ولكنها الضرورة ، وهو يقدم لنا شهرة الشاعر ، أولا : فهذا النابغة ، وهذا الأعشى ، وإذا لم يجد إلا اسم الشاعر مجردا . ذكره كما هو ، فهذا امرؤ القيس وهذا زهير وهذا بشر وهذا أوس وهذا كعب وهذا الشماخ وهذا لييد ... الخ .

ثم هو بعد ذلك يردف الشهرة بالاسم الحقيقي ، فالأعشى ، اسمه ميمون ، والنابغة اسمه زياد ، وأبو سلمى والد زهير اسمه ربيعة ... الخ وبعد ذلك يأتي بالكنية ، فالنابغة يكنى أبا أمامه ، والأعشى أبا بصير ، والحطيئة أبا مليكة ، والنابغة الجعدي أبا ليلي ، وخويلد بن خالد كنيته أبو ذؤيب ، ثم لا يكتفى بذلك بل يصل بسلسلة النسب إلى قبيلة الشاعر ، فامرؤ القيس الكندي ، هو ابن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرثع بن معاوية بن كندة ، وأبو ليلي ، نابغة بن جعدة ، هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وهكذا

من هذه السلسلة نعرف القحطاني من العدناني ، والتميمي من القيسي من الربعي ، ونجد تفسيراً لكثير من الإشارات التي ترد في شعر الشاعر ولولا نسبه لما عرفنا لها سببا .

فابن سلام يضع جزءا كبيرا من تاريخ حياة الشاعر أمامنا بذكر سلسلة نسبه ، ولاغرو فالعصر كان بموج بالاهتمام بالحديث ، ورجاله وطبقات المحدثين والفقهاء ، وأخذ العلماء يكشفون الستار بعلم الجرح والتعديل عن كثير من أسرار المُحدثين — ومادليلهم في هذا إلا سلسلة النسب ، فلا بأس أن تنتقل العدوى إلى الأدباء والنقاد ، ويكون في انتقالها خير عميم على الأدب ودراسته وتاريخه .

وبعد أن يترك ابن سلام نسب الشاعِر ، يقدم لنا آراء العلماء والأمصار فيه
فعلماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حُجْر وأهل الكوفة كانوا يقدمون
الأعشى وأهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً^(١) وهو يورد أيضاً الرأى الذى
لا يوافق عليه كراى ابن أبى أسحاق حين يقول : أشعر أهل الجاهلية مرقش
وأشعر أهل الإسلام كثير ، ولم يقبل هذا القول ولم يُشَيِّع^(٢) .

ثم يذكر ما وجد لامرئ القيس من حجة ، فيقول : فاحتج لامرئ القيس من
يقدمه ، فقال : ما قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها ،
استحسنتها العرب ، وأتبعته فيها الشعراء : استيقاف صحبه ، والبكاء فى الديار ،
ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشبّه النساء بالطبّاء والبيّض ، وشبه الخيل
بالعقبان والعصى ، وقيد الأوبد ، وأجاد فى التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين
المعنى^(٣) .

وهو يفعل مثل هذا مع التابغة فيذكر قول من احتج له ويورد له بعض الأخبار
التي اختلف فيمن قالها ، ثم ينتقل إلى الأعشى ويصف شعره ويذكر بعض الأقوال
فيه ، وبعد أن يستطرد استطراداً طويلاً يعود قائلاً : واستحسن الناس من تشبيه
امرئ القيس قوله : (كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رطباً ويابساً...) ويأخذ فى ضرب الأمثلة
لآيات امرئ القيس المفردة .

وهذا هو الشكل العام للطبقة الأولى ، أمّا إذا فتشنا بين السطور فسنجد أن
ابن سلام قد تعرض فى لمحات إلى قضية كبرى تهّم النقد وليست أقل خطورة من
قضية الشعر المصنوع هى : قضية السرقات الشعرية .

ويتركها ليتعرض بعدها فى سرعة خاطفة لناحية تمس الشعر وروايته حين يصدر
عن الرواة العلماء وهم غير الرواة الشعراء يقول : وجدنا رواة الشعر يغلطون فى
الشعر ولا يضبط الشعر إلا أهله^(٤) .

(١) ابن سلام : الطقات ٥٢

(٢) المصدر السابق وانصفحة

(٣) المصدر السابق ٥٥٥

(٤) ابن سلام : الطقات ٦٠

وحين ينتهى من مسه الرفيق لهذه القضية ، ينتقل الى قضية أخرى أمس بالنقد من قضية رواية العلماء للشعر — وهى عيوب الشعر الموسيقية : الزحاف ، السناد ، الإيطاء — الإكفاء وهو الإقواء .

فالأمر لم يتوقف على المقدمة يث فيها ابن سلام تصوراته ثم يفرع إلى مادة الكتاب ، ولكنه يتصل بالنقد من كل جانب ويأخذ بتلايب مشكلاته ، كلما سنحت مناسبة لمعالجتها أو الإشارة إليها أو الإشادة بها فعل بلا تردد .

وإذا كان ابن سلام قد عَرَضَ لمشكلة الشعر المصنوع عَرَضًا مُسَهَّبًا ، وَتَقَصَّأَهَا تقصيا وافيا ، فليس من السهل أن ندعى هذا الإدعاء إزاء مشكلة قضية السرقات : فإنه قد قال :

وأخبرنى خلف : أنه سمع أهل البادية من بنى سعد يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر فمن رواه للنابغة قال :

تَعْدُو الذُّنَابُ عَلَيَّ مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي مَرِيضَ الْمُسْتَنْفَرِ الْحَامِي
وهى الكلمة التى أولها :

قالت بنو عامر ، نَحَالُوا بَنِي أَسَدٍ يَابُوسَ لِلْجَهْلِ ضَرَارًا لِأَقْوَامٍ
وَمَنْ رَوَاهُ لِلزَّبْرِقَانِ بَنِ بَدْرِ قَالَ :

وإن الذناب تُرعى من لا كلاب له وتحمى مَرِيضَ الْمُسْتَنْفَرِ الْحَامِي
ويروى « تتقى » وهذا البيت فى قوله ... « أبلغ سرّة بنى عوف مُغْلَغَلَةً »

وسألت يونس عن البيت ، فقال هو للنابغة ، أظن الزبرقان استزاده فى شعره ، كالتمثل حين جاء موضعه ، لا مُجْتَلِبًا له ، وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة ، قال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى :

تلك المكارم لا قُعبانٍ من لبنٍ شيباً بماءٍ فعادا بعد أبوالأ

وقال النابغة الجعدى ، فى كلمة فخر بها ، وَرَدَّ فيها على القشبرى :

فإن يكن حاجبٌ ممن فخرت به فلا يكن حاجبٌ عَمَّا وَلَا نَحَالًا
هلا فخرت بيومى رَحْرَحَانَ وَقَدْ ظَلَّتْ هَوَارِئُ أَنْ الْعِزُّ قَدْ زَالَا
(تلك المكارم لا قُعبانٍ من لبنٍ شيبا بماء فعادا بعد أبوالأ)

ترويه عامر للنابغة ، والرواة مجتمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله : وقال
غير واحد من الرجاز :
عند الصَّبَّاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى .:

إذا جاء موضعه جعلوه مثلاً ، وقال امرؤ القيس :
يُقَوِّفَا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وقال طرفة :
يُقَوِّفَا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ (١)

هذه لمحة ابن سلام لمشكلة السرقات ، ومنها نفهم مبدأ واضحاً عنده ، وهو
محاولة تحديد معنى المصطلحات . وفي معالجته لقضية الشعر المصنوع لمخنا هذه
المحاولة — محاولة وضع الحد للمعنى — وإذا استرسلنا في قراءة كتابه اعترضتنا
هذه الخاصية الفكرية عند ابن سلام .

ولاندرى لماذا لم يعرج ابن سلام على قضية السرقات بشيء من الدرس
والمناقشة ، فمما لاشك فيه أنها كانت شاغل المشغولين بالأدب والنقد آنذاك .
وقد أثرت بحدة حول أبي تمام معاصره المتوفى (٢٣٠ هـ) والبحترى وغيرهما من
الشعراء .

لقد اكتفى بأن ينبه أن هناك farkاً كبيراً بين السرقة والمثل السائر ، وأن بيت
الشعر حين يشيع وينتشر على ألسنة العامة والخاصة ، يكون ملكاً لهم جميعاً ،
حتى إذا استخدمه الشاعر فلا نتهمه بالسرقة .

والمسألة الثانية : التي يثيرها ، هي ملاحظته على الرواة العلماء ، فهم فقهاء
خبراء باللغة ، وشعرها ، وشعرائها وغريبها ولكنهم ليسوا شعراء ، لأنهم قد
يغلطون في الشعر ولا يضبطه إلا أهله أي الرواة الشعراء ، أو الشعراء أنفسهم .
ويضرب لنا مثلاً بالشعبي مع أنه كان ذا علم بالشعر ... وأيام العرب إلا أنه روى
عنه بيت :

فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ بِمِمْ تَحْنُهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

(١) ابن سلام : الضقات ٥٧ — ٥٩

وهو بيت فاسد في رأى ابن سلام .

وروى عنه شيء يحمل على لبيد :

باتت تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهَشَةً وقد حملتك سبعا بعد سبعين
فإن تعيشي ثلاثا . تَبْلُغِي أَمَلًا وفي الثلاثِ وفاءً للثمانين

ويقول ابن سلام : ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تُكثَّرُ به الأحاديث ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك لاتستقصي (١) .

فهو بهذا يضيف إلى أسباب وضع الشعر ، سببا آخر ، وهو أن يوضع للاستعانة به على السهر عند الملوك ، ثم يردفها بملاحظة دقيقة قد تكون سببا لظهور الملاحظة الأولى ، وهى أن الملوك لاتستقصي ، ولماذا تستقصي ؟!

وحكم ابن سلام قد يظلم بعض العلماء والرواة الثقات — وهو يشعر بهذا — فيخرج منه من لاينطق عليه الحكم ، مثل قتادة بن دعامة السدوسي ، يقول عنه إنه كان من رواة الفقه عالما بالعرب وبأنسابها ولم يأتنا عن أحد من رواة الفقه من علم العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة (٢) .

والمسألة الثالثة : هى تعريف عيوب الشعر الموسيقية ، ووضع حد يعرف كل عيب فالزحاف ، هو أن ينقص الجزء عن سائر الاجزاء ، فينكُرُ السمع ويشقل على اللسان وهو مع ذلك جائز ، والأجزاء مختلفة ، فمنها مانقصانه أخفى ومنها مانقصانه أشنع ، قال الهذلى :

لعلك إما أمّ عمرو تبدلت سواك خليلا شامى تستخيرها
فهذا مزاحف في كاف «سواك» (٣) وهى خَفِيٌّ ،

والإقواء : وهو الإكفاء مهموز وهو أن يختلف أعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة أو منصوبة ، وهو في شعر الأعراب كثير ، ودون الفحول من الشعراء ، ولايجوز لمؤلف لأنهم قد عرفوا عيبه ، والبدوى لا يابى له فهو أعذر (٤) .

(١) الطلقات ٦٠ و ٦١

(٢) الطلقات ٦١

(٣) المصدر السابق ٦٨

(٤) المصدر السابق ٧١

والإيطاء : وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة ، فإن كان أكثر من قافيتين فهو أسمح له ، وقد يكون ، ولا يجوز لمؤلد إذ كان عنده عيبا ، فإذا اتفق اللفظ واختلف المعنى فهو جائز .

والسناد : وهو أن تختلف القوافي في نحو « نَقِيبٌ ، وَعَيْبٌ ، وَقَرِيبٌ ، وَشَيْبٌ » (١) .

ونلاحظ في تعريفه للأقواء ، أنه ألقى علينا بفكرة عارضة ، هي دور معرفة الكتابة في تلاشي عيوب الشعر ، فسُحِّمَ بن وثيل الرياحي يقول :
(فما بآلي وبآل ابن اللُّبُونِ) ، ثم يقول : وقد (جَاوَزَتْ رَأْسِي الْأَرْبَعِينَ) (٢)
والأعرابي لا يلاحظ هذا الفارق إلا إذا كتبه ، أو دَوَّنه عنه راوٍ ولذا كثر الأقواء في شعرهم . ويدخل ابن سلام في دائرة حكمه طائفة أخرى من الشعراء يعرفون الكتابة أو يكتب لهم شعرهم ولكنهم دون مرتبة الفحولة في الشعر وكأنه وجد لهم الغدر .

وهذا الذي أجازه للأعرابي وللشاعر المفحم ، لا يميزه للشاعر المؤلد ، لا لأنه يعرف الكتابة ، ولكن لأن الحضارة رقت حسه ، وأرهفت شعوره ، وهذبت ذوقه فلا عذر له .

وابن سلام حين يقرر في المقدمة أن (للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات) (٣) كان يقصد بالثقافة معرفة عيوب الشعر ، والسرقات ، والمصنوع من الشعر ، ومصادر رواية الشعر ومبلغ توثيقها وتوهينها

وفي آخر الطبقة الأولى ، من طبقات الجاهليين يورد ابن سلام مختارات لما استحسنته الناس من التشبيه عند امرئ القيس وكأنه يشاركهم رأيهم في هذا ، ويقصد « بالناس » ، العلماء المهتمين بالشعر (٤) كما يستعمل الفقهاء اصطلاح (الجمهور) .

(١) المصدر السابق ٧٥ .

(٢) الطبقات ٧٢ .

(٣) الطبقات ٥ .

(٤) المصدر السابق ٨١ وما بعدها .

وهو لا يميل للسرد المجرد من الملاحظات الفنية فحين يأتي بأبيات امرئ القيس يتوقف ليذكر أن النقاد وازنوا بين امرئ القيس في قوله (فيا لك من ليل ...) وقول النابغة (فإنك كالليل الذي هو مدركي) ويقرر أن بعض الأشياخ زعموا أن بيت النابغة أحكمهما (١) .

ويتوقف عند قول امرئ القيس :

« ترائبها مصقولة كالسَّجَنَجَلِ » ليشير إلى أن السجنجل هي المرأة بالرومية (٢) .

ويشير أيضا إلى أن النقاد قد اخذوا على امرئ القيس قوله :

إذا ما لثريا في السماء تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوشاح الْمُفَصَّلِ

لأنهم أنكروا تعرض لثريا في السماء ، وقالوا : لثريا لا تَعَرَّضُ ، وقال بعض العلماء إن امرأ القيس عنى الجوزاء ، وقد تفعل العرب بعض ذلك ، قال زهير : فَتَنْتَجُ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشْأَمُ ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضَعُ فَتَنْفُطِمْ

يعنى أحمر ثمود ، والواضح أنه يميل إلى رأى العلماء الذين خرجوا قول امرئ القيس وقول زهير بن أبي سلمى (٣) .

وقد حررنا ابن سلام من معرفة سبب اختياره لهذه الأشعار وتفضيله للتشبيهات ، فما كان أحوجنا أن نعرف ذوقه الخاص — وقد يقال إن الاختيار قطعة من الرجل ، وهذه القاعدة لا تسلم لابن سلام لأن معظم ما أورده من شعر إنما هو تسجيل لآراء من سبقه من علماء ورواة .

ولا تختلف الطبقة الثانية عن الطبقة الجاهلية الأولى في المنهج ، ففيها أربعة شعراء بأنسابهم كاملة ، ولوجود كعب بن زهير بها اقتضى الأمر أن يعرج ابن سلام على قصته الشهيرة مع الرسول ﷺ وما قيل فيها ، مما اقتضى معه استطرادا ، كما اقتضى وجود الخطيئة استطرادا آخر يذكر فيه قصته المشهورة مع أشرف وسادة قريش وخاصة مع عمر بن الخطاب والشاعر الزبرقان بن بدر .

(١) المصدر السابق ٨٦

(٢) ابن سلام : الصفات ٨٨

(٣) المصدر السابق ٨٩

وقد اختفت ظاهرة الآيات المختارة التي ظهرت في الطبقة الأولى — ذلك إذا اعتبرنا أن الآيات التي وردت من مستلزمات الأخبار وتنتمى لها ، ويجوز أنها وجدت ثم ضاعت مع الحرم ، كما ضاعت أخبار بشر بن أبي خازم كلها ومعظم أخبار أوس بن حجر التغلبي — وهذا ما نلاحظه في الطبقة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، ثم تظهر في الثامنة بصورة أقل من سالفها في الطبقة الأولى ثم تختفي في التاسعة لتظهر أيضا في الطبقة العاشرة ولكن كما ظهرت في الطبقة الثامنة .

وحين نمر ببقية الطبقات سنلاحظ نفس المنهج الذي وضعه ابن سلام لنفسه في كل طبقة ، والموجود بوضوح وقوة في الطبقة الأولى . وتتأرجح الأخبار كثرة وقلة حتى تصل في الطبقة السابعة إلى خبيرين .

فالقوة والحماس الذي لمناه هما في الطبقة الأولى أخذاً بخفتان ويتراخيان ويصلان إلى أدنى درجاتهما في الطبقة السابعة ، وإذا اعتبرنا أن الخبرين ملحقان بأصل ذكر النسب ، أصبحت الطبقة السابعة لاقيمة لوجودها إذ لم يعد عمل ابن سلام فيها ذكر أسماء شعراء الطبقة فقط .

وهنا يظهر لنا مبدأ الطبقات مرة ثانية — فها نحن نطالب ابن سلام بمزيد من الأخبار لنحقق التوازن الخبري بين الشعراء ، وابن سلام لا يجد ما يسد به النقص لأنه ضيق على نفسه وألزمها وضع الشعراء في طبقات وما أغناهم عن مثلها .

وليس الكتاب في طبقات لشعراء الجاهليين فقط ، وما لم نجده فيها قد نجده في طبقة أصحاب المراثي ، أو طبقة شعراء القرى ، أو شعراء يهود .

ثانيا : طبقة أصحاب المراثي

ويقول عنهم ابن سلام : « وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات » (١) وهي تشرك مع قانون الطبقات العام في أنها : رباعية الشعراء « وهم متمم بن نويرة ، والخنساء وأعشى باهلة ، وكعب بن سعد » (٢) .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ٢٠٣

(٢) الطبقات ٢٠٩

وتختلف عن الطبقات ، بطبيعتها الخاصة وخروج أول شعرائها عن القاعدة التي قررها ابن سلام من كتابه وهي « وليس تبدئنا واحدا في الكتاب نحكم له ، ولا بد من مبتدأ » (١) ذلك لأن تبدئة متمم بن نويرة مقصودة هذه المرة . يقول ابن سلام « والمقدم عندنا متمم بن نويرة » (٢) .

ونتساءل أما كان لابن سلام أن يدمج هؤلاء الأربعة في طبقة زملائهم الجاهليين والمخضرمين . ولا سيما أن القاعدة تنطبق عليهم ؟ .

ويجب الاختيار نفسه ، فمن الظلم أن يقرن هؤلاء الشعراء بزملائهم ، فهم قد اتفقوا معهم بشاعريتهم واختلفوا عنهم بنكبتهم الأليمة ، فلم يحتملوا ألم الفقد ، وصدمة الحرمان وصلابة الموت ، فهُرِعُوا إلى اللغة الرحبية ، يُنْعَمُونَ أحزانهم على أوتارها ويبثونها أنينا باكيا .

وكانت اللغة وفيه لهم فأعطتهم جانبها الرقيق ، بألفاظها الهادئة الداكنة وأنغامها الساكنة الحزينة ، فكانت قصائدهم الرائية .

وشعراء المراثي هم شعراء أجادوا البكاء ووجدوا في الحزن سلوى ، وفي الرثاء نجاة من الموت غمًا ، فهم ينقذون أنفسهم من الموت ، بالموت مع أعزائهم . فمن الظلم أن نعتبرهم مجرد شعراء مرهفي الحس ، ولكن يجب أن يفردوا ويصيروا طبقة بذاتها ، لأنها أخلصت لفن بداته ، والأمثلة على حالاتهم موجودة بوفرة في أدنا فامرئ القيس يبرع في الوصف ، والنابعة في الاعتذار ، وزهير في الحكمة ، والأعشى في الخمر ، وفي الإسلاميين نجد الغزلين والمتزهدين والمتفلسفين .

فأمر ملموس أن يخلص الشاعر لفن معين ، يحبه ويتجاوب معه ، ويطول نَفْسُهُ فيه . ومهما قال في بقية أغراض الشعر ، فهو يأتي عند غرض منه ، ويتوقف مترثا يحقق ذاته ، ويتجاوب مع فنه مظهرًا خصائصه الفردية ، ومميزاته الشخصية ، فليس للشعراء قاعدة تجمعهم في صعيد واحد ، ولو قالوا جميعا في فن واحد وقاعدتهم الوحيدة هي الفروق الفردية بين القدرات الفنية .

(١) المصدر السابق ٥٠

(٢) المصدر السابق ٢٠٤

وابن سلام ناقد بصير مُدَقِّقٌ حين ينظر إلى متمم وزملائه نظرة خاصة ،
كونهم أصحاب فن واحد برعوا فيه لظروف واحدة جابتهم وشاعرية واحدة
ملكتم عليهم نفوسهم .

وليس في الطبقة جديد في منهجها سوى ملاحظتين برزتا في الحديث عن
متمم ، أولاهما التي أشرنا إليها وهي التنويه بأن ذكر متمم في أول القائمة
مقصود ، والثانية حرص ابن سلام على إيضاح رأى البصرة وعلمائها في متمم بن
نويرة وقصته ، وكأنه يقرر الرأى الأخير في مسألة قتل خالد بن الوليد له يقول :
« والمقدم عندنا — متمم بن نويرة — ويكنى أبا نهشل — رثى أخاه مالك بن نويرة
وكان قَتَلَهُ خالد بن الوليد بن المغيرة ، حين وجهه أبو بكر ، رضى الله عنه ، إلى
أهل الردة » فمن الحديث ما جاء على وجهه ، ومنه ما ذهب معناه علينا ،
للاختلاف فيه . وحديث مالك ، مما اختلف فيه ، فلم نقف منه على ما نريد ،
وقد سمعت فيه أقاويل شتى ، غير أن الذى استقر عندنا أن عمر أنكر قتله ، وقام
على خالد فيه وأغلظ له ، وأن أبا بكر صَفَحَ عن خالد وقَبِلَ تَأْوِيلَهُ (١) .

وزواج خالد بن الوليد بزواج مالك ، أدخل عنصرا حساسا في القضية ،
وأشعل حولها اللغظ ، ومن هنا سمع فيها ابن سلام أقاويل شتى وعلى الرغم من
وضع ابن سلام للفصل الأخير لقصة متمم ، فإن منهجه العلمى يمنعه من أن
يتعسف الطريق ، ويتصدى الركب ، فنراه يعرض ما وجد من رأى في حيدة ،
وبعد أن ينتهى من معالجة القصة يقول : « وبكى متمم مالكا فأكثر وأجاد (٢)
فهو يطبق عليه قاعدته ، دليل الفحولة في الشعراء ، كثرة جيدهم وجودهم
كثيرهم فيما ينتجون من شعر .

وعند الخنساء اختفت آراء ابن سلام ، ورؤىه ، واقتصر مجهوده فيها على أن
قال : أمها بكت أخويها صخرا ومعاوية ، فقالت في صخر كلمتها التى تقول
فيها ... (وذكر لها بيتا) وقالت في معاوية ... « وذكر بيتا » قال : ثم قالت في
صخر الكلمة الأخيرة وذكر بيتا (أَمِنْ حَدَثِ الْيَوْمِ عَيْنُكَ تَهْمُلُ ...) .

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٠٤

(٢) المصدر السابق ٢٠٩

وشبيه بهذا حدث مع أعشى باهلة الذى رثى المُنتشر بن وهب الباهلى ، قتيل ابن الحارث بن كعب فقال فى كلمته ... (وذكر له ستة أبيات)^(١) وأيضاً فعل مع كعب بن سعد الغنوى والذى رثى أخاه أبا المغوار بكلمة قال فيها .. « وذكر له سبعة أبيات »^(٢) .

ولن نثقل على ابن سلام وكفانا أنه نبهنا إلى ضرورة ملاحظة ميول الشاعر إلى غرض فنى معين لاستعداده ، أو لظروفٍ وُضِعَ فيها هيأته للتمكن من فن بذاته ، بالإضافة إلى أنه قرر رأى البصرة فى قضية قتل خالد لمالك ، واختلاف رأى أبى بكر وعمر — فيما أتى خالد — من عفو أبى بكر وتشدد عمر .
ولنتقل إلى طبقة شعراء القرى العربية .

ثالثاً — طبقة شعراء القرى العربية

أَطلَعَنَا ابن سلام على دقة فهمه لتأثير عامل الزمن على الشعراء ، بإدماجه الشعراء المخضرمين بالجاهليين واعتبارهم طبقة واحدة ، لأن عصر الإسلام كان مرحلة انتقال من تقاليد إلى تقاليد ، وللتقاليد الجاهلية السلطة الكبيرة والنفوذ الأعظم، مما جعل مرحلة الانتقال مرحلة دقيقة تحتاج إلى حاكم شديد ليسانة تقاليد الإسلام وينفذ تعاليمه وكان خير رجل للعرب وللإسلام عمر بن الخطاب .

والذى حدث أن الشعراء المسلمين لم يستطيعوا — وهم فى ظلال الإسلام أن يَتَغَنَّوْا بظلمات العادات الجاهلية ، فانقسموا قسمين ، قسم جادل شعراء الكفار كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقسم اكتفى بالتملى من روعة القرآن وأعجازه كالأعشى وأقرانه .

أما الشعراء الكفار ، فكانت رعودهم هينة ، فما أن انفتحت مكة أصبحوا مسلمين وأداروا للجاهلية ظهورهم .

أقول إن عامل الزمن ، ذو أثر فعال فى حياة الشعراء ، وعلى الناقد أن يلحظه

(١) المصدر السابق ٢١٠

(٢) المصدر السابق ٢١٢

ليتفهم ماينتج عنه من آثار ويدرك تماما أنه عامل بطيء وآثاره بعيدة التهيؤ ،
ولكنها تمتاز بصفة الثبات والاستقرار الطويل .

وأطلعنا ابن سلام أيضا على تنبيهه إلى تأثير العامل النفسى فشعراء المراثى أناس
اسودّت الحياة فى عيونهم ، وماكادت أنفسهم تفرح حتى أخذت على حين
غرة ، وسلبت مسببات السرور والهناء، ممثلة فى أشخاص أعزاء لديهم ، فهم
أناس مكلمون منهزمون بصدمة بليغة أتت على غير موعد .

ولن يدور الاحساس بالزمن فى فضاء ، لأنه لا بد من مكان يتلقى مختلف
التأثيرات الزمنية ويتفاعل الإنسان معهما تتم الحياة .

لذا يجب ألا ننزع شاعرا من الزمن الجاهلى ، كما يجب ألا ننزع الزمن الجاهلى
من البيئة الجاهلية ، لأن الشاعر الجاهلى ، نفسية بشرية أثرت وتأثرت بزمن معين
فى أثناء وجودها فى بيئة معينة لها خصائصها المميزة .

وقد فطن ابن سلام لهذه الحقيقة مع الشعراء المخضرمين والشعراء المحزونين ،
وهاهو ذا يفطن ويدلل على أثر البيئة ويقول لنا ، أن البيئة الصحراوية فى عصر
الجاهلية ، كانت تختلف عن البيئة الحضرية فى عصر الجاهلية ، وبالتالي الشاعر
البدوى الجاهلى ، ستجده يختلف عن الشاعر الحضرى الجاهلى ، الذى هجر
الصحراء وجفها الى نعيم الحضر وحضارته .

وقد سكن عدى بن زيد الحيرة وكان يراكرز الريف فلان لسانه وسهل سطقه (١)
وعدى يعتبر مثالا واضحا لأثر البيئة على مزاج الشاعر ، وشبهه فى ذلك الشعراء
المداحون الذين رحلوا الى اليمن والحيرة وغسان كحسان بن ثابت والأعشى والنابغة
الذبياني والجعدي وغيرهم ، نلاحظ فى أشعارهم أثر ارتحالهم الى بيئات غير بيئاتهم
فى ألفاظهم وتشبيهاتهم وأخيلتهم الحضارية وهذا أمر يطول شرحه .

فكيف ينطبق هذا الكلام على شعراء القرى ؟ أو ماصيلتهم بهذا كله ؟ ولماذا
أفرد ابن سلام شعراء القرى وجعلهم طبقة تضم أربع طبقات بها اثنان وعشرون
شاعرا ؟

(١) ابن سلام : الطبقات ١٤٠

نقول : ألم يقسم ابن سلام الشعراء من حيث الزمان إلى جاهليين وإسلاميين ؟
فلماذا لا يقسمهم من حيث المكان إلى شعراء بيئة المدينة وشعراء بيئة مكة وشعراء
بيئة الطائف ثم البحرين ثم اليمامة ثم عمان ؟ .

أليست هذه بيئات تتفق في أشياء ، وهى في اتفاقها واختلافها أنبتت شعراء
يتفقون في طبيعة شعرهم ، وزمان وجودهم ويختلفون في ظروفهم وأماكن
بيئاتهم ؟ .

فلماذا لا يجعل ابن سلام البيئات — من حيث تكوينها للشعراء — طبقات
ويفاضل بين بيئة وبيئة أخرى ، ويذكر لنا الاسباب ؟ .

قد نظر إلى المدينة فوجدها قد هُيئت من حيث الظروف كى تنصدر البيئات
الآخرى . ونلاحظ أنه حدد قوله بأنه سيتحدث عن شعراء القرى العربية ، أى
القرى الأصلية فى عروبتها البعيدة عن تأثير الفرس والروم والحبشة . فهو قد
خصص القول العام .

نظر إلى المدينة فوجدها امتازت بميزات جعلته يضعها فى أول القائمة ويقول
« وأشعرهن قرية المدينة »^(١) ، فالمدينة بها اليهود والعرب ، وهؤلاء أصحاب دين
سماوى ، والآخرون أصحاب وثنية ، وحدث ما يُنتظر من مشاحنات بين اليهود
والعرب ، من ناحية ، وبين العرب وأنفسهم من ناحية أخرى ، ومن مصلحة اليهود
أن يظل العرب متنافرين وأن يعيشوا فى شقاق ونفار .

وعرب المدينة معظمهم من عرب اليمن ذوى الحضارة القديمة ، والتقدم العريق ،
وهم قد جاوروا شعبا ذا دين سماوى وثقافة واسعة متشعبة — فلماذا لا تكثر فى
المدينة الشعراء ؟ وقد حدد ابن سلام سببا اجتماعيا نفسيا دقيقا حين قال : « إنما
يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم
يُغيرون ويُغار عليهم »^(٢) فعامل الإثارة والهيّاج موجود بجانب عامل الثقافة والرقّة ،
ولم يكتف الأمر بهذا ، بل جاء الإسلام وكتب على المدنيين أن يكونوا أنصارا
للمكيين ، وأن يكون الشعراء فى المدينة هم الصادون المانعون عن بيضة الاسلام ،
بطش كفار مكة وغيرهم من القرى العربية .

(١) ابن سلام : الطبقات ٢١٥

(٢) المصدر السابق ٢٥٩

وهكذا ارتقت المدينة التي أصبحت عاصمةً لدولة الإسلام ، ويقرر ابن سلام أن شعراءها فحول « وأنهم خمسة وأنها أشعر القرى ، وأن أشعر شعرائها حسان بن ثابت ، وهو الذى أصبح شاعر النبى مع كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة .

أما مكة فموضعها يختلف عن المدينة وظروف حياتها تختلف . مكة بلد تاجر والمدينة بلد زارع ، ومكة وثنية بينما المدينة عرفت اليهودية والمسيحية ، واشتبكت مع اليهودية فى مطالب الحياة اليومية ، ولمست مدى أفكارهم الدينية . والبيئة فى المدينة نشأ فيها التناحر بينما كان أهل مكة أهل تناصف ، وكان مما تُنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضهم بعضاً كما يقول ابن سلام^(١) وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم والذى قلّل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا^(٢) .

ولهذه الظروف قل الشعر عندها أى أنه على حد تعبيرنا اليوم كما يقول الأستاذ أحمد أمين « لم يكن لديها بواعث تهيج العاطفة »^(٣) .

ولكن بَمَ هيجت هذه العاطفة ؟ هيجت بالإسلام وللإسلام ، ارتجت أرجاء مكة حين شعرت أن تجارتها وأموالها فى خطر ، وحين وقف المكيون المشركون أمام المدنيين الذين أسلموا ، اشتد الهياج وانبرت ألسنة الشعراء ، ومما زاد لهيب النار أن المسلمين أذلوا الكفار فى موقعة بدر الكبرى ، ولم يصبر الكفار حتى كانت لهم موقعة أحد ، وتتابع لقاء مكة مع المدينة ، لقاء الأنصار مع الكفار ، شعراء المدينة مع شعراء مكة ، حتى كان عام الفتح ونصر الله المسلمين نصراً مبيناً .

أما بيئة الطوائف ففيها شعر ، ولكنه ليس بالكثير ، فليس بين الطوائفين حروب ولم يغيروا أو يغار عليهم ، وببئسهم متطرفة ، ومع ذلك كان فى الطوائف شعراء منهم أبو الصّلب وابنه أمية وأبو محجّن عمرو بن حبيب الثقفى وغبلان بن سَلَمَة وكنانة بن عبد ياليل^(٤) .

(١) المصدر السابق ٢٤٣ قصة صرار بن الخطاب الفهرى وعبد الله بن الزبيرى مع حسان بن ثابت .

(٢) المصدر السابق ٢٥٩

(٣) أحمد أمين : النقد الأدبى — ط حجة التأليف والترجمة والشر — بالقاهرة ١٩٥٢ د — ٤٣٨/٢ .

(٤) الطبقات ٢٥٩ .

ثم يقرر ابن سلام أن بيئة البحرين جمعت بين جودة الشعر وكثرته وفصاحته وعدد منهم ثلاثة شعراء هم المثقّب النكري العبدى ثم الممزّق العبدى والمفضّل النكري (١).

وأما عن بيئة اليمامة ، فلا يعرف ابن سلام بها شاعرا مذكورا (٢).
هذا هو الهيكل العام لطبقة شعراء القرى العربية ، فهل يتفق مع الهياكل الأخرى ؟ .

إذا طرحنا جانبا إيراد نسب الشعراء والأخبار عنهم ، وبعض المقتطفات عن شعرهم ، نجد أن هذه الطبقة قد تحللت من قاعدة أربعة شعراء لكل طبقة ، لأن طبقة المدنيين خمسة شعراء ، والمكيين تسعة شعراء ، والطائفين خمسة ، والبحرانيين ثلاثة . وهذا فرضته طبيعة الأمور فليس من المعقول أن يتحدث عن أهم شعراء المدينة أو مكة أو الطائف أو غيرها ويغفل منهم شاعرا ، فشهرتهم فرضت عليه ذكرهم جميعا ، بالرغم من استطاعته التحلل من شهرة بعض شعراء الطبقات الذين يزيدون عما قدر لنفسه عن عدد كل طبقة . وهنا تظهر لنا حقيقة نظام الطبقات وكيف أنه لا يصلح نظاما للأدب لعدم مرونته ولغلبة بعض الظروف على صلابته وجموده .

ونلمح من عرضه لطبقة شعراء القرى تيقظه للشعر المصنوع ، مضيفا لها أسبابا أخرى يقول : وأشعرهم حسان بن ثابت ، وهو كثير الشعر جيّده ، وقد حمل عليه مالم يحمل على أحد . لما تعاضت قريش واستبّت وضعوا عليه اشعارا كثيرة لا تُنقى (٣) .

فكثرة شعر حسان فتحت الباب رحيبا للوضع والسبب العصبية ، عصبية المهاجرين على الأنصار — عصبية مكة على المدينة — عصبية العدنانيين على القحطانيين ، والمادة خصبة ففي المغازي والسيرة النبوية والخلافة وجدت العصبية مرعاها ، وازدهرت وتعددت أشكالها بين القريتين العظيمتين مكة والمدينة .

(١) المصدر السابق ٢٧١

(٢) الطبقات ٢٧٧

(٣) ابن سلام : الطبقات ٢١٦

ولقد ذكر لنا مثلاً يوضح أثر العصبية في وضع الشعر : يقول : ويروي
الناس لأبي سفيان بن الحارث يقول لحسان :

أَبُوكَ أَبُو سَوٍّ وَخَالَكَ مِثْلُهُ وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ أَيْبِكَ وَخَالَكَ
وَأَنْ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ لَا تَلُومَهُ عَلَى اللَّوْمِ مِنَ الْفِي أَبَاهُ كَذَلِكَ

ويستطرد ابن سلام : فأخبرني أهل العلم من أهل المدينة ، أن قدامة بن موسى
ابن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي ، قالها ونحلها أبا سفيان ، وقريش ترويه في
أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان (١) .

فالعداوة بين أبي سفيان بن الحارث وحسان بن ثابت أُسْتُغِلَّتْ على نطاق
واسع لتخدم عصبية كانت بين الأنصار وقريش ، أو بين مكة والمدينة ، وليس يوم
السقيفة عنا ببعيد .

وإذا كان ابن سلام قد تعرض لقضية الشعر المنحول ، وعرف الشعر وعبوبه
الموسيقية ، وتعرض للسرقات في الشعر ، ولم يعتبر المخضرمين من الشعراء
الإسلاميين ، وتنبه إلى أثر البيئة في الشاعر من بدو وحاضرة ، فقد أثار في حديثه
عن شعراء القرى مسألة هامة وهي النقائص .

والمشهور أن النقائص هي نقائص جرير والفرزدق والأخطل بهم انشغل العصر
الأموي وبنقائضهم اهتم النقاد والدارسون .

ولكن ابن سلام يشير إلى أن للنقائص تاريخاً أبعد ، أبعد من العصر الأموي
ظهوراً ، وهي جاهلية النشأة ، مقترنة بالأيام الكبرى للجاهليين ، واكتسبت
سيرورة في أثناء عداوة الأحياء العربية في المدينة وغيرها . يقول ابن سلام في معرض
الحديث عن شعراء المدينة : « وعبد الله بن رواحة ، عظيم القدر في قومه ، سيد
في الجاهلية ، ليس في طبقة التي ذكرنا أسود منه ، شهد بدرا ، وكان في حروبهم
في الجاهلية ، يناقض قيس بن الخطيم (٢) .

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٤٩٦ و ٢٥٠

(٢) المصدر السابق ٢٢٣

فالحق التاريخي — كما يقول الأستاذ أحمد الشايب — يرجع بنشأة النقائض إلى طفولة هذا الشعر العربي في جوانب هذه الصحارى والقفار (١) .

وابن سلام يشير أيضا إلى مناقضة وقعت بين الحطيئة ومُزَرَّد بن ضرار أخى الشماخ حين طلب الحطيئة من كعب بن زهير أن يقول شعرا يذكره فيه نفسه ويضعه موضعا بعده ، لأن الناس لأشعار آل زهير أروى وإليه أسرع . فقال كعب :

فمن للقوافي ؟ شأنها من يحوكها إذا ماثوى كعب وفوز جرول
فاعترضه مزرد بن ضرار ، أخو الشماخ ، ويقول ابن سلام — كان عريضا —
أى شديد العارضة كثيرها فقال :

وباستك إذ خلقتني خلّف شاعري من الناس لم أكفئ^{هـ} ولم أتخل
(الأبيات)

وهكذا كانت أبيات أخى الشماخ نقيصة صارخة لما قيل في الحطيئة من رفع شأن وتمجيد .

ولامرئ القيس حين تعقب بنى أسد فقاتوه ، ولقى كنانة ووضع فيهم
السلاح خطأ أبيات قال فيها :

ألا يألَهف هِنْدُ إثر قوم هُم كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
(الأبيات) (٢)

ويظهر أن هذه الأبيات بلغت عبيداً فقال ينقضها على امرئ . القيس يقول :
أثوَعِدُ أسرتي وَتَرَكْتُ حُجْرًا يَرِيعُ سَوَادَ عَيْنِيهِ الْغُرَابُ
(الأبيات) (٣) .

ولم يتقيد الشعراء بالقافية الموحدة في النقيضين في بداية أمر النقيضة ، لأنها كانت أقرب إلى الجدال والفخر منها إلى النقائض التي استوت جوابها الفنية كاملة .

(١) أحمد الشايب : تاريخ النقائض في الشعر العربي : ص ١ — الطبعة الثانية ط الهيئة المصرية ١٩٥٤ م

(٢) امرئ القيس : الديوان — تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم — ط دار المعارف سنة ١٩٥٨ م (١٣٨)

رقم (٢٣)

(٣) عبيد بن الأبرص (٨١) الديوان ط ليد ١٩١٣ م

وحينما جاء الإسلام صار ركيزة للتقائض بين شعراء المسلمين وشعراء
المشركين — فغزوة بدر كانت أولى الغزوات الهامة في تاريخ الجهاد الاسلامي ،
لأن ماسبقها لم يكن إلا مناوشات يسيرة ولأن آثارها كانت خطيرة .

ففي بدر : أنشد ضِرَار بن الخطاب (١) :

عجبت لفخر الأوس والحين دائرٌ عليهم غداً والدهر فيه بصائرٌ
وفخر بني النجار إن كان معشرٌ أصيبوا ببدر كلهم ثم صابرٌ
فيجيئه كعب بن مالك :

عجبت لأمر الله والله قادرٌ علي ماأراد ليس لله قاهرٌ
قضى يومٌ بدر أن تلاقى معشرا بَعُوا وسبيل البغي بالناس جائرٌ

ويعدد له مانكل به المسلمون أعداء الله ، وكيف دحروهم دحرا ذليلا .
وعندما ييكي عبد الله بن الزبعرى ، قتلى بدر ، يقول ، هو أو غيره — فابن
هشام شاك في الأمر :

ماذا علي بدر وماذا حوله من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيها خلفهم ومنبهاً وابنى ربيعة خير حصم فقام (٢) .

يشمت فيه حسان بن ثابت ويقول له :

ابك بكث عيناك ثم تبادرت يدم ثعل غروبها سجّام
ماذا بكيت به الذين تابعوا هلا ذكرت مكارم الأقوام (٤) .

ويدور القول بين حسان بن ثابت والحارث بن هشام ، وبين بكاء ضرار بن
الخطاب أبا جهل ، وبكاء أوى بكر بن الأسود ، وصفية بنت مسافر ، شهداء
المسلمين ...

وفي أعقاب أحدٍ كثرت المناقضة بالشعر أيضا بدافع الفخر والتشفى من

(١) ابن هشام — السيرة — من ١٣ الى ١٦ الجزء الثاني ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ط الحلبي ،
الثانية — ١٩٥٥

(٢) الفقام : الجماعات من الناس .

(٣) ثعل : تكرر — مأخوذ من القليل ، وهو الشرب بعد الشرب ، والغروب : جمع غرب ، وهو مجزئ
الدمع ، والسجّام : السائل .

جانب قريش ، ثم المناهضة وذكر بدر والهجاء من جانب المدينة ، يقول هبيرة بن أبي وهب المخزومي المشرك قوله ، فيردها عليه المسلم حسان بن ثابت ، وينهض حسان المدني لعبد الله بن الزبير المكي . كما نهض كعب ابن مالك لعمر بن العاص قبل أن يسلم (١) .

وقد أورد ابن سلام نقيضة لأبي سفيان في يوم أحد يرد بها على حسان بن ثابت وكان أصحاب النبي ﷺ أصابوا في عقب بدر عيرا فيها فضة ، فكانوا تنكبوا ، بعد طريق الشام ، وأخذوا طريق العراق ، فقال حسان :
دَعُّوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ
فيجيبه أبو سفيان بن الحارث قائلا :

شَقِيتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ أَهْلٌ ذَكَرَهَا فَوَارِسٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَهْرٍ بَنِ مَالِكِ
الآيات (٢) .

وفي أحد أيضا نهض ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري المشرك ، وأرحف بقصيدة نقضها عليه كعب بن مالك (٣) وكذا تناقضا في يوم الخندق الذي نحد فيه ثلاثا من النقائص لعبد الله بن الزبير من ناحية وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك من ناحية (٤) وفي غزوة خيبر خرج مرحب اليهودي من حصصهم وقد جمع سلاحه يرتجز :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرَ أَتَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
وهو يقول من يبارز ، فأجابه كعب بن مالك :
قَدْ عَلِمْتُ خَيْرَ أَتَى كَعْبُ مُفَرِّجِ الْغُمَى جَرِيءُ دُلْبُ
وكذا حدث في أثناء عام فتح مكة ، ويوم حنين الذي كان في أعقاب فتح

(١) ابن هشام : السيرة ٨/٣ — ٤٣ ط الحلبى الثانية [الفلحات جمع فلحة وهي المرعة ، الخلال : عنى به طعنات السيوف والرماح] والمخاض ، البوق الحوامل — والأوراك جمع أركة ، والإبل الأوراك التي ترعى شجر الأراك ، وهو شجر طيب]

(٢) ابن سلام : الطلقات ٢٤٨ و ٢٤٩

(٣) ابن هشام : السيرة ١٣٨/٣ و ١٣٩

(٤) المصدر السابق ٢٥٤/٢ وما بعدها

مكة (١) وفي عام الوفود ، حين أتى الزبرقان بن بدر على رأس وفد تميم يفخر بقومه في قصة مشهور ، وقد نقضه حسبان بن ثابت (٢) .

فشعراء القرى العربية الذين أوردتهم ابن سلام ، تمثل الطبقة الأولى منهم نشوء فن النقائض جاهليا واسلاميا ، بينما تمثل الطبقة الثانية طورا آخر حين أضيف عليها الإسلام عاملاً أساسياً .

وابن سلام لم يناقش القضية ولكنه أشار إليها بعد أن أطنب فيها ابن اسحق وابن هشام في ذكر سيرة الرسول وغزواته وكأني بابن سلام أراد أن يقدم لنا شعر نقائض الجاهلية والإسلام في إطار طبقتي شعراء المدينة وشعراء مكة ، مبينا أن فترة ظهور الإسلام ساعدت على اشتراك الشعراء في فن النقائض ، فلو لم يكونوا في مثل هذه الظروف ، وفي مثل هذه البيئة ، لما ناقضوا ، ولا سمعنا منهم سوى ماتعودوا أن يقولوا من شعر غنائى شرق أو غرب .

وينبها ابن سلام أيضا إلى ضرار بن الخطاب بن مرداس بن محارب بن فهر من ظواهر قريش ، كان لا يكون بالبطحاء إلا قليلا ، وكان جمع من خلفاء قريش (٣) ومن مراق كنانة ناسا ، وكان يأكل بهم ، ويغير ويسبى ويأخذ المال (٤) .

فهناك لون آخر من الشعراء كانوا يعيشون عيشة خاصة ، لهم مبادئهم وقوانينهم وتقاليدهم ، وهم الشعراء الصعاليك ، ويمكن أن تميز فيهم ثلاث مجموعات ، مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل حاجز الأزدي ، وقيس بن الحداية ، وأبي الطمحان القينى ، ومجموعة ثانية من أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل السليك بن السليكة ، وتأبط شرا والشنفرى وكانوا يشبهون أمهاتهم في سوادهم ، فسَمَوْهُم وأضرابهم باسم « أغربة العرب » . ومجموعة ثالثة لم تكن من الخلعاء ولا أبناء الحبشيات غير أنها احترفت الصعلكة احترافا . وهى حينئذ قد تكون أفرادا مثل عروة بن الورد العبسى ، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهيم اللتين

(١) ابن هشام : السيرة ٣٣٣/٢

(٢) المصدر السابق ٤٧٦/٢ + ٥٦٢/٤ و ٥٦٣

(٣) كذا أوردتها ابن سلام ، ويحيل الى أنها « خلعاء قريش »

(٤) ابن سلام : الطبقات ٢٥٠

كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف على التوالي (١) .

وضرار ليس من الحبشيين ولا الخلعاء ولكنه رجل شريف يعاهد نفسه في يوم
أحد ألا يقتل قرشيا — ولما لقي عمر بن الخطاب ضربه بعارضة سيفه فقط وقال
له : انج يا ابن الخطاب ، كما يروى ابن سلام (٢) فهو في أغلب الظن من طائفة
الطبقة الثالثة التي اتخذت الصعلكة حرفة .

وابن سلام أخيرا لم يكلف نفسه ذكر شاعر يمامي لأنه لا يعرف شاعرا هناك
مذكورا (٣) وترك هذه الطبقة آسفين لضياح أبيات للزبير بن عبد المطلب تدل
الشواهد على سقوطها أو تدخل الناسخ فيها .

يقول ابن سلام :

■ وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر والحاصل من شعره قليل ،
فمما صح عنه قوله :

ولولا الحُبْشِيُّ لم تَلْبَسَ رِجَالٌ ثِيَابَ أَعِزَّةٍ حَتَّى يَمُوتُوا
وبعد أن يشرح بعض الاختلاف في لفظ (الحُبْشِيُّ) ويشرح معنى البيت
يقول مباشرة : « وهذه أبيات للزبير بن عبد المطلب (٤) » .
فسياق الحديث يوجب إيراد أبيات له .

وقد يكون في الطبقة مجال لحديث آخر نتركه لحينه ، اكتفاء بما قدمناه .

رابعا — طبقة شعراء يهود

وإذا بلغنا طبقة شعراء يهود لم نعجب من ذكرهم بل نجد ضرورة لأنهم شعراء
المدينة ، أولا ثم هم شعراء استخدموا اللغة العربية في شعرهم ثانيا .

(١) رجعنا إلى بحث أستاذنا الدكتور يوسف خليف (الشعراء الصعاليك) الفصل الثالث والرابع من ص
٨٧ — ١٤٨ لنتمكن من وضع ضرار في فئة من الصعاليك وانظر في ذلك أيضا أحمد الشايب في
كتابه : « تاريخ الشعر السياسي » طه مهنه مصر — القاهرة ١٩٤٥ م — ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ابن سلام : الطبقات ٢٥٢

(٣) الطبقات — ٢٧٧

(٤) ابن سلام : الطبقات ٢٤٥ و ٢٤٨

والسبب الثاني الذي جعل ابن سلام يضع المدينة في أول قائمة الطبقات أنها حوت بالإضافة إلى فحول الشعراء المسلمين شعراء يهود مشهورين .

وقد سالم اليهود المسلمين في بدء الأمر وحبب الرسول إليهم الصلح والوثام مع المؤمنين لأنهم أصحاب دين سماوى ، ولكن اليهود أبوا إلا الغدر فكان ماكان من تغيير الرسول القبلة من بيت المقدس الى مكة ، ومن إجلائهم إلى خيبر^(١) ومن بث سمومهم بين المسلمين والمشركين وهزيمتهم في غزوة الخندق ثم الهزيمة الكبرى حين رحلوا عن المدينة مدحورين .

وقد تأقلم اليهود بالعرب واشتركوا مع العرب في جميع المرافق الحيوية في المدينة والجزيرة اقتصادية وسياسية ، وكان اليهود على حذو ما كان العرب ، في تفاخرهم وتشاجرهم وتمدحهم بالشجاعة وعلو الهمة وإكرام الضيف والنفور من الجبن والبخل ، وكانوا يوقدون النيران في الليل ليرشدوا السائرين يدعونهم إلى الضيافة والإكرام^(٢) كما كان يفعل العرب إعلاء لشرفهم وصيانة لمجدهم .

والشعبان لغتهما سامية فليس بعيدا أن يتخذ بعض اليهود اللسان العربى ، ويُقَصِّد به القصائد ، ويصف الكرم والوفاء والشجاعة والبلدان أو الحيوان وجمال المرأة وكل ماكان من شأنه أن يحرك نفس العربى قد حرك نفس اليهودى ودعاه إلى قرض الشعر .

وقد كانت بين العرب واليهود مناقضات أيضا فلما أراد بنو النضير من اليهود الغدر بالرسول سنة أربع من الهجرة أجلاهم الى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وقد صور الشعر هذا الحادث وملابساته تصويرا حسنا . ووردت في السيرة لابن هشام القصيدة التى قيلت في اليهود ومطلعها :

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقا ولم أصدِف
الآيات

فأجابه سَمَّاك اليهودى :

إن تفخروا فهو فخر لكم بمقتل كعب أبى الأشرف

الآيات^(٣)

(١) ابن هشام : السيرة ٣٥٦

(٢) الواقدى : المغازى ١٧٠ ط برلين (ترجمة المانية)

(٣) ابن هشام : السيرة ط الحلبي ١٩٧/٢ و ١٩٨

وهناك مناقضة أخرى حول هذا الموضوع بين كعب بن مالك الأنصاري وسمك اليهودي تصور بوضوح موقف الفريقين الديني والسياسي ، وتشرب روح الإسلام واليهودية وما كان بينهما من جدل صَوْرَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١) .

والطبقة التي أوردتها ابن سلام تتكون من ثمانية شعراء ، ويعلق في مطلع الطبقة بأن في يهود المدينة وأكنافها شعرا جيدا (٢) .

ويكتفى ابن سلام بسرد أشعارهم ، ولكنه ينجح في اختيار أشعارهم التي نرى فيها طلاوة وجمالا فنيا ملحوظا ، فهم بعيدون بطبيعة بيئتهم عن حوشى الكلام وغريب الألفاظ ، وإننا لنعجب من قصيدة أبي الذيال الغزليه الدالية لرقتها وجيد نظمها ، وكأننا نقرأ إحدى رائعات ابن أبي ربيعة . وقد ظهر أثر الدين وتعاليمه واضحا في قصائدهم .

فالسَّمُولُ بن عادياء يقول :

إِنْ حَلَمِي إِذَا تَغَيَّبَ عَنِّي فَاعْلَمِي أَنِّي عَظِيمَا رُزَيْثٍ
ضَيِّقُ الصَّدْرِ بِالْخِيَانَةِ لَا يَنْقُضُ فَقْرِي أَمَانَتِي مَا حَيْثُ (٣)

ويقول أيضا :

أَلَى الْفَضْلِ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُوسِبْتُ ؟ إِنْ عَلَى الْحَسَابِ مُقْسِيَتْ
مَيِّتٌ دَهْرٌ قَدْ كُنْتُ ثُمَّ حَيٌّ وَحَيَاتِي رَهْنٌ بَأَنْ سَأْمُوتُ (٤)

ويقول الربيع بن أبي الحُقَيْقِ من بني النُّضَيْرِ :

إِنَّا إِذَا نَحْكُمُ فِي دِينِنَا نَرْضِي بِحُكْمِ الْعَادِلِ الْفَاصِلِ
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نَلِيطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ (٥)

ويقول شريح بن عمران :

إِنْ الْكَرِيمَ إِذَا تَوَا خِيَهُ وَجَدْتَ لَهُ فَضُولًا (٦)

(١) المصدر السابق ٢٠٠/٢ ط الحلبي

(٢) ابن سلام : الطبقات ٢٧٩

(٣) الطبقات ٢٨٠

(٤) المصدر السابق ٢٨١

(٥) المصدر السابق ٢٨٤ لفظ الشيء . ستره أو كتفه

(٦) المصدر السابق ٢٨٤

ويقول أبو الذيال :

إني لمستيقن لئن لم أمت ملّ يوم إني إذن رهين غدي (١)

وإزاء هذا التراث الأدبي لليهود ، كان على ابن سلام أن يجعل لهم طبقة ، ولو أن عدد من أسلم من اليهود كان كثيرا لوجدنا كثرة من تراثهم الأدبي قد حفظه له أحفادهم .

خامسا — طبقات الشعراء الاسلاميين

وحينما ينتقل بنا ابن سلام الى الشعراء الاسلاميين نلمس شيئا من التغيير قد طرأ ، المنهج لم يختلف وترتيب الشعراء لم يختلف ولكن المشكلات نفسها اختلفت ، في العصر الجاهلي الأدبي قد تقيد بظروف معينة ، قد أوجدت مشكلات معينة ، وعندما انتهى السبب انتهى الأثر .

ولانستطيع أن نطبق قاعدة انتهاء الأثر بانتهاء السبب لأن قضايا الأدب والنقد قابلة للتشكل والخضوع لقوانين أخرى .

لذا نجد أنفسنا أمام ابن سلام ، وقد ترك التقيد والتشدد ، وأفسح المجال للشعراء الإسلاميين ، وللأحداث التي خلقوها وخلقتها لهم ظروف عصرهم وبيئتهم ، ولكنه كان يتدخل بين السرد والسرد ، وبين الأخبار الطويلة والأشعار المتعددة ليلقى تحديدا لمعنى معين ، أو يسجل رأيه الخاص في شاعر ، أو يغلب رأيا على رأي ، أو يقدم أخطاء شاعر بجوار مقلداته ، أو يحقق نصا حوى واقعة هامة وهكذا ...

ونغنى من هذه اللفظات كثيرا ، وأول مايلفت أنظارنا ضخامة الجزء الخاص بطبقات الشعراء الإسلاميين ، فهو يشغل (٥٠٠ صفحة) من طبعة المدنى ١٩٧٤ م التي تدور دراستنا عليها ، بينما شغلت طبقات الجاهليين وطبقة أصحاب المراثى وطبقة أصحاب القرى والشعراء اليهود (٢٤٥ صفحة) ، والأكثر من ذلك ، أن تشغل الطبقة الأولى من الاسلاميين (٢٢٤ صفحة)

(١) المصدر السابق ٢٩٣

من صفحات الطبقات الإسلاميين كلها ، بينما تشغل الطبقة الإسلامية الثانية (٣٧ صفحة) والثالثة (١١ صفحة) والرابعة (٩ صفحات) والخامسة (٥٢ صفحة) والسادسة (٣٢ صفحة) والسابعة (٨٧ صفحة) والثامنة (٢٦ صفحة) والتاسعة (٣٠ صفحة) والعاشر (٢٨ صفحة) !!....

وصفحات الطبقة الأولى ترينا بوضوح شهرة وغلبة أمر شعرائها على بقية شعراء الطبقات ، حتى عجز ابن سلام عن أن يتوقف عن سرد مشاحناتهم ومناقضاتهم وانشغال مختلف الأوساط الشعبية والقيادية بأمرهم ، وليس مافي الطبقات كل أخبارهم ولكن مالم يستطع ابن سلام أن يغفله .

ويصور لنا ابن سلام موقف السلطة الحاكمة ، تجاه هذا الثلاثي الهجاء ، كما يصور موقف القبائل التي وجدت في تهاجي الشعراء مهزلة اجتماعية لاتليق بالتقاليد العربية الرفيعة . ويصور أيضا أثر هؤلاء الشعراء الهجائيين في بقية شعراء الدولة .

فسيطرة الشعراء الهجائيين على صبة الشعراء الإسلاميين أمر فرضته طبيعة الأمور ، وماحدث من ابن سلام بالنسبة لأوس بن حجر الذي وضعه في الطبقة الثانية من الجاهليين ، واعترف بأنه نظير الأربعة أصحاب الطبقة الأولى^(١) حدث معه في الطبقة الأولى الإسلامية ، إذ احتوت الراعي مع جرير والفرزدق والأخطل ، والراعي مكانته الطبقة الثانية أو غيرها ، ولكن قاعدة « أربعة رهط لكل طبقة » هي التي جعلت الراعي يزاحم الثلاثة الفحول ، وابن سلام يحس هذا جيدا ويقرر أن الناس اختلفت فيهم أشد الاختلاف وأكثره ، وعامة الاختلاف أو كله في الثلاثة ، ومن خالف في الراعي قليل ، كأنه آخرهم عند العامة^(٢) ويقول عنه إنه : « كان بعد هجاء جرير له مُغَلِّباً ، قال رجل من قومه علامة ورأوية فصيح : كان فحل مضّر حتى ضغمه الليث يعني جريراً^(٣) .

فكما أخرج أوس بن حجر من طبقة الجاهلية الأولى ، أدخل الراعي بن حصين في الطبقة الإسلامية الأولى وكلاهما في غير موضعه .

(١) ابن سلام : الطبقات ٩٧

(٢) المصدر السابق ٢٩٩

(٣) المصدر السابق ٥٠٣ وضغمه الليث : أهوى إليه فملاً فمه منه ، وعَصَهُ عَصاً شديداً دون النهش

أما عن قضية الشعر المصنوع فلتتقى بها في طبقات الإسلاميين ولكن بصورة أخرى . فقد انتشرت الكتابة وأصبح لكل شاعر راو أو أكثر ، ولاقت الأشعار عناية صانتيها من الإفراط والتفريط ، فحَفَقَت نغمة أن البيت كذا مُخْتَلَف فيه ، وأن الوضع فيه يَبِينُ ، أو أن الرواة والعلماء لم يسمعوا به وظهرت موجة أخرى أحدثتها ضجة النقائض بين جرير والفرزدق والأخطل .

ومن طبيعة النقيضة المدافعة أن تقتبس من النقيضة المهاجمة ، ولانتشار المهاجمة بين الشعراء وضرورة سرعة الرد ، ظهر مصطلح « الاقتباس » ، فالفرزدق حين يهجو رُبَيْعًا بقوله ..

كَأَنَّ رُبَيْعًا مِنْ عَمَايَةَ مِنْقَرٍ أَتَانِ دَعَاها فَاسْتَجَابَتْ حِمَارُهَا
تُرْجِي رُبَيْعٌ أَنْ يَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ ، وَقَدْ أُعْيِيَ رُبَيْعًا كِبَارُهَا

اقتبس منه البيث البيت الثاني وهجا به جريرا قائلا :

تُرْجِي كَلْبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُعْيِيَ كَلْبًا قَدِيمُهَا
فيضج الفرزدق ويلعن البيث قائلا :

إِذَا مَاقَلْتَ قَافِيَةً شُرودَا تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءَ الْعِجَانِ
الآيات (١)

والشكل الثاني المتطور لقضية الانتحال في العصر الأموي ، هو « الرَّفْد » أي إعانة شاعر ونُصِرَتُهُ على شاعر آخر ، كما حدث لهشام المرِّي الذي يجيد الرجز ، حين لجع الهجاء بينه وبين ذي الرمة ، وكان ذو الرمة مستعليا هشاما . حتى لقي جرير هشاما فقال : غلبك العبد يعني ذا الرمة قال : فما أصنع وأنا راجز وهو يُقَصِّدُ ، والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء . فلو رفدتني ، فقال له جرير — لتهمته ذا الرمة ميله الى الفرزدق — قل له :

غَضِبْتُ لِرَهْطٍ مِنْ عِدِي تَشْمَشُوا وَفِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ تَشْمَسْ رِحَالُهَا
فلما بلغت الآيات ذا الرمة قال : والله ما هذا بكلام هشام ولكنه كلام ابن الأتات (٢) .

(١) ابن سلام : الطبقات ٣٢٧ ، ابن حمراء العجاني : سَبَّ كَانَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ .

(٢) المصدر السابق ٥٥٧ ، عدى : رهط ذي الرمة . تَشْمَسُ : قعد في الشمس ، والراحل : الذي رحل بغيره ، أي وضع عليه رحله للسفر . فهو صاحب حل أي أنهم تعودوا البقاء في الشمس دون ظلال البيوت لتفاهة شأنهم .

ومن هذه المعونة التي وجدناها ما حدث حين هجا عمر بن لَجَأ جريراً فتكاتفت « تيم » قبيل الشاعر وألّفت له الأشعار التي يرد بها على جرير وهو يعلم ذلك . قال ابن سلام : وكانت تيم رِغَاء غَنَم ، يغدون في غنمهم ثم يروحون ، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات فيردفون عمر بن لجأ وقيل لجرير ، ماصنعت في التيم شيئاً ، قال : إنهم شعراء لكأَم (١) .

ووجدنا بجوار ما وجدنا ، « الاغتصاب » فذو الرمة يلقى الفرزدق ويقول له لقد قلت أبياتاً ، إن لها لعروضا ، وإن لها لمرادا ، ومعنى بعيداً ، فيقول الفرزدق ، وما قلت ؟

يقول : قلتُ :

أحين أعادت بي تيم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمْد
(الأبيات)

فيقول له الفرزدق : لاتعودنّ فيها فأنا أحق بها منك ، ويقسم ذو الرمة أن لايعود فيها ولايشدها أبداً إلا للفرزدق ، وهي في قصيدة الفرزدق التي يقول فيها :
وكنا إذا القيسي نبّ عتوده ضربناه فوق الأثيين على الكرد (٢)
فالاقتباس والرفد والاغتصاب صور متطورة للانتحال .

وإزاء شهرة شعراء النقائض يعرض لنا ابن سلام لونا دقيقاً لأثر شهرتهم على الشعراء الذين يعيشون في دائرة الظلال ، يحسهم النسيان ، يريدون الصيت والذكر البعيد فيتعرضون لهؤلاء المشاهير يهجونهم ، علّهم إن ردّوا عليهم الحياء شعّر بهم الناس .

فهذا بشار في بدء حياته يتعرض لجرير يهجوه ولو ردّ عليه لشهره ، والشاعر اللعين المنقري يُدخل أنفه بين الفرزدق وجرير ، علّهما يذكرانه فيرفعانه ولكنهما لم يلتفتا إليه فأحنقه هذا وقال :

(١) المصدر السابق ٤٣٥

(٢) ابن سلام : الطبقات ٥٥٤ الأنتيان ، الأدناد ، والكرد : العتق ، وثّ : صاح . والعتود : من أولاد البعري الجددي . وثبّ العتود : مثل لمن طن في نفسه القوة فاسكتير ورام أمراً

فَمَا بَقِيَا عَلَى تَرْكُثْمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالُ
الآيات (١)

ويحكى ابن سلام ، أن العباس بن يزيد الكندي هجا جريرا وكانت الشعراء تعرض له ليهجوهم ، وكان جرير يقول أنا لأبتدى ولكنى أعتدى (٣) فهو في غنى عن الإثارة بالهجاء وللشهرة ، ولكنه معرض للهجاء من الآخرين لأجل أن يُشهرُوا .

والواقع أنه لا يعتدى ، ولكنه ينهش الشاعرَ قبيلته ، وينبش قبور أمواتها ويهتك أستار عوراتها ، وقد تجدد القبيلة في شعرائها الغناء ، يزودون عنها ويحمون عريتها فيثبتون في المعركة كما فعلت تيم مع شاعرها عمر بن لجأ حتى تركهم جرير . وقد لا تجد القبيلة ما يدفع عنها ويلات الهجاء أو هي تجد ولكنها تخاف مُحْصَنَاتِهَا أَنْ تُهْتَكَ فتستغنى عن شاعرها أو تجره ذليلا إلى أحد الهجائين الثلاثة ليتوب على يديه ، ويعزم على ألا يعود ، فقبيلة كندة رجت جريرا — وقد هجاه شاعرها — ألا يذكرها في شعرها ... فلم يقبل جرير إلا بعد أن يعرف منهم فضائح عن شاعرهم العباس بن يزيد الكندي فأخبروه وباعوا شاعرهم ، ليشتروا أنفسهم وأعراضهم من جرير (٣) .

وهذا عبد العزيز بن عمر بن مرجوم وكان سيد عبد القيس بالبصرة ، يشد شاعرهم أحمر بن غداة لأنه هجا جريرا ويرسل به إلى جرير قائلا : احكم فيه (٤)

وذو الأهدام الشاعر الكلابي حين يهجو الفرزدق لا تجد أم الشاعر وسيلة تحمي بها عرضها من الفرزدق إلا أن تلجأ بقبر غالب أبي الفرزدق تستعيد به (٥) .

(١) المصدر السابق ٤٠٣

(٢) المصدر السابق ٤٤٤

(٣) ابن سلام : الطبقات ٤٤٥

(٤) المصدر السابق ٤٤٧

(٥) المصدر السابق ٣١٣

وبنو حرام بن سمال — كان شويعرها قد هاجى الفرزدق فقالت له : هاهو ذا بين يديك ، فَإِنْ شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لاعدوى عليك ولاقصاص قد برئنا إليك منه فَخَلَّى الفرزدق عنه (١) .

ودفع شعور الناس بأن هذه المهارات تظلم أحياءهم وأمواتهم إلى صدها بشتى الطرق ، وحتى إذا ارتضت قبيلتان هذا العواء على نفسيهما — نجد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، يعتبر مايين الشاعرين جرير وعمر بن لجأ جريمة خلقية ويقول لهما : أتقذفان المحصنات ، وتعضعان وتنفيان ؟ ويأمر أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى — وكان واليه على المدينة بضربهما فأقامهما على البأس مقرونين (٢) .

هذه بعض الأضواء التي ألقاها ابن سلام على وجود الشعراء الهاجين ، وهو قد علّق على بعض الأحداث براى العلماء أو برأيه الخاص وترك لنا الأخرى ، نرى فيها رأينا ، ونحكم عليها حكمنا . ونستعين بها على دراسة هذا العصر وذاك اللون من الهجاء .

وفى (ص ٦٤٨) يقول ابن سلام :

كان عبد الله بن قيس الرقيات أشدّ قریش أسر شعر فى الإسلام ، بعد ابن الزُّبَيْرِ . وكان غزلاً ، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبى ربيعة ، وكان عمر يصرّح بالغزل ولايهجو ولايمدح وكان عبد الله يشيب ولايصرح ، ولم يكن له معقود عشق وغزل كعمر بن أبى ربيعة (٣) .

وهو فى هذه الفقرة يضع أمامنا شاعرين لهما اتجاه واحد فى صفة النساء ، رقة وطلاوة وعذوبة ، ولكن علينا أن نفرق بينهما فى اتجاههما الواحد ، فعبد الله بن قيس الرقيات ، سُمى لأنه شبّ بثلاث نسوة سُمين جميعاً رُقِيَّة (٤) ذكر جمالهن ،

(٢) نطقت ٤٣١

(١) المصدر السابق ٣٢٥

(١) يقول الأستاذ شاكر فى التحقيق « الأسر : قوة الخلق ، وأراد بناء الشعر ، ويصرح « يعنى أنه يخلص شعر للغزل وذكر ما يكون بينه وبين صديقاته ، وقوله « معقود عشق » عندى : أن العقود هنا مصدر بمعنى العقد ، نحو المعقول والمخلود . بمعنى العقل والجلد ، يعنى أنه عشق قد عقد قلبه عليه ، فصديق فيه وأخلص .

(٤) المصدر السابق ٣٦٩

ووصف محاسنهن ، وأمانيه في لقائهن ، وعذابه في بعدهن ، والمرأة عند ابن قيس الرقيات نموذج للجمال ومنبع للالهام .

أما عمر ابن أبي ربيعة فواقعي ، يصف أحداثا ووقائع ، ومغامرات وأخطار حدثت له أو يتصورها حدثت — وهو في طريقه للمرأة ، وأخرى حدثت لها وهي في طريقها إليه ، والمرأة عنده نموذج للمتعة الحسية والمعنوية فهو يتغزل حين يصف لنا حظه من هاتين المتعتين .

وعمر بن أبي ربيعة عقد شعره كله على الغزل لم يمدح ولم يهجو ، بينما كان عبد الله بن قيس الرقيات زُبَيْرِيَّ الهوى ، يمدحهم ويخلص لهم ويمدح عبد الملك بن مروان بعد ضياع الزبيرين ، وكان منقطعا إلى عبدالله بن جعفر^(١) وله فنون شعرية متعددة^(٢).

ومادام القول في النسب والتغزل فابن سلام يوضح نقطة أخرى بين كثير جميل ، لكونهما يشتركان في طريق التشبيب بالمرأة والنسب بها ، إذ يلحظ ابن سلام أن « لكثير » في التشبيب خطأ وافرا ، وأن جميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسب جميعا في النسب ، ولكثير فنون في الشعر مالميل لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثير يتقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان فيه مع جودة شعره خطل وعجب وكانت له منزلة عند قريش^(٣) .

واختلف المشبهون الثلاثة في التعبير عن تقديرهم لجمال المرأة ، كثير يكثر ولا يصدق ولا يتفرغ ، وجميل يقل ويصدق ويتفرغ ، وابن قيس الرقيات يصدق ولكنه لا يتفرغ لانشغاله بالمدح والهجاء وفنون الشعر الأخرى فهو قد جمع صدق جميل ، وانشغال كثير بفنون الشعر المختلفة .

ثم يقرر ابن سلام أن الشاعر قد يجيد أحيانا حتى يصل إلى درجة الشعراء الفحول ، ولكنه لا يقرب بهم ، لأن جيدة عرض وجيدهم دوام ، فذو الرمة كان من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين ، كان يروى عنهما وعن

(١) الأغاني : ط الوزارة ٧٣/٥

(٢) المصدر السابق ٧٦/٥

(٣) ابن سلام : الطبقات ٥٤١ و ٥٤٥

الصحابة وكذلك ذو الرمة هو دونهما ويساويهما في بعض شعره (١).

أريد إن أقول إن عرض ابن سلام للشعراء في طبقات لم يمنعه إطلاقاً من أن يسجل الثقافة النقدية التي كانت تجول في ذلك العصر بين علمائه . ومامن شاعر وجد فيه ابن سلام شيئاً للنقد إلا وعرضه وركز الانتباه عليه .

فتارة يسأل بشارا المرعث ، أي الثلاثة أشعر ؟ (٢) وأخرى يسجل رأى العلاء بن خريز العنبري فيهم ويشرح قوله بالتفصيل (٣) ثم يذكر مروان بن أبي حفصة جريراً والفرزدق الذي حكى في الثلاثة بالشعر لأن الكلام يضيع بين الناس (٤) أو يسأل الأسدي ، أخا بني سلامة ، عنهما أيضاً (٥) ثم لا يفوته أن يذكر رأى الشعراء الثلاثة في أنفسهم ، فالفرزدق يقول عن جرير : إني وإياه لنغترف من بحر ويضطرب دلاؤه عند طول النهر (٦) ، والأخطل يقول عنهما : الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر (٧) ، وجرير يقول عن الأخطل : لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن ، ومارأيتُهُ إلا خشيت أن يتلعنى (٨) أما الفرزدق عنده فهو نبعة الشعر (٩) .

ويريد ابن سلام أن يستوفي أخبار هؤلاء الشعراء ولكنه يقرر أن الهجاء بين الفرزدق وجرير قد لج نحواً من أربعين سنة لم يُغلب واحد منهما على صاحبه ، ولم يتهاج شاعران في الجاهلية والاسلام بمثل ماتهاجيا به ، وأشعارهما أكثر من أن يأتي عليها ولكنه يكتب منها النادر (١٠).

وقبل أن أترك الحديث عن ابن سلام في عرضه لفن الفرزدق والأخطل وجرير ،

(١) المصدر السابق ٥٥٠

(٢) ابن سلام : الطبقات ٣٧٤

(٣) المصدر السابق ٣٧٤ و ٣٧٥

(٤) المصدر السابق ٣٧٧

(٥) المصدر السابق ٣٧٨

(٦) المصدر السابق ٣٧٧

(٧) المصدر السابق ٤٧٤

(٨) الطبقات ٤٨٧

(٩) المصدر السابق ٢٩٩

(١٠) المصدر السابق ٣٨٩

نلفت النظر إلى ملاحظة نقدية لابن سلام ، إذ لاحظ أن الشاعر قد يكون مشهورا عند العامة وأقل شهرة عند العلماء لأن الرقة والعدوبة والرشاقة تعجب الناس ، بينما يهتم العلماء بالجزالة والفخامة والمتانة والمعنى البعيد .

فالفَرَزْدَق كان يداخل الكلام — وكان ذلك يعجب أصحاب النحو^(١) وكان يونس بن حبيب يقدمه بغير إفراط ، والمفضل الراوية يقدمه تَقْدِمةً شديدة^(٢) .

وابن سلام نفسه كان يفضل^(٣) ويقول عنه إنه أكثرهم بيتا مقلدا أى بيتا مستغنيا بنفسه ، مشهورا يضرب به المثل^(٤) بينما كان أهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب^(٥) لركة كانت فى شعر جرير وحلاوة حَوْتُهُ فجعلته أيسر وعلى الناس أسهل ، وبيت النسيب عند أهل البادية : (إن العيون التى فى طَرْفِهَا مَرَضٌ ...) له وبيت الهجاء عندهم بيته القائل (فَغُضُّ الطَّرْفِ إنك من نُمَيْرٍ) ، وفى المديح بيته (أَلستم خير من ركب المطايا) ، وفى الفخر بيته « إذا غَضِبْتُ عليك بنو تميم »^(٦) .

فذوق العامة يختلف عن ذوق الخاصة ، والعلماء يرون ما يراه الناس ولكنهم يطلبون من الشعر والشاعر غير ما يطلبه منهما عامة الناس ، لذا اختلفت وجهتها النظر — وهى دائما مختلفة .

ونترك الحديث عن طبقات الإسلاميين بعد أن نشير إلى دقة ابن سلام فى تقبل الأخبار التى يرويها فهو لا يتقبل النص الأدبى على علاته ، بل يحصه ويناقش جوانبه التى يهتمها .

ففى الملاحاة التى قامت بين الجحاف السُّلَمى والأخطل ، حين ثارت ، قبيلتهما فأغار الجحاف على البشر ، وهى منازل تغلب ، فأسرف فى القتل ، فيهم فاستخذى الأخطل وقال شعرا فأجابه الجحاف :

(١) المصدر السابق ٣٦٤

(٢) المصدر السابق ٢٩٩

(٣) المرزبانى : الموشع ١٨٦

(٤) الطبقات : ٣٦١

(٥) المصدر السابق ٣٧٥

(٦) المصدر السابق ٣٧٩

أبا مالك هل لَمَتْنِي مذ حَضَضْتَنِي . على القَتْل ؟ أم هل لامني لك لائم
يقول ابن سلام : وقال لي أبان الأعرج : أدرك الجحاف الجاهلية ، فقلت
له : لم تقول ذلك ؟ قال لقوله :

شهدن مع النبي مُسَمَّوَاتٍ حُنيًا ، وهى ذامية الكَلَام
تُعَرِّضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وجوها لا تُعَرِّضُ لِلطَّامِ

فقلت له : إنما عَنَى خَيْلُ قَوْمِهِ بنى سليم . وذكرت ذلك لعبد القاهر بن
السَّرِيِّ ، فقال : جَدَّى قيس بين الهيثم أعطى حكيم بن أمية جارية ولدت له
الْجَحَّافُ في غرفة في دارنا — لأحسبه إلا قال : رأيتها (١) . وكذا في خبر أسر
أبي عزة الجمحي (٢) .

ونشير أيضا إلى عدم خضوعه لشهرة الشاعر وُبُعْد صِيتِه يقول :
وكان الأخطل مع مهارته وشعره يُسْقَط ، كان مدح سِمَاكَكَ الأسدي — وهو
الهالكى بن عمير بن عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقبون القُيُون ، ومسجد سِمَاكَ
بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ، فخرج أيام علي هاربا فَلَحِقَ بالجزيرة فمدحه
الأخطل فقال :

نِعَمَ الْمَجِيرُ سِمَاكَكَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بِالْمَرْجِ إِذْ قَتَلْتَ جِيرَانَهَا مُضَرُّ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُ قِينَا وَأَبْوَهُ فَالْيَوْمَ طَيْرٌ عَنْ أَثْوَابِهِ الشَّرُورُ
إِنَّ سِمَاكَكَ بَنِي مَجْدَا لِأَسْرَتِهِ حَتَّى الْمَمَاتِ وَفَعَلَ الْخَيْرَ يُتَتَدَّرُ

فقال سِمَاكَكَ : يا أخطل ، أردت مديحي فهجوتني ، كان الناس يقولون قولا
فحققته ، فَلَمَّا هَجَا سويدا قال له سويد ، يا أبا مالك ، والله ما تحسن أن تهجو
ولا تمدح ، لقد أردت مدح الأسدي فهجوته ، يعنى قوله (قد كنت أحسبه
قينا) وأردت هجائي فمدحتني ، جعلت وائلا كلها حَمَلْتَنِي أمورها وما طمعت
في بني ثعلبة فضلا عن بكر فزدتني تَغْلِبَ (٣) .

(١) الطبقات ٤٨١ و ٤٨٢

(٢) ابن سلام — الطبقات ٢٥٥ . يقول ابن سلام : حدثني أبان بن عثمان وهو قول ابن اسحاق : أن أبا
عزة أسر يوم أحد . فقال : يا رسول الله من عَلى ! فقال النبي ﷺ لا تمسح عارضيك بمكة . تقول :
خدعت محمدا مرتين فقتله فذَكَرْتُ ذلك لابن جعدية فقال : ما أسر يوم أحد هو ولا غيره ، ولقد كان
المسلمون يومئذ في شغل عن الأسر ولم ينكر قتله .. الخ .

(٣) ابن سلام : الطبقات ٤٦٩

قد تكون هذه الإشارة مجالها الفصل التالى ، فلها حديث آخر . وستُقرَن إلى
موضوع آخر ، وكفانا هنا أن نقدم الطبقات الإسلامية التى ذكرها ابن سلام فى
كتابه مغتتمين ، قِيَمَها النقدية وأخبارها الأدبية الغزيرة .
وإذا قَصَرنا فى عرض بعض جوانب الطبقات الإسلامية أو غيرها فقد تركناها
عمدا لنعالجها فى مكان آخر .

سادسا : رأى فى الطبقات

ليس أسلوب الكاتب هو ألفاظه وما يلازمها من إطناب أو إيجاز ، لأن الألفاظ ليست سوى عنصر من عناصر أسلوب الكاتب تسبقها خطوات أخرى .
فإعداد الكاتب نفسه علميا مع الاستفادة مما يتعلمه يعتبر أولى الخطوات المكونة لأسلوب الكاتب .

وابن سلام « أراد أن يقيم الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، وأن يقرر القضايا النقدية التى رسخت بين صفوف المشتغلين بالأدب والنقد فى عصره » فكان أسلوبه أن تثقف ثقافة واسعة وتلقى تلقيا واسعا ، وتوَّع معارفه وكثَّر تجاربه العلمية ، ولما اطمأن إلى قدرته على توصيل آرائه النقدية تصدى للكتابة .

فأسلوبه إعداد للموضوع ، ثم اختيار الهيكل العام لهذا الموضوع ، وكانت فكرة « الطبقات » هى القلب التى صب ابن سلام فيها أفكاره المتعددة وأخباره الأدبية وأحكامه النقدية .

وحينما اصطدم بعامل الزمن جعل المخضرمين مُلَحِّقِينَ بالجاهليين لشعوره بعدم وجود الفوارق الملموسة ، ثم ثَنَّاها بطبقة الإسلاميين ووجد أيضا أن هناك شعراء تسبب وجودهم فى بيئة معينة فى فرض غرض شعرى معين عليهم ، فشعراء مكة والمدينة حينما أدركهم الإسلام فرض عليهم أن ينصروه أو يعادوه ، ولاحظ كذلك أن نوازع المنافسة والحرب والتحدى وروح العصبية التى لها النصيب الأكبر فى تحريك مشاعر الشاعر ، قد خفت حدتها فى بيئات واحتدت فى بيئات ، فأثرت على النتاج الأدبى ، عموما ، ولاحظ أن بعض الشعراء قد وقعوا تحت تأثيرات نفسية أليمة جعلتهم يستريحون للون معين فى القول ، بينما وجد أن اليهود كان لهم شعراء وأن شعرهم قد اقترب بشدة من شعر العرب .

أقول : ارتضى ابن سلام بفكرة الطبقات وسيلة للتعبير عن غرضه . وهو لم يذهب بعيدا ، فالظروف الاجتماعية حوله قائمة على « الطبقات » من الخليفة الى آخر فئة من الشعب ، ولم تكن طبقات مرنة تؤدى بعضها إلى بعض بل كانت

كلها مغلقة ولا تسمح بانتفاء الغريب اليها إلا في ظروف خاصة وتحت ظروف غير طبيعية .

فالأجير لن يكون سيّدا ، والمولى لن يكون حراً ، والمزارع الفقير لن يكون إقطاعياً ، والوزراء والكتاب لن ينحدروا فيصبحوا من عامة الشعب ، وهكذا لاصعود إلا بصعوبة ، ولا هبوط إلا بكوراث وانقلابات وقلما تكون .

وإذا ترك ابن سلام هذا الواقع الطبقي الاجتماعي الذي يعيش فيه فعنده الفكرة الطبقيّة الدنيّة التي جعلت إيمان المسلمين في طبقات ، فالمهاجرون الأولون مفضلون بعد عمر بن الخطاب ثم بعدهم أهل العقبة ثم أهل المشاهيد مشهود مشهداً ، وأهل كل مشهد أفضل من المشهد الذي بعده حتى يبلغ الأمر إلى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان مشهود له بالإيمان وحسن المال .

فهذه طبقات من طبيعتها أنها مغلقة على أهلها ومن غير المعقول أن يكون الرجل الواحد ممثلاً في طبقتين في نفس الوقت .

وفي رجال الأحاديث النبوية الشريفة وجدت الطبقات في الأخذ ، فهناك الصحابة الراشدون المخلصون ثم التابعون ثم تابعو التابعين ، ثم تابعو تابعي التابعين ، إلى أن ينتهي الأمر إلى العلماء الموثوق بهم الموكول إليهم القول الفصل في الأحاديث من حيث الراحة وعدمها ، وهذه طبقات مغلقة أيضاً على أهلها ولا تسمح بخروج أحد من طبقته إلى طبقة أخرى لأنه شيء خارج عن إرادة الأعضاء المكونين للطبقات أنفسهم ، فالتابعون كانوا يودون أن يكونوا صحابيين ولكن لاحتلة لهم والعلماء كانوا يتمنون أن يكونوا تابعين ولكن لاحتلة لهم وكذا كان الأمر .

فالمحدثون أيضاً طبقات من حيث الأمانة وقوة الذاكرة والمشاهدة والإيمان والدقة والنزاهة ، أي من حيث السلامة النفسية والدنية والدنية لأنه يوجد بجانبهم محدثون فيهم نظر ، كما يقول البخاري العظيم ، وهم طبقات من حيث هذه السلامة الدنية البدنية النفسية ، وذلك لأنهم يجوبون في مجال محدود ، وهو

أحاديث رسول الله ﷺ ، فالطبقات التي وُضِعُوا فيها محدودة ، سياجها متين والموضوع المشتغلون به أيضا محدود ، فكانت الطبقات .

وأخذ عنهم ابن سلام نظامهم وطبقه على الشعراء ، فما حدث ؟

حدث أنه ألزم نفسه بأربعة رهط لكل طبقة وجعل الطبقات عشرة ، وحدث نقض لفكرة الطبقات لأنه يجب ألا يخرج من الطبقة طبقة . ولكن ابن سلام أخرج من طبقة الشعراء الجاهلين طبقة أصحاب المراثي وطبقة شعراء القرى وطبقة شعراء اليهود ، وبهذا أصبحت طبقة الشعراء الجاهلين لا هي معلقة ولا هي مفتوحة ، لاننا لانستطيع أن نقول أنها أغلقت والطبقات التي تليها منها في حقيقة الأمر . ولانستطيع أن نقول إنها مفتوحة لأن قاعدة الطبقات عشر طبقات وهي كاملة العدد .

وأقصد بالطبقات المفتوحة ، الطبقات المرنة غير المحددة بعدد من الشعراء والتي تسمح بإمكان انتهاء الشاعر لها ولغيرها بلا إجحاف ولا ضير .

وهذه الطبقات يجب أن ترتبط بأشكال كلية بعيدة عن الجزئيات ، والأشكال الكلية بالنسبة للشعر — هي الأغراض الكبرى كالمدح والثناء والوصف وغيرها ، أو الدين كجاهلية ، أو إسلام أو العصر أموية أو عباسية ... الخ أو الشكل المكاني البيئي ؛ كبيئة العراق أو بيئة الشام وهكذا ...

الشكل الطبقي هنا ليس تسلسليا منقطعا لكنه شكل تجميعي متصل يجمع صفات عامة ، توافرت في جماعة من الشعراء فوحدتهم ولم تمنح فروقهم الفردية وإمكاناتهم الشخصية ، وبهذا نستطيع أن نجعل الشعراء الوصافين طبقة ونضع فيها الشعراء الذين حكم عليهم النقاد بأنهم متفوقون في الوصف لمظاهر الطبيعة أو لنزعات البشر أو لوصف الحيوان أو للطيور أو غيرها وكذا نستطيع أن نجعل للهجائين طبقة وللمداحين طبقة وللغزلين طبقة بلا تحديد لعدد الطبقة وبلا غلق للطبقة على أعضائها .

وهذه الطريقة ستسمح للطبقة للشاعر أن ينطوى تحتها وتحت غيرها إذا كان متفوقا في أكثر من غرض شعري . بالإضافة إلى أنها ستحمينا من الوقوع في بلبلة

الاضطراب من حيث التحديد ، وفي أيدينا أن نشكلها كيفما استطعنا من حيث الزمان أو المكان أو الفن الشعري نفسه . ونحن نقسم الشعراء هذا التقسيم سنلاحظ أنهم سينقسمون إلى شاعر متفوق وشاعر متوسط وشاعر ضعيف أو سينقسمون إلى شاعر وشويعر وشعرور .

فالنظام الطبقي هنا ، نظامٌ يصف ولا يحدد ، نظامٌ يميز في أشكال ولا يدخل في دوائر ، نظامٌ الشاعر فيه هو المحور وليست الطبقة هي المحور ، والأساس فكرة عامة لها مثل عليا وتقاليد مرعية ، وعن طريقها تفاضل بين شعراء الطبقة الواحدة في فن الهجاء أو المدح أو التغزل أو الفخر أو غيرها من الأغراض .

وهذه الفكرة ممثلة بوضوح في كتاب الطبقات لابن سلام ، فقد جعل طبقة تميز شعراؤها بالأجادة في فن معين حتى شهِرُوا به . وهم أصحاب المراثي « متمم ابن نويرة ، والخنساء بنت عمرو ، وأعشى باهلة وكعب بن سعد » وكونهم في طبقة واحدة لم تمنع ابن سلام من أن يقرر أن المقدم عليهم متمم ابن نويرة^(١) وكون طبقة ثانية تميز شعراؤها بأنهم عاشوا في بيئة واحدة وتأثروا بمؤثراتها المختلفة فأخذ كل شاعر نصيبه من أثر البيئة . فلاحظ ابن سلام ، أن القرى العربية كلّها تعتبر بيئة واحدة من حيث عريتها وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والانقلابات الفكرية بها ، فجعلها طبقة منفردة مقسمة إلى جزئيات عبارة عن بيئات صغيرة مكونة في مجموعها البيئة الكبيرة . ولم ينس في الطبقة الواحدة الجزئية أن يفاضل بين شعرائها ، ويقول شعراء المدينة أفضلهم حسان بن ثابت^(٢) ، ويفاضل بين ابن الزُّبَيْرِ وبين ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة في الغزل وهم من شعراء مكة^(٣) .

وكون طبقة ثالثة تميز شعراؤها بأنهم جميعا ذو دين سماوي واحد وهم شعراء يهود ، وكون طبقة رابعة من الشعراء جمعت بين الشعر والفروسية واشتهروا بالشعراء الفرسان ، وهذه الطبقة التي يحدثنا عنها صاحب الأغاني حين ذكر دريد بن

(١) ابن سلام : الطبقات ٢٠٣ و ٢٠٤

(٢) المصدر السابق ٢١٥

(٣) المصدر السابق ٦٤٨

الصِّمَّةُ وقال : جعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان^(١) وكذا خلف بن
ثُدْبَة ، وقال عنه : جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن
نويرة مع ابني عَمِّه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ، ومالك بن حمار
الشمخى^(٢) ، فهو قد جعلهم طبقة مفردة للميزة التي امتازوا بها ، وفاضل بينهم
وبين دريد بن الصمة حيث جعله أولهم في الطبقة .

وَكَوَّنَ طبقة خامسة من الشعراء تميزت بإجادة الرجز — حيث لاحظ ابن
سلام أن الشعر العربي بدأ بالبيت وبالاثنين وبالأرجوزة ، ونما البيتان وطالا حتى
نهزت القصيدة وبقيت الأرجوزة كما هي ، وبرَّعَ فيها طائفة من الشعراء فجعلهم
طبقة . وهي الطبقة التاسعة من الشعراء الأسلاميين وهم الأغلب العجلى وأبو
النَّجْم ، والعجاج ورؤبة بن العجاج ، ويقول عنهم وهم رُجَّازٌ وعن الأغلب العجلى
يقول : وكان مقدما من أول من رجز^(٣) أى أنه فاضل بينهم بالرغم وجودهم في
طبقة منفردين^(٤) .

وكون طبقة سادسة تميز شعراؤها بنزعتهم الشخصية إلى فن التشبيب ،
وساعدتهم بيئتهم وظروفها على ذلك ، وهم عبد الله ابن قيس الرقيات والأحوص
وجميل ونصيب^(٥) وينص على أنهم مشبيون وليسوا غزليين ويُخرج منهم كثيرا لأنه
لم يكن عاشقا وكان يَتَقَوَّلُ^(٦) .

(١) الأغاني : ط ساسى ٢/٩

(٢) الأغاني : ط ساسى ١٣٤/١٦

(٣) ابن سلام : الطبقات ٧٣٧

(٤) يقصد ابن سلام من كون الأغلب العجلى أول من رجز ، أنه المتقدم على من رجز من زملائه الشعراء ،
لا كما فهم البعض من أنه أول من قال الشعر رجزا ، فليس ابن سلام الذى يذهب إلى هذا ، وتاريخ
الشعر العربى بين يديه يمنع من الوقوع فى مثل هذا الزلل .

(٥) ابن سلام : الطبقات ٦٤٧

(٦) ابن سلام : الطبقات ٥٤٥

الفصل الثالث

ابن سَلَّام في العصر الحديث

أولا : أزمة الثقة بالشعر الجاهلي وموقفها من كتاب « الطبقات » لابن سلام .

ثانيا : موقف نُقَّاد طه حسين من « الطبقات لابن سلام »

ثالثا : مؤرخو النقد الأدبي وكتاب « الطبقات »

أولا : أزمة الثقة بالشعر الجاهلي وموقفها من كتاب ابن سلام :

ظهر كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ مصطفى صادق الرافعي في سنة ١٩١١م ويقع في ثلاثة أجزاء ، ومن يتصفح الكتاب يلحظ أن المؤلف اعتمد على كتاب "العمدة" لابن رشيق القيرواني ولم يذكر ابن سلام إلا عَرَضًا ومرة واحدة في الجزء الثالث (ص ٣٠٦) ، وقد يرجع ذلك إلى سنة تأليف الكتاب وهي سنة ١٩٠٩م كما تقول المقدمة (ص ل) وظهوره سنة ١٩١١م لم تكن قد ظهرت بعد طبعة يوسف هِلّ لطبقات الشعراء التي كانت سنة ١٩١٦م .

وقد خص الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الرواية والرواة بباب كامل من الجزء الثالث نيفت صفحاته على مائة وخمسين^(١) وحشد مادة عظيمة لم فيها شتات الموضوع من أطرافه واستقصاه استقصاء .

وسنقف عند حديثه عن « وَضْع الشعر » وقفة. نلم فيها بما يَبْنِيه من بواعث على وضع الشعر ، وسنحاول أن نرتبها هنا في نَسَق ، وكان قد أرسلها في كتابه إرسالا .

١ — تَكْثُر القبائل : لتعاض عما فقدته ، بعد أن راجعت الرواية ، وبخاصة القبائل التي قَلَّتْ وَقَائِعُهَا وأشعارها ، وكانت أولًاها قبيلة قريش ، فقد وضعت لحسان بن ثابت أشعارا كثيرة^(٢) .

٢ — شعر الشواهد^(٣) : وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع ، لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو .: شعر الشواهد في اصطلاح الرواة على ضربين ، « شواهد القرآن » و « شواهد النحو »^(٤) .

والكوفيون أكثر الناس وضعًا للأشعار التي يُسْتَشْهَدُ بِهَا لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولا يقاس عليها قال الأندلسي في

(١) الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٧٧ — ٤٣٤

(٢) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٦٥ — ٣٦٧

(٣) المصدر السابق ٣٦٨

(٤) المصدر السابق ٣٦٩

شرح « المفصل » ، والكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا بؤبؤا عليه بخلاف البصريين^(١) ولهذا وأشباهه اضطر الكوفيون إلى الوضع فيما لا يجدون له شاهدا ، إذا كانت العرب على خلافهم .

(ب) الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين يولّدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم^(٢) .

وقد أورد ما ذكره ابن قتيبة في « التأويل » من أنهم ذهبوا إلى أن معنى « كرسى » في قوله تعالى « وَسِجْ كَرْسِيَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » (البقرة — ٢٥٥) هو العلم وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف ، وهو قول الشاعر : (ولايكرسى) علم الله مخلوق .

(ج) الشواهد على الأخبار : فلما كثرت القصاصون وأهل الأخبار اضطروا من أجل ذلك أن يصنعوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير حتى يلائموا بين رقعتي الكلام ، وليحدروا تلك الأساطير من أقرب الطرق إلى أفئدة العوام ، فوضعوا من الشعر على آدم ، فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ ، وأول من أفرط في ذلك محمد بن اسحاق^(٣) ثم ذكر أن مما يدخل في هذا الباب شعر الجن وأخبارها^(٤) .

٣ — الاتساع في الرواية : وهو سبب من أسباب الوضع يقصد به إلى فحول الرواة أن يتسعوا في روايتهم فيستأثروا بما لا يحسن غيرهم ، ولذا يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها ، ويزيدون في قصائدهم التي تعرف لهم ويدخلون من شعر الرجل في شعر غيره ثم يمثّل على ذلك بحماد الرواية وخلف الأحمر . هذا ما كان من مجهود الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حيال موضوع الشعر المصنوع من جانب ، وحيال كتاب ابن سلام من جانب آخر .

وفي سنة ١٩٢١ ظهرت دراسة للأستاذ أحمد ضيف وهي « مقدمة لدراسة بلاغة العرب » ، أو محاولة التعريف بالبلاغة عند الأوربيين والعرب ولم نجد فيها ذكرا

(١) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٧٠

(٢) المرجع السابق ٣٧٣

(٣) المرجع السابق ٣٧٥

(٤) المرجع السابق ٣٧٩

لابن سلام ، والفقرة التى تتصل بتاريخ النقد فى الكتاب تقول : إن كل ما وجد من النقد هو أفكار فردية وآراء لبعض كبار الأدباء المنشورة ، وتراجهمهم ، ومن أراد أن يطلع على ذلك فليراجع مقدمة « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ومقدمة « جمهرة أشعار العرب » لابن أبى زيد الخطاب وترجمة النابغة الذبياني فى الأغاني وغيره من فطاحل الشعراء كجبرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم (١) .

وفى هذه الدراسة عالج الأستاذ أحمد ضيف أشكال الشعر المصنوع فيقول عن الرواية فى الحديث : « أنها وصلت إلى أعلى درجات الدقة والاتقان ثم يتساءل هل هذه العناية بنفسها وجدت فى رواية الشعر ؟ ويجب : هذا مالا يمكن الجزم به بدليل مانسب إلى الرواة ، وبدليل مانراه من الاختلاف فى ذلك فإن بعض الأشعار لا يزال قائلها مجهولا ، ولكن لا يذهب فى الأمر إلى غايته ، يقول : إذا اتبعنا الطرق العلمية المحضنة التى تقول إنه لا يصح الجزم بشيء إلا إذا ثبت بدليل قطعى ، فلا يصح التصديق بذلك تصديقا تاما لا يحتمل عدم الصحة ، وأما إذا نظرنا بنظرة المتساهل الذى يحسن الظن ، ولا يقيد نفسه بالقواعد والقوانين العلمية ، فإننا لانجارى هؤلاء فى شكهم خصوصا أنه من المستحيل أن تكون كل هذه الأشعار أو أكثرها مخترعة ، أو منسوبة إلى غير قائلها بدون سبب ولا داع إلى ذلك ، وإذا كذب الرواة أو دسوا على بعض الشعراء شيئا ، فإن ذلك لا يمكن أن يصل إلى مقدار مانعرفه من الشعر الجاهلى .

وكيف يمكن اختراع هذا الشعر الكثير وبه العبارات والأساليب مايدل على أنه بدوى صرف ، وأى أنسان يمكنه أن يحصل على هذه القدرة ليشغل وقته وينسب إلى غيره وكان أولى به أن يذكره لنفسه ليفتخر به . أنرمى كل الرواة وعلماء اللغة والأدب بالكذب ؟ أو نتهمهم بعدم الثقة ، لأن حمادا أو غيره كذب مرة أو مرتين ؟ وهل يصح أن نحكم على البلد أجمع بالمرض لأن بها إنسانا مريضا ؟ (٢) . ثم يتهم الأستاذ أحمد ضيف جماعة المستشرقين بالمبالغة فى تعقب مسألة الشعر المصنوع .

(١) أحمد ضيف : مقدمة لدراسة البلاغة ١٦٥ — الطبعة الأولى ١٩٢١ م ، مطبعة السفور بالقاهرة

(٢) أحمد صيف : مقدمة لدراسة البلاغة ٦١ ، ٦٢

أما عن المحدثين من المستشرقين فلعل مرجليوث كان من أوائل من أثار منهم الشك في الشعر الجاهلي في مقالة كاملة . ونخصص صفحاتها الكثيرة للحديث عن هذا الموضوع من جميع أطرافه . فقد نشر في مجلة الجمعية الملكية الأسبوعية بحثاً عنوانه « أصول الشعر العربي »^(١) رجع فيه إلى أن هذا الشعر العربي الذي نقرؤه على أنه شعر جاهلي ، إنما نظم في العصور الإسلامية ، ثم نحله هؤلاء الواضعون المزيفون لشعراء جاهليين .

ثم تعاوَرَ نَقَرٌ من المستشرقين الحديث عن صحة الشعر الجاهلي ، وكان أكثرهم يرد دعوى « مرجليوث » ويفند أدلته وافتراضاته .

وأولهم فيما نعرف الأستاذ « شارل جيمس ليال » الذي أشار في المقدمة التي صدر بها الجزء الثاني من المفضليات سنة ١٩١٨م إلى ما جاء به مرجليوث في مقالته المنشور في مجلة الجمعية الملكية الأسبوعية عدد سنة ١٩١١ ص ٣٩٧ وإلى ما أورده في (مَعْلَمَة الدين والأخلاق) من حديثه عن « محمد ﷺ » وما أورده في الصفحة الستين من كتابه « محمد ﷺ » سنة ١٩١٥م^(٢) .

وأما « جورجيو ليفي دالافيدا » ففي مقالته « بلاد العرب قبل الإسلام »^(٣) قد تحدث عن قيمة المصادر التاريخية لهذه الفترة وعرض في حديثه للشعر الجاهلي من حيث هو مصدر من هذه المصادر يقول « وهذا الموقف المتشكك مبالغ فيه ، فإن الرواية التاريخية عن بلاد العرب في عصورها الوسيطة « الجاهلية الأخيرة » ليست أوثق ولا أضعف من أية رواية أخرى ، عن أي عصر تاريخي يعوزنا فيه الدليل التاريخي . »

ومن هؤلاء المستشرقين من تعرض للمشكلة تعرضاً عابراً كيوسف جب Gibb وبروكلمان .

(1) The Origins poetry, journal of the Royal Asiatic society 414-419

(٢) شارل جيمس ليال : ديوان المفضليات : شرح الأنباري — المجلد الثاني — ط — بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩١٨م — المقدمة .

(3) Goirgio Levi Della Pre-islamic the Arab heritage, 41-48 (New Jersey 1944).

ثم استقر الوضع في سنة ١٩٢٦ بين يدي الدكتور طه حسين فخلق منه ما لم يعرفه القدماء ولم يقتحم المحدثون العرب السبيل إليه من قبل.

وقد رجع الدكتور طه حسين إلى طبقات ابن سلام في كتابه ■ في الأدب
الجاهلي « المعدل عن كتابه » في الشعر الجاهلي ■ صاحب الضجة وكان ذلك في
الصفحات (١٢٢ — ١٣٠ — ١٣١ — ١٣٢ — ١٣٨ — ١٥٢ —
١٥٤ — ١٥٥ — ١٥٦ — ١٥٧ — ١٥٨ — ١٧٠ — ٢١٢ — ٢١٦ —
٢٢٦ — ٢٢٧ — ٢٣٣ — ٢٤٧ — ٢٤٩ — ٢٥٠ — ٢٥ — ٢٥ ■)

وكان الرجوع إلى كتاب طبقات الشعراء فيها مسبقاً به « قال ابن سلام وما في معناها ». أما الصفحات (٨١ — ٩٢ — ٢٩١) فقد اعتمد فيها ابن سلام بدون ذكر اسمه ، أى أنه اعتمد على كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام في الكتاب الثالث والرابع والخامس من سبعة الكتب التي يتألف منها الكتاب ، وإذا أخرجنا الكتاب الأول وهو في الأدب وتاريخه — وقد زيد من أثر نشوب المعركة على كتابه في الشعر الجاهلي — يكون اعتماد الدكتور طه حسين على ابن سلام أدى به إلى تأليفه نصف الكتاب أو الجزء المهم منه ، لأن الكتاب الثاني يشرح فيه منهجه وكيف سيطبق مبدأه ، والكتاب السادس في تعريف الشعر وموقف المعاصرين منه ، ونوعه ، وفنونه ، وبخوره ، والكتاب السابع في النثر الجاهلي .

ويجدر بنا أن نقول : إِنَّ الدكتور طه حسين في سنة ١٩٢٥ ، حين نشر كتابه « حديث الأربعاء » ، قد رجع أيضا إلى طبقات ابن سلام وذلك في جزئه الأول منه ، في الصفحات (٤٢ — ١١٦ — ١٥١ — ١٧٩) .

والشوة التي ماجت بظهور هذا الكتاب سببها :

أولاً : الجنوح إلى مقدسات الأمة العربية الإسلامية ، وادخال نصوص القرآن في محاولة إثبات عملية تواطؤ كبيرة المدى ، بين القرآن والتوراة وبين الرسول واليهود ، حول قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (١) .

(١) قال الدكتور طه حسين « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن =

ثانيا : محاولة التطبيق الخاطئ لفلسفة ديكرت على الأدب العربى ، مما أدى إلى رفض المؤلف للشعر الجاهلى ، والتشكيك فيه مع قبوله لبعض القصائد بحيلة وحذر شديدين .

هاتان الفكرتان أجبجتا النيران حول الكتاب وانبرت أقلام العلماء والأدباء فى تكتل مشرف يدافعون عن الدين الإسلامى والأدب العربى .

ولايهمنا هنا إلا جانب « أسباب نحل الشعر الجاهلى » ، لأنه الموضوع الذى تعرض له ابن سلام ، لذا نجد لزاما علينا أن نلخص رأى الدكتور طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى » والذى ظهر بعد ذلك بثوب جديد باسم « فى الأدب الجاهلى » وقد حُذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت إليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير (١) .

وهو بعد أن تعرض لسبب شكه وارتياحه فى الشعر الجاهلى ، ختم حديثه بتقديم دوافع ريبته قائلا : وإن من الحق علينا لأنفسنا وللعلم ، أن نسأل : أليس هذا الشعر الجاهلى ، ثبت أنه لا يمثل حياة العرب الجاهليين ولا عقليتهم ولا ديانتهم ولا حضارتهم بل لا يمثل لغاتهم ، أليس هذا الشعر قد وضع وضعا ، وحُمِل على أصحابه حملا بعد الإسلام ؟ أما أنا فلا أكاد أشك إلا فى هذا ، ولكننا محتاجون بعد أن ثبتت لنا هذه النظرية أن نتيين الأسباب المختلفة التى حملت الناس على وضع الشعر والنثر ونحلها بعد الإسلام (٢) .

ومن أجل ذلك نراه فى (الكتاب الثالث) (يبسط أسباب نحل الشعر) بسطا أفرغ فيه كثيرا من الجهد حتى لقد وصل بنا إلى أن « كل شئ فى حياة المسلمين فى القرون الثلاثة الأولى ، كان يدعو إلى نحل الشعر ، وتلفيقه سواء فى

= ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكتفى لإثبات وجودهما التاريخى فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيهما ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى « الشعر الجاهلى — ص ٢٦ ، الطبعة الأولى ط دار الكتب القاهرة ١٩٢٦م

(١) مقدمة الطبعة الثانية : الأدب الجاهلى ١٩٢٧م — د

(٢) الدكتور طه حسين : الأدب الجاهلى ص ١١١

ذلك الحياة الصالحة حياة الأتقياء والبررة ، والحياة السيئة حياة الفسق وأصحاب
المجون (١) .

وهو يرى أن هذه الأسباب التي دعت إلى نحل الشعر ووضعه مردها إلى
خمسة أمور :

أولا : السياسة :

وهو لا يعنى السياسة بمعناها الواسع الذى نفهمه منها الآن ، وإنما يحصر مدلول
السياسة فى العصبية القبلية ، وحتى هذه العصبية لا يتحدث عنها حديثا شاملا
ولكنه يكتفى بمثالين :

١ — العصبية بين المهاجرين والأنصار أو بعبارة أصح بين قريش والأنصار (٢)
ويورد لتأييد رأيه روايتين : الأولى : ما يروى من أن عمر بن الخطاب نهى عن رواية
الشعر الذى تهاجى به المسلمون والمشركون أيام النبى — ويرى الدكتور أن هذه
الرواية نفسها تثبت رواية أخرى ، هى أن قريشا والأنصار تذاكروا ما كان قد هجا
به بعضهم بعضا أيام النبى ، وكانوا جراحاً على روايته ، ويجدون فى ذلك اللذة
والشماته ، ما لا يشعر به إلا صاحب العصبية القوية إذ وُتر أو انتصر (٣) .

ويدعم رأيه هذا بما يروون أيضا عن عمر من قوله لأصحاب النبى ، قد كنت
نهيتكم عن رواية هذا الشعر لأنه يوقظ الضغائن ، وأما إذا أبوا فاكذبوه ، ويعقب
الدكتور طه حسين على ذلك بقوله : وسواء أقال عمر هذا أم لم يقله فقد كان
الأنصار يكتبون هجاءهم لقريش على ألا يضيع (٤) .

والثانية : ما ذكر من أن ابن سلام قال : وقد نظرت قريش فإذا حظها من
الشعر قليل فى الجاهلية فاستكثرت فيه فى الإسلام ، وعقب عليه الدكتور بقوله

(١) الدكتور طه حسين : الأدب الجاهلى ١٧٣

(٢) المرجع السابق ١١٨

(٣) المرجع السابق ١٢٠

(٤) المرجع السابق ١٢١

« وليس من شك عندى فى أنها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذى يُهَجى فيه الأنصار » (١) .

٢ — وأما المثال الثانى فهو لا يورده فى هذا الفصل الذى عقده عن العصبية القبلية ، وإنما ينثره فى الكتاب الذى يليه ، حين يتحدث عن امرئ القيس وشعره فيقول : « ونحن نذهب هذا المذهب نفسه فى تفسير هذه الأخبار والأشعار التى تمس تنقل امرئ القيس فى قبائل العرب ، فهى محدثة ، نُحِلَّت حين تناقشت القبائل العربية فى الإسلام ، وحين أرادت كل قبيلة ، وكل حى أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن » (٢) .

ولم يكتف الدكتور بذلك ، بل قال : « نحن لانقف عند استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها ، وإنما نستخلص منها قاعدة علمية ، وهى أن مؤرخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذى يسمى جاهليا ، أن يشك فى صحته كلما رأى شيئا من شأنه تقوية العصبية أو تأييد فريق من العرب على فريق .

ويجب أن يشتد هذا الشك كلما كانت القبيلة أو العصبية التى يؤيدها هذا الشعر قبيلة أو عصبية قد لعبت كما يقولون — دورا فى الحياة السياسية للمسلمين (٣) :

ثانيا : وهو يُدخِل فى باب الدين ما يلى من الأمثلة :

١ — يقول « فكأن هذا النحل فى بعض أطواره يقصد به إثبات صحة النبوة وصدق النبى — وكان هذا النوع موجه إلى عامة الناس ، وأنت تستطيع أن تحمل على هذا كل ما يروى من هذا الشعر الذى قيل فى الجاهلية ممهدا لبعثة النبى ، وكل ما يتصل بها من الأخبار والأساطير التى تروى لتقنع العامة ، بل علماء العرب ، وكهائنهم وأخبار اليهود ورجال النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبى عربى يخرج من قريش أو من مكة ، فى سيرة ابن هشام وغيرها من كتب التاريخ

(١) المرجع السابق ١٢٢

(٢) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى ٢٠٠

(٣) المرجع السابق ١٣٢

والسير والضروب كثيرة من هذا النوع (١) .

٢ — ويقول « وأنت تستطيع أن تحمل على هذا لونا آخر من الشعر المنحول لم يُضَفَّ إلى الجاهليين من عرب الأنس ، وإنما أضيف إلى الجاهليين من عرب الجن (٢) والغرض من هذا النحل — فيما نرجح — إنما هو إرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء ، ولا يكرهون أن يقال لهم : إن من دلائل صدق النبي في رسالته أنه كان مُنْتَظَرًا قبل أن يجيء بدهر طويل ، تحدث بهذا الانتظار شياطينُ الجن وكَهَّانُ الأنس (٣) .

٣ — ويقول « ونوع آخر من تأثير الدين في نحل الشعر ، وهو الذي يلجأ إليه القصاص لتفسير ما يجدونه مكتوبا في القرآن من أخبار الأمم القديمة البائدة » كعاد وثمود ومن إليهم ، فالرواة يضيفون إليهم شعرا كثيرا وقد كفانا ابن سلام نقده وتحليله حين جد في «طبقات الشعراء» في إثبات أن هذا الشعر وما يشبهه مما يضاف إلى تَبَعٍ وَجَمِيرٍ موضوع منحول وضعه ابن إسحق ومن إليه رمن أصحاب القصص (٤) .

٤ — ويقول « ونوع آخر من تأثير الدين في نحل الشعر ، وأضافته إلى الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش (٥) .

٥ — ونوع آخر من تأثير الدين في نحل الشعر ، وذلك حين ظهرت الحياة العلمية عند العرب بعد أن اتصلت الأسباب بينهم وبين الأمم المغلوبة فأرادوا هم أو الموالي أو أولئك وهؤلاء ، أن يدرسوا القرآن درسا لغويا ويثبتوا صفة ألفاظه ومعانيه ، ولأمرٍ ما شعروا بالحاجة إلى إثبات أن القرآن كتاب عربي مطابق في ألفاظه للغة العرب فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب ، يثبت أن هذه الكلمة القرآنية عربية لا سبيل إلى الشك في عربيتها (٦) .

(١) المرجع السابق ١٣٣

(٢) المرجع السابق ١٣٣

(٣) الدكتور طه حسين : في الأدب الجاهلي ١٣٥

(٤) المرجع السابق ١٣٨

(٥) المرجع السابق ١٣٥

(٦) المرجع السابق ١٣٨

٦ — وهناك نوع جديد من تأثير الدين في نحل الشعر « فهذه الخصومات بين العلماء كان لها تأثير غير قليل في مكانة العالم وشهرته ... ومن هنا كان هؤلاء العلماء حِرَاصاً على أن يظهروا دائماً بمظهر المنتصرين في خصوماتهم ... وأى شيء يتيح لهم هذا ، مثل الاستشهاد بما قالته العرب قبل نزول القرآن ؟ ... وهم مجمعون على أن هؤلاء الجاهليين الذين قالوا في كل شيء ، كانوا جهلة غلاظا فظاظا ، أفترى إلى هؤلاء الجهال الغلاظ يستشهد بجهلهم وغلظتهم على مآنتهم إليه الحضارة العباسية من علم ودقة فنية ؟ المعتزلة يثبتون مذاهبهم بشعر العرب الجاهليين ، وغير المعتزلة من أصحاب المقالات ينقضون آراء المعتزلة معتمدين على شعر الجاهليين ، ولأمر ما كان البدع في العصر العباسي عند فريق من الناس أن يردوا كل شيء إلى العرب حتى الأشياء التي استحدثت أو جاء بها المغلوبون من الفرس والروم وغيرهم (١) .

٧ — ويعرض لما يروون من وجود أفراد قبل الإسلام كانوا يحتفظون بالحنيفية دين إبراهيم وكان في أحاديثهم ما يشبه الإسلام فيقول : « فأحاديث هؤلاء الناس وضعت لهم ، وحملت عليهم بعد الإسلام . لا الشيء إلا ليثبت أن للإسلام في بلاد العرب قُدْمة وسابقة ، على هذا النحو تستطيع أن تحمل كل ما تجد من هذه الأخبار والأشعار والأحاديث التي تضاف إلى الجاهليين والتي يظهر بينها وبين ما في القرآن والحديث شبه قوى أو ضعيف (٢) .

٨ — ثم يتحدث عن المسيحية واليهودية فيقول « وائس من المعقول أن ينتشر هذان الدينان في البلاد العربية دون أن يكون لهما أثر ظاهر في الشعر العربي قبل الإسلام ، وقد رأيت أن العصبية العربية حملت العرب على أن ينحلوا الشعر ويضيفوه إلى عشائريهم في الجاهلية بعد أن ضاع شعر هذه العشائر ، فالأمر كذلك في اليهود والنصارى تعصبوا لأسلافهم من الجاهليين وأبوا إلا أن يكون لهم شعر كشعر غيرهم من الوثنيين ، وأبوا إلا أن يكون لهم مجد وسؤدد كما كان لغيرهم مجد وسؤدد أيضا ، فنحلوا كما نحلوا غيرهم ، ونظموا شعراً أضافوه إلى السموعل بن عادياض وإلى عدى بن زيد ، وغيرهما من شعراء اليهود والنصارى (٣) .

(١) الدكتور طه حسين : في الأدب الجاهلي ١٣٩ — ١٤٠

(٢) المرجع السابق ١٤١ — ١٤٢

(٣) المرجع السابق ١٤٦ — ١٤٧

ثالثا : القصص :

وقد عَرَضَ للقصص والقصاصين غير مرة فيما سبق من فصول ، ولكنه في هذا الفصل يَخَصُّ القصص والقصاصين بالحديث كُلِّهِ ، وبعد أن يتحدث عن نشأة القصص ، وقيام طائفة القصاصين يقول « وأنت تعلم أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعية ، إذا لم يُزَيَّنْ الشعر من حين إلى حين ... وإذن فقد كان القَصَّاص أيام بنى أمية وبنى العباس في حاجة إلى مقادير لا حُدَّ لها من الشعر يزينون بها قَصَصَهُمْ وَيَدْعُمُونَ بها مواقفهم المختلفة فيه . وهم قد وجدوا من هذا الشعر ما كانوا يشتهون ، وفوق ما كانوا يشتهون ، ولا أكاد أشك في أن هؤلاء القَصَّاص لم يكونوا يستقلون بقصصهم ، ولا بما يحتاجون إليه من الشعر في هذا القصص وإنما كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها ، وآخرين ينظمون لهم القصائد وينسقونها . ولدينا نص يبيح لنا أن نفترض هذا الفرض . فقد حدثنا ابن سلام أن ابن اسحاق كان يعتذر عما يَروى ، من غُثَاء الشعر فيقول : « لا علم لي بالشعر إنما أوتى به فَأَحْمِلُهُ » فقد كان هناك قوم أذُنُ يأتون بالشعر وكان هو يحمله ، فمن هؤلاء القوم ؟ أليس من الحق لنا أن نتصور لنا أن هؤلاء القَصَّاص ، لم يكونوا يتحدثون إلى الناس فحسب ، وإنما كان كل واحد منهم يشرف على طائفة غير قليلة من الرواة والملفقين ومن النُّظَّام والمنسِّقين ، حتى إذا استقام لهم مقدارٌ من تلفيق أولئك وتنسيق هؤلاء طبعوه بطابعهم ونفخوا فيه من روحهم وأذاعوه بين الناس^(١) . ثم يَخَصُّ بالذكر ثلاثة ضروب من القَصَص : قَصَص لتفسير طائفة من الأمثال والأسماء والأمكنة^(٢) وقَصَص المعمرين وأخبارهم^(٣) وقصص أيام العرب وأخبارها^(٤) .

(١) في الأدب الجاهلي ١٥١ — ١٥٢

(٢) المرجع السابق ١٥٦

(٣) المرجع السابق ١٥٧

(٤) المرجع السابق ١٥٨

رابعاً : الشعوبية :

ثم يتحدث عن الخصومة بين العرب والموالي في الإسلام فيقول : « أما نحن فنعتقد أن هؤلاء الشعوبية قد نحلوا أخباراً وأشعاراً وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين ، ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار ، بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظرهم إلى النحل والإسراف فيه^(١) ويقول : كانت الشعوبية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغض منهم وكان خصوم الشعوبية ينحلون من الشعر ما فيه ذؤدّ العرب ورفع لأقذارهم^(٢) .

ثم يعيد ما أشار إليه عند حديثه عن الدين فيقول « ونوع آخر من النحل دعت إليه الشعوبية ، تجده بنوع خاص في كتاب « الحيوان » للجاحظ وما يشبه من كتب العلم التي ينحو بها أصحابها نحو الأدب العربي القديم ... ذلك أن الخصومة بين العرب والعجم ، دعت العرب وأنصارهم إلى أن يزعموا أن الأدب العربي القديم لا يخلو أو لا يكاد يخلو من شيء تشتمل عليه العلوم المحدثّة فإذا عرضوا الشيء مما في هذه العلوم الأجنبية فلا بد من أن يثبتوا أن العرب ألبوا به وكادوا يعرفونه ويلمون به^(٣) .

خامساً : الرواة :

والرواة في رأيه بين اثنتين « إمّا أن يكونوا من العرب ، فهم يتأثرون بما كان يتأثر به العرب ، وإمّا أن يكونوا من الموالي ، فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالي ، من تلك الأسباب العامة ، وهم على تأثرهم بهذه الأشياء العامة متأثرون بأشياء أخرى ، هي التي أريد أن أقف عندها وقفات قصيرة ، ولعل أهم هذه المؤثرات التي عشت بالأدب العربي وجعلت حظه من الهزل عظيماً ، مجون الرواة وأشرافهم في اللهو والعبث وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى ما ياباه الدين وتنكره الأخلاق »^(٤) .

(١) في الأدب الجاهلي ١٦٠

(٢) المرجع السابق ١٦٧

(٣) المرجع السابق ١٦٧

(٤) المرجع السابق ١٦٨

ثم يتحدث عن حماد وخلف وأبي عمرو الشيباني ، وبعد أن يعرض ما يُروى من مُجونهم ووضْعهم الأشعار يقول « وإذا فسدت مروءة حماد وخلف وأبي عمرو الشيباني ، وإذا أحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والنحل لكسب المال ، والتقرب إلى الأشراف والأمراء ، والظهور على الخصوم والمنافسين ، ونكاية العرب ويقول : « إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف » كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء ... وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء ليس من شك في أنهم كانوا يتخذون النحل في الشعر واللغة وسيلة من وسائل الكسب ، وكانوا يفعلون ذلك في شيء من السخرية والعبث ، نريد بهم هؤلاء الأعراب الذين كان يَرْتَجِلُ إليهم في البادية رُواة الأمصار يسألونهم عن الشعر والغريب (١) . »

(١) الدكتور طه حسين : في الأدب الجاهلي ١٧١ - ١٧٢

ثانيا موقف نقاد « في الشعر الجاهلي » من طبقات الشعراء لابن سلام

كان موقفا جديرا بالاحترام حقا ، أهلاً بكل تقدير ، فضلا عن البحث والدراسة والتقييم ، انبرى العلماء والفقهاء والكتاب ، كُلُّ بقدر مأوتى من ثقافة علمية أو دينية ، وفي ثورة تارة ، وتعقل تارة ... ، وبعد خطوب وأحداث ، وكلام وعتاب وخصام ، هدأت العاصفة وتغير اسم الكتاب من « في الشعر الجاهلي » إلى « في الأدب الجاهلي » ورفع منه فصل ، ووضع فصول ، وانتهى الأمر بالنسبة للقضية . وجاء دور النقد .

وليس من عزمي أن أناقش هنا الدكتور طه حسين ، فطوفان الكتب والمحاضرات والمقالات والمناقشات كفاي تَبَعَةَ النقاش .

هذا بالإضافة إلى أنني أبحث عن شيء داخل المعركة ، لا عن المعركة نفسها ، فهؤلاء النقاد نقدوا الدكتور طه حسين في كتابه الذي يعتمد أساسا على كتاب طبقات الشعراء لابن سلام . فهل استفادوا من معالجة ابن سلام لقضية انتحال الشعر ؟ .

هل نال عرض ابن سلام لقضية الشعر المصنوع من النقد مايجب أن يناله ، أم أن الأمر انقلب إلى ضجيج وعجيج .

لقد قمنا بجولة واسعة في ميدان المعركة ، وتصفحنا كل ماوصل إلينا من رسائل هجومية ظهرت في شكل كتب ، فلم يعننا مثلا كتاب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وهو باسم « تحت راية القرآن » ففيه شتائم وقذائف ، وسياب على الرغم من المعلومات القيمة التي وردت فيه تكشف عن أصالة ، وتمكُّن ودراسة للأدب العربي .

وذلك لأن ابن سلام استُخِدِمَ وسيلة لتوكيد ادعاء الدكتور طه حسين واستغلاله أقوال ابن سلام لمصلحته في الظهور بمظهر المفكر المبتدع .

وكذلك كتاب الأستاذ الشيخ محمد الخضرى حسين « نَقَضُ كتاب فى الشعر الجاهلى » الذى رجع إلى كتاب الطبقات ولكن ليىين مدى تامل الدكتور طه حسين فى النصوص التى ينقلها منه ،

فالأمر كان مناقشةً مارجع فىه الدكتور طه حسين إلى كتاب ابن سلام ، لاورد ابن سلام فى القضية التى اعتمد عليها كتاب « فى الشعر الجاهلى » اعتمادا كبيرا .

وكذلك كتاب « محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية ، والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى » للأستاذ الشيخ محمد الخضرى حسين ،

لأن المؤلف بنى ثورته على الدكتور على أساس أنه لم يعترف لابن سلام بما يجب علينا له من فضل ، بالإضافة إلى نقل جُمْل محرفة عن مواضعها ، وبناء أحكام عليها مما يشوه صورة ابن سلام فى أذهان الدارسين .

أما كتاب « فى الشعر الجاهلى والرد عليه » للدكتور محمد حسين ، فهو مجرد إحساسات مؤلف مسلم حىال كتابٍ شَعَرَ أنه سىهدم الدين .

ويختلف عنه الأستاذ عبد المتعال الصعیدى فى كتابه « مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين » فهو دائما يصرح فى وجه الدكتور ويكرر له الاتهامات ، ويذكره بالأخطاء التى وقع فيها فى مختلف ماىكتب .

أما ابن سلام نفسه فقد ذَكَرَ عرضا حين يقول : « أما علم القدماء فلماذا نضعه كله موضع الشك ، ولانضع منه موضع الشك ماىستحقه فقط ، أليس هذا هو الإنصاف يادكتور ؟ ثم بعد ثمانية أسطر يقول « وهذا محمد بن سلام صاحب كتاب طبقات الشعراء يقول » فى الشعر المصنوع مفتعل موضوع كثير لآخر فيه » ثم يعود إلى ابن سلام مرة ثانية ولكن عن طريق الأغانى ، ينقل عنه عبارة موجودة بالنص فى كتاب طبقات ابن سلام .

وكذلك كتاب « نقد كتاب الشعر الجاهلى » للأستاذ محمد فريد وجدى الذى رجع إلى ابن سلام مرتين مرة فى (ص ٦) وأخرى فى (ص ١٠١) ، ولم

يناقش الأستاذ موقف ابن سلام ولاحلل مجهوده ولا عرض للقضية من خلال كتابه^(١) .

أما الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في كتابه « قبضُ الريح » فكان في حديثه مجاملا سريعا ، لايعرض دراسة معمصة ، بل يصدر فكرته عن الكتاب وصدوره .

كان هذا معظم الطريق وعلينا أن نقف ، فقد لاحت معالم النهاية . سنقف ، ولكن بعد أن نقول إن كتاب الأستاذ محمد عطية هاشم « الأدب العربي وتاريخه » حاول أن يعطى ابن سلام حقه ، ولكنه عمم عبارته وجعلها تحلق في سماء المعركة ولم تتدخل في تفاصيل ، شاهدا بأن خير ماوضع في ذلك الوقت — العصر العباسي — طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، وقد أتى في صدره على أهم النظريات الأدبية التي اتخذها المتأدبون حتى المعاصرون أمامهم في البحث ، ويفصلون إجمالها ويطولون فيها — وهم يظلمون الناس حين يزعمون أنهم يأتون بشيء جديد في الأدب^(٢) .

هنا نقف أمام كتاب الأستاذ محمد أحمد الغمراوي « النقد التحليلي » الكتاب في الأدب الجاهلي » بمقدمته التي كتبها الأمير شكيب أرسلان .

في هذا الكتاب إنصاف لابن سلام ، ويقوم منهجه أساسا على عقد مقارنة بين كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام وكتاب في « الأدب الجاهلي » لطفه حسين . تلك المقارنة التي بحثنا عنها ، منذ قرأنا كتاب الدكتور طه حسين ، والتي كان لزاما علينا أن نقوم بها لأننا لم نرض بنصيب ابن سلام من التقدير والدراسة في المعركة ،

قد سبقنا الأستاذ محمد أحمد الغمراوي منذ ثمان وثلاثين عاما — وخيرا فعل ، حلل دور ابن سلام في هذه المعركة ، وسلط عليه الأضواء معطيا إياه حقه ، جاعله الهدف الأساسي الأول الذي يجب أن يدور عليه الكلام ، لا مقالتي مرجليوث ، أو غيره من المؤلفين في الموضوع .

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلي : الطبعة الأولى — القاهرة ١٩٣٨ م

(٢) محمد عطية هاشم : الأدب العربي وتاريخه (١٣٢/٢ ، ١٣)

ولم يجنح الأستاذ الغمراوي للسب والطعن ، ولم ينابز بالإلقاب ، ولكن في أسلوب علمي دقيق ، وعرض تحليلي واضح ، أخذ الأمور من أعنتها وأسلمها إلى تتمتها .

وسننقل منه قطعة صالحة ، لا لأنها قيّمة في حد ذاتها فحسب ولكن لأنها تُغنينا عن التعليق على الموقف في مجموعه .

ويقول :

« ونحن لانبالغ حين نقول إن مافي الكتاب من نقدٍ حسنٍ إنما هو لابن سلام ، وأنّ الجمهرة العظمى من الشواهد التي استشهد بها فأساء الاستشهاد ، مأخوذة عن كتاب « طبقات الشعراء » ، وإنك إذا أخذت الكتاب فعريته من المنقول عن ابن سلام ، عريته عن أثن جزء فيه ، فلا يبقى منه إلا عبارات عامة لاتغني شيئا ولا تقنع أحدا ، استنتجها من ابن سلام عن طريق التعميم فأخطأ الاستنتاج .

ويستطرد قائلا « وإذا حاولت أن تحصى المواطن التي أخذ فيها عن ابن سلام ، صعب عليك العذ لكثرتها ، ووجدتها منبثة في الكتاب خصوصا في كتاب أسباب انتحال الشعر ، الذي تهكم فيه كثيرا بالقدماء ، وليست تلك المواطن كلها منسوبة إلى ابن سلام فكثير منها مُغفل ، أو منسوب إلى مبهم كأن يقول لك « الرواة يحدّثونا » أو . « الرواة مُجمعون » ، أو ماشابه ذلك من تعبير ، فالحديث الذي أشار إليه عن الطبقات (ص ٤٤) وقول أبي عمرو بن العلاء عن لغة مُضَر ولغة حِمِير منقول عن الطبقات أيضا (هامش الكتاب ص ١١) وحول هذين الخبرين يدور فصله عن الأدب الجاهلي واللغة ، كما يدور فصل الشعر الجاهلي واللهجات حول رواية تُنقل الشعر التي هي مأخوذة أيضا عن الطبقات (هامش الكتاب ص ١٣) ، ولقد أكثر الأخذ عن الطبقات في كتاب أسباب انتحال الشعر خاصة ، فهناك حوالى تسعة مأخذ في فصل السياسة وانتحال الشعر ، وخمسة في فصل الدين ، وعشرة في فصل القصص ، وستة في فصل الرواة ، وعلى هذه المآخذ بنيت في الواقع تلك الفصول .

ويقول « ولعلنا لو كان الطبقات نفسه بين أيدينا الآن كنا نعطيك فكرة أوفى عن مقدار ما الأدب الجاهلي مدين به لابن سلام » .

ويقول « أن نوع المآخذ عن القدماء أهم كثيرا من عددها فصاحب « الادب الجاهلي » مدين لابن سلام بأمهات أفكاره ، كما هو مدين له بشواهدده ، فأما فكرة « الوضع والانتحال » التي توسع فيها حتى جعلها تشمل الشعر كله ، أو جلّه ، فقد أخذها عن القدماء أجمعين سواء في ذلك ابن سلام أو غيره . ويكفي أن يقرأ في الطبقات تجاوز خلاد بن يزيد الجاهلي وخلف الأحمر في الأشعار التي كان يردّها خلف ، ليعلم أن قد كانت هناك أشعار تُردُّ لأنها مصنوعة (ص ٣ من الطبقات) .

وأما ضياع الشعر الجاهلي حتى لم يبق بأيدي الناس منه إلا أقلّه فقد أخذه مما قرأ في الطبقات في الصفحة العاشرة من قوله عن عمر بن الخطاب وقول أبي عمرو ابن العلاء (هامش الكتاب ص ١٠) .

وأما أثر العصبية ووضع الشعر فقد أخذ فكرته من قول ابن سلام في الصفحة الرابعة عشرة في طبقاته (فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكرياتها ومآثرها انتقل بعض العشائر شعر شعرائهم وماذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم) .

وأما أثر السياسة في وضع الشعر فقد أخذ ماكتبه في ذلك عن طريق التوليد من قول قاله ابن سلام ، بعد أن روى بيتين يرويهما الناس لأبي سفيان بن الحارث يقولهما لحسان قال : (وأخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى ابن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان وقريش تريد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان) ومن يقرأ هذا ثم يقرأ لصاحب الكتاب (وليس من شك عندي في أنها سأي قريش استكثرت بنوع خاص من الشعر الذي يُهَجَى فيه الأنصار - هامش الكتاب ص ١٢٨ من الأدب الجاهلي - يظن أن ابن سلام هو الذي أخذ من صاحب الكتاب ، لاهو الذي أخذه من ابن سلام .

وأما ما كتب عن القصص ووضع الشعر فقد وَلَدَهُ كُلُّهُ من قول ابن سلام (الهامش ص ٤) (وذكر الأستاذ الغمراوي حكاية ابن اسحاق كُلُّهَا) ثم يستطرد « هذا نقد ابن سلام الذي يقول عنه صاحب الكتاب إنه كان يبدأ ، وَيَقْصُرُ عن الغاية ، فاقراً قول صاحب الكتاب (وأنت تدهش إذا رأيت هذه الكثرة الشعرية التي تنبث فيما بقي لنا من آثار القصاص ، فلديك سيرة ابن هشام وحدها ، ودواوين من الشعر تُظَم بعضها حول غزوة بدر ، وبعضها حول غزوة أحد ، وبعضها في غير هاتين الغزوتين من المواقف والوقائع ، وأضيف كل هذه إلى الشعراء وغير الشعراء من الأشخاص المعروفين ، وأضيف بعضه إلى حمزة ، وبعضه إلى عليٍّ وبعضه إلى حسان ، وبعضه إلى كعب بن مالك وأضيف بعضه إلى نفر من شعر قريش ، وإلى نفر من قريش لم يكونوا شعراء قط ، وإلى نفر آخرين من غير قريش وليس غير سيرة ابن هشام أقل منها حظاً في هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين مرة وإلى المخضرمين مرة أخرى (الأدب الجاهلي ١٦٢) ،

فإذا ما قرأت هذا ، فقارن بين القولين ، وانظر : هل قول صاحب الكتاب إلاّ تمديد لقول ابن سلام ، وهل تهكمه إلاّ منعكس عن تأفف ابن سلام وتهكمه بابن اسحاق ، ثم فتش قول صاحب الكتاب مرة أخرى هل ترى فيه نقدا ذا قيمة يدل على علم بالأدب وتاريخه إلا قوله (وإلى نفر من قريش لم يكونوا شعراء قط) وهو قول لا يقوله إلا من درس تواريخ الأشخاص الذين ذكروهم ابن هشام ، وعرف من منهم قال الشعر ومن منهم لم يقله .

ثم ارجع بعد ذلك إلى ابن سلام ، ألا ترى أنه هو الذي درس ونقد وحكم وأفاض على صاحب الكتاب من فيض علمه وحكمه حين أخبره أن ابن اسحاق (كتب في السيرة من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال) ؟ ؟

ثم عاد وثمود وجميعة وتبع والعماليق الذين سالت بالكلام عنهم فصاحبة صاحب الكتاب واتخذ منهم وحياً قوياً ، يوحى به إلى القارئ أن القدماء كانوا لا يحسنون علماً ولا نقداً . نسبوا إلى عاد وثمود ومن إليهم من الشعر ما لم يكونوا قد قالوه ، أو

يكون القدماء قد عرفوه ، أظن أنه اهتدى من نفسه إلى النقد الذي جعله يستهجن تلك الأشياء ، والذي هو أصدق وأقوى ما في الكتاب ، إذن فاقراً قول ابن سلام (ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته وإنما قصّدت القصائد ، وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وجمير وثبّع (ص ١١ طبقات) وقوله بعد أن نعى على ابن اسحق روايته الشعر لأناس لم يقولوا شعراً قط «ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن أداه من ألوف السنين » (ص ٤ طبقات) .

ثم احكم بعد أن تقرأ هذا من الذي أوحى إلى صاحب الكتاب ما كتب في عاد وثمود وجمير وثبّع وأضرابهم - وهل لصاحب الكتاب حق في أن يستأثر بفخر ذلك النقد ، يذكره أولاً في كتابه على أنه له ، حتى إذا فاز بأثر ذلك في نفس القارئ ، توفى التهمة بنسبته متأخراً إلى القدماء في شيء كثير من الانتقاص والتحفظ ، وعلى أنه تأييد منهم له وتقصير منهم عنه ،

ثم الرواية والرواة وما كتب صاحب الكتاب فيهم من الحق أن يعد خلط بكثير من الباطل ، أكثره مأخوذ عن ابن سلام ، وكله مأخوذ عن القدماء فما كتبه عن حماد الراوية كله تقريباً عن كتاب الطبقات ، وما نسبته إلى ابن سلام منه ، وما لم ينسبه سواء في ذلك الحوادث المعينة كحادثته مع بلال بن أبي بردة ، أو العبارات المطلقة كقول يونس بن حبيب فيه ، كذلك ما كتبه عن الأعراب وأكاذيبهم ، أخذ خاصة من ابن سلام كخبر داود بن متمم بن نويرة مع أبي عبيدة ، وخبر أبي ضمضم مع الأصمعي ، وولد مأخذ عامة من هذا الخاص أو مما كتب صاحب الكامل في باب تكاذيب الأعراب ،

وهناك مأخذ أخرى غير قليلة ، أخذ أكثرها من ابن سلام ، وأقلها من غيره ، سواء في ذلك ما أبقاه على حاله ، وما خالفهم فيه وما حُرف منها لأمر في نفسه . كقول أبي عمرو بن العلاء في لغة حمير وأقاصي اليمن ، وكقول ابن سلام في أبي اسحق الذي قصصنا عليك نصه ، وحرقة في وضع آخر في كتابه (ص ١٤١) إلى أن ابن سلام يتهم ابن اسحق بوضع الشعر على الأمم البائدة مع أنه لم يقع عليه سوى عدم التبصر في الرواية وقلة التدقيق في النقد ،

ولكننا لم نرد أن نحصى مأخذه صاحب الكتاب من القدماء ، وإنما أردنا أن نذكر من ذلك ما يدل على مقدار تلك المآخذ وأهميتها ، وعلى أن إدلال صاحب الكتاب على القدماء بأنه هو بلغ الغاية حين قَصَّروا ، وقَوَّى النقد حين ضعفوا ، إنما هو البَطَر والإدعاء أقرب منه إلى التحدى والإنصاف (١) .

وأخيراً ، هذه هي المعركة التي دارت حول كتاب في « الشعر الجاهلي » . وهذا هو نصيب ابن سلام فيها ، تقدير وإعجاب وإشادة من باحثين ، وتناس وإغفال وسهو من باحثين آخرين ، ولكن الأبحاث التي وضعت في عين الاعتبار رفعت ذلك من شأن بحثها ، وجعله أقرب إلى الموضوعية منه إلى المهاترات والسير بلا هدف .

ولانبعد حين نقول أن أزمة الثقة بالشعر الجاهلي « التي أثارها الدكتور طه حسين كانت خيراً عميماً على ابن سلام وكتابه ، إذ جعلت أنظار الباحثين المؤرخين للنقد العربي تتجه إليه وتُخلى له مكاناً في أبحاثها وتحاول أن تعطيه ماسبه منه الزمان .

(١) محمد العمراوى : النقد التحليلي لكتاب في الشعر الجاهلي : ٢٦٧ — ٢٧٣ .

مُؤَرِّخُ النِّقْدِ الأدْبِي وَكِتَابُ « ابْنِ سَلَامٍ »

أمامنا بعض الكتب التي تناولت النقد العربي الأدبي بالتاريخ والمناقشة وكان طبيعياً لهذه البحوث أن تتعرض لابن سلام بصفته صاحب أول أثر نقدي منهجي يصل إلينا مما دونه العرب في النقد والأدب .

وأولهما كتاب الناقد الأستاذ « طه أحمد إبراهيم » الذي افتقدناه فجأة في رحاب الجامعة ، وقد ترك أثراً لا يُمَحَى ، دفع زميله الوفي الأستاذ أحمد الشايب إلى أن يجمع محاضراته في النقد وينشرها في كتاب جامع .

والناقد الكبير يبرهن لنا على أن العرب عرفت النقد الأدبي ، فيقول : « نخذ مقاله ابن سلام الجمحي في كتابه « طبقات الشعراء » وما جاء به القاضي الجرجاني في كتاب « الوساطة » ونخذ تلك البحوث التي كتبها أمثال ... و ... و ... فستجد أن العرب عرفوا النقد الأدبي معرفة دقيقة ، وإن لم يدونوه علماً أو فناً (١) .

وفي الجزء الخاص بالحديث عن طبقات الشعراء لابن سلام ، يقول : إن ابن سلام أحد الإخباريين والرواة — ومن أهل الأدب ، نحوي ، لغوي عَدَّه الزبيدي الأندلسي صاحب طبقات النحويين واللغويين في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين (٢) .

وَيَعُدُّهُ أحد كبار نقَّدة الشعر ، وهو أول من نظم البحث في هذه الأفكار (أي الأفكار النقدية التي سبقت ابن سلام) ، وعرف كيف يعرضها ويبرهن عليها ويستنبط منها حقائق أدبية في كتابه « طبقات الشعراء » (٣) ثم يقول : لاندري في أي تاريخ ألف ابن سلام كتاب « طبقات الشعراء » ولكننا نعرف أن تدوين الشعر أخذ ينشط في أوائل القرن الثالث (٤) .

(١) طه أحمد إبراهيم . تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٦ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي ٧٥

(٣) المرجع السابق ٧٦

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة

والأستاذ طه إبراهيم من الذى يقررون أن « طبقات الشعراء » كتابان : يقول : والظاهر أن الكتاب فى الأصل كتابان ، أحدهما فى « طبقات فحول الشعراء الجاهليين » والآخر فى « طبقات فحول الشعراء الإسلاميين » فاضطراب المقدمة وما فيها من خلط ، تُشعر بأنها كانت مقدمتين أدمجت أحدهما فى الأخرى ، ثم أن روح ابن سلام فى طبقات الجاهلية ، قوية عميقة منصرفة أو تكاد إلى ماهو من صميم النقد ، فأما طبقاته فى الإسلاميين فيكثر فيها التاريخ عن جماعة — كجريد والفرزدق والأنخل ، وتقل فيها روح العلم ، وفى المقدمة نفسها مايدل على أن ابن سلام ألف أولاً « طبقات الجاهليين » وهو الراجح — فقد أودع تلك الطبقات كل أفكاره التى تهمة ، وأودعها جدله ، وحججه ، وروحه العلمى المتفوق .

ودليل آخر هو أن أكثر ماكان يُكتب إلى عهد ابن سلام بُجوثٌ صغيرة ، ورسائل لا تُكتب ، وليس بعيداً أن يكتب ابن سلام بحثاً فى طبقات الجاهليين ثم يثنيه باخر فى طبقات الإسلاميين (١) . وهذا مانذهب إليه .

أما عن اختيار ابن سلام الطبقات لجعلها الهيكل العام لعرض شعرائه فيقول عنه الأستاذ طه إبراهيم « إن المصادفة جعلته يجعل كل طبقة أربعة ، ولاندرى لماذا جعلهم عشرة » ويقرر أن الأبيات التى أتى بها ابن سلام نموذجاً لتقييم الشعر الصحيح ، وأضافها إلى المستوغر بن ربيعة أو إلى أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان ، وغيرهما ، لابد أن تؤخذ بحذر ، وقد يقدر الباحث أنها وجدت قبل أن يصل الشعر الجاهلى إلى الإتقان والأحكام ، ولكن لينها واسفافها وموضوعها ومعانيها لاتدع لها السبيل ممهدة إلى التصديق بها والركون إليها (٢) .

ثم يعرض لاضطراب وضع بعض الشعراء فى الطبقات التى هيأها لهم ابن سلام ، ويعترض على وضع كعب فى الطبقة الثانية ، وأصحاب المعلقات فى الطبقات الرابعة ، وتقديم شعراء فى الطبقة الخامسة على شعراء أكثر منهم نباهة

(١) تاريخ النقد الأدبى ٨٣ ، ٨٤

(٢) المرجع السابق ٨٧

وشهرة وهم عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وعنترة ، وسويد بن أبي كاهل
اليشكري .

ويعلل لهذا الاضطراب بقوله « ليس من الرأي في شيء أن يكون الشعراء عشر
طبقات وليس من الممكن بحال أن تعرف من الفروق بين الشعراء ما يمهّد لنا أن
نوزعهم على طبقات عشر والخصائص الفنية رقيقة متموجة لاتطيع الباحث إلى
مثل هذا المدى (١) » .

ثم اعترض عليه إنحلاله بشيء من رسم الكتاب ، فلم يتعرض لمكانة شعراء
القرى ، ولم يذكر لنا منزلة شاعر كبير كحسان ، هذا إلى أنه أهمل بعض فحول
الشعراء كعمرو بن أبي ربيعة والطرمّاح بن حكيم ، والكميت الأسدي ، ومكانتهم
لا تُنكر في الشعراء الإسلاميين (٢) .

ويستطرد الأستاذ طه إبراهيم حديثه مشيراً إلى ملكة ابن سلام الأدبية ،
يقول : « إنّ ملكته الأدبية في تحليل الشعر وتذوقه لاتكاد تظهر فيما كتب —
ملكته الأدبية أضعف بكثير من ملكته العلمية — وكان لنا أن ننتظر من ابن
سلام ، وقد تأخر به العهد عن كل من ذكرنا ، تحليلاً للشعر فسيحاً عميقاً يلائم
انفساح النقد في الميادين الأخرى ، ولكننا لانجده يتقدم في تذوق الأدب خطوة
عن الذين عاصروه أو سبقوه ، بل لقد نرى له أحياناً كلاماً عاماً لا يحدد ذوقاً
خاصاً ، ولا يشعر بتفهم النصوص على النحو المقنع ، وقلما نظفر بشيء دقيق
حين نتبع آراء ابن سلام فيما يتصل بالشعر ،

على أن ابن سلام من اللغويين ، ولنا إذن أن نقول إنه من أذوقهم بوجه عام (٣)
ولعل الأستاذ يعني بملكة ابن سلام العلمية — طريقة وضعه الشعراء في طبقات
عشر وجعل كل طبقة أربعة شعراء — وطريقة عباراته الدقيقة ، وعرضه للشعراء ،
وتقصّيه للمعنى الذي يريده ، حتى يصل واضحاً إلى القارئ مع سلامةٍ وجزالةٍ
قمنيةٍ برجل عالم له مكانته بين أضرابه في القرن الثالث الهجري .

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٨٩

(٢) المرجع السابق ٩٠

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٨٨

أما عن ضعف ملكته الأدبية فلعل الأستاذ طه ابراهيم قصد بها إلى أن ابن سلام لم يتدخل بذوقه الخاص في اختيار الأشعار ، ولكننا قد رأينا قد تحلل من المبدأ الذي فرضه على نفسه في ترتيب الشعراء طبقات ، فجعل طبقة لشعراء القرى وأخرى لأصحاب المراثي وثالثة للشعراء اليهود ورابعة للرجاز وخامسة للمشبيين، وعلى أساس التشابه الفني لا الشكلي .

وحينما جعل الزبيدي ابن سلام في الطبقات الخامسة من اللغويين البصريين^(١) لم يعن هذا أن يخرج ابن سلام من كونه رائدا من رواد النقد في القرن الثالث ، ونحن نعلم أن الفروق لم تكن واضحة في هذا العصر بين العلوم والفنون المختلفة ، وابن سلام له كتاب في « الخيل » وكتاب في « الملح والنوادر » وكتاب في « غريب القرآن » ثم كتاب في النقد « طبقات الشعراء » .

وقد رأينا ابن سلام يوازن بين شاعر وشاعر ويفضل أحدهما على الآخر ورأينا يوازن بين الآيات المفردة ، والقصائد المطولة ، ويلاحظ الفروق الدقيقة بين النسيب والتغزل ويفرق بين جميل وكثير . فالأول أكثر فنون شعر من الثاني ، وأمدح منه ، وأقل صدقا . في تشبيهه من جميل ، وذاك لأن جميل كان عاشقا ولم يكنه كثير^(٢) ، وأن عبد الله بن قيس الرقيات أشد قریش أسر شعر في الإسلام بعد ابن الزبير وكان غزلاً وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة وكان يصرح بالغزل ولا يهجو ولا يمدح وكان عبد الله يشب ولا يصرح ولم يكن له معقود عشق وغزل كعمر بن أبي ربيعة^(٣) وأن الجعدي كان مختلف الشعر مُغَلِّباً^(٤) ، والشماخ كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقاً^(٥) .

والكتاب الثاني :

في التأريخ للنقد حسب الظهور ، هو كتاب الأستاذ أحمد أمين « النقد الأدبي » وجزؤه الثاني خاص بالنقد الأدبي العربي ، فبعد أن يتحدث في جزئه

(١) الزبيدي : طبقات السحوين واللغويين ١٩٧

(٢) ابن سلام : الطبقات ٥٤٥

(٣) المصدر السابق ٦٤٨

(٤) المصدر السابق ١٣٢

الأول عن النقد في أوربا وتطوره ومدارسه يقول في هذا الجزء عن ابن سلام :

« ولعل أقدم ما وصل إلينا من كتب النقد كتاب « طبقات الشعراء » لمحمد ابن سلام الجمحي المتوفى ٢٣١ هـ ، وهو أيضا بصرى ، كانت له معارف واسعة في اللغة والأدب ، والنحو والأخبار حصَّلها من عصره ، ثم يقول وكان دقيقا في تعليقه أن الشعر ليس كثيرا في مكة ، لأنه على حد تعبير اليوم "أنه لم يكن له بها بواعث تُهيج العاطفة ، وهو تعليل ، كما ترى ، دقيق وكان من مميزات محاولة ترتيب الشعراء وجعلهم طبقات (١) » .

كان هذا نصيب ابن سلام في كتاب الأستاذ أحمد أمين وهو نصيب على ضآلته يشهد لابن سلام بفهمه الثاقب الذي حاول أن يعلل قلة وجود شعر في بيئة كمكة ، وكثرته في بيئة أخرى كالمدينة .

أما الكتاب الثالث فهو كتاب « في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية » للدكتور طه الحاجري .

ولم نجد فيه دراسة لابن سلام واقتصر على الاستشهاد من الكتاب فقط بعيدا عن دراسته والتعريف بصاحبه .

وإذا انشغل هذا الكتاب عن ابن سلام بأشياء أخرى وقدم لنا الاستاذ أحمد أمين لمحة بخاطفه عن ابن سلام وميزته ، فإن الدكتور بدوى أحمد طبانة في كتابه « دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث » قد عرض في الفصل الرابع منه ، عرض لنا ابن سلام وسيرته وكتابه ، في أسلوب بسيط ، وفي تقديم رقيق ونقد رقيق .

فبعد أن يتحدث الدكتور عن ابن سلام وثقافته وتاريخ وفاته ومنزلته كما أوردها ابن الأنباري في كتابه ، ينتقل إلى كتاب الطبقات ، ويلحظ عليه النقص والتلفيق الصادرين من الناشر ، ويذهب إلى أنه كتابان ، أحدهما في طبقات الشعراء الجاهليين ، والثاني في طبقات الشعراء الاسلاميين .

يقول « وهناك أدلة أخرى على هذا التلفيق ، نراها في تلك الفجوات والشغرات الملحوظة في هذا التأليف . ومن تلك الأدلة :

(١) أحمد أمين : النقد الأدبي ٤٣٨/٤ — ٤٤٢

(١) قول ابن سلام « فنقلنا ذلك الكلام في الشعر وقول العلماء فيه إلى خلف ابن حيان أبي محرز الأحمر ، أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس بيت شعر وأصدقهم لسانا ، كُنَّا لا تُبالي إذا أخذنا عنه خيرا ، أو أنشدنا شعرا ، ألا نسمعه من صاحبه ، ولم يذكر ابن سلام بعد ذلك شيئا عن جواب خلف الأحمر أو تعليقه على تلك الأقوال ، التي نُقِلَتْ إليه ، وسياق الحديث يشعر بأنه كان له رأى وأنه كان له تعقيب ، وإلا كان كلام ابن سلام عبثا ولغوا ولا طائل وراءه ، فليس نقل أقوال العلماء إلى عالم شيئا ذا بال جديرا بالتسجيل ، إلا إذا كان المنقول إليه رأى يخالف تلك الآراء (١) .

والدكتور طبانة قد اعتمد على طبعة السعادة التي نشرها حامد عَجَّان الحديد الكتبي ، والخطأ حدث من أن ابن سلام بعد أن قال : قال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه ، فما أبالي ما قُلْتَ فيه أنت وأصحابك ، قال له : إذا أخذت درهما ، فاستحسنته ، فقال لك الصراف : إنه ردىء هل ينفعك استحسنائك له ؟ ثم يستطرد ابن سلام استطرادا طويلا ويتحدث عن أفسد الشعر من القصاصين وأصحاب السير والمغازي كمحمد بن اسحق فأدى به هذا إلى الحديث عن النحاة البصريين ، ولما انتهى منهم بعد حديث استغرق خمس عشرة صفحة قال : رَجَعْ إِلَى قول الشعر وإلى قول العلماء فيه ولكل من ذكرنا قول فيه ، ثم تأتي بعد ذلك جملة راوى الكتاب .

« قال فَنَقَلْنَا ذلك إلى خلف » أى رَجَوْنَا إلى الحديث عن الشعر وقول العلماء فيه نُقَلْنَا إلى خلف ، الذى قد أجمع أصحابنا على أنه كان أفرس الناس بيت شعر .. ، فليس هناك أقوال نقلت إلى خلف ، ولكن ابن سلام نفسه يستطرد فيعود إلى سابق حديثه ويكمّله مرة ثانية ، وهذه الجملة الفعلية مشكولة في طبعة المعارف (نُقَلْنَا) وليست مشكولة في طبعة السعادة وليدن وغيرهما ، ومن هنا وقع اللبس .

وبعد أن يتحدث الدكتور عن الخرم الموجود في الطبقة الثانية يتحدث عن ضياع شعراء الطبقة الأولى الإسلامية ، وهم جرير والفرزدق والأنخل والراعى ،

(١) الدكتور بدوى طبانة . دراسات في نقد الأدب ١٢٩

وتنشر طبعة المعارف فيعود لها المؤلف ويقول على الهامش « أثبت ناشر الطبعة الثانية هذا المفقود من مصادر أخرى وجعله بين قوسين هكذا (....) إشارة إلى أنه ليس في أصل الكتاب (ص ٢٤٩ — ٢٥١) (١) .

ثم يعلق على تدخل المحقق في اسم الكتاب ، وفي وضع فقرات ليست من أصل الكتاب لأن التحقيق العلمي لا يقبل ذلك بغاية الرضى « ونحن نقول إنه غير مقبول بأية درجة من درجات الرضى » .

ويستعرض جهود ابن سلام في ميدان النقد وتقريره أن الشعر ونقده صناعة ، وأن له ثقافة يعرفها أهل العلم به كسائر أصناف العلوم والصناعات ، وكلمة (الصناعة) هنا ترجمة لكلمة (الفن) للتمييز بينها وبين العلم ، هو المهارة أو هو المعرفة ، بلغت بها المهارة حد الكمال ، وسمي الأدب صناعة لما فيه من المهارة في أصابة المعنى أو ابتكار الخيال أو جمال الفكرة وحسن الصياغة والتأنق في الأسلوب .

ويقول الدكتور ومع أن ابن سلام معدود في رجال اللغة والنحويين والرواة ، إلا أنه مع تلك الثقافة المحدودة بحدود السماع والتي لا تقبل كثيرا من التصرف لا يغفل أثر الذوق في تقدير القيم الفنية والاحساس بالجمال .

وكذا بحث في الشعر المنحول ، وعدد المؤلف جهود ابن سلام فيه بأسرها ، ثم أشار إلى أن نشاط ابن سلام بعيداً عن ميدان النقد أدخل في علوم العربية والأدب .

من ذلك :

١ — تقريره أن أول الشعر البيت والبيتان ، وأن القضايد طوّلت على عهد عبد المطلب وهشام بن عبد مناف . .

٢ — تنبيهه إلى بعض العوامل الفعالة ، التي تدفع الشعراء إلى النظم وفي مقدمتها الحروب .

(١) الدكتور بدوي طبانة : دراسات في نقد الأدب العربي ١٣٠

حديثه عن تنقل الشعر في القبائل — فكان شعر الجاهلية في ربيعة ثم في قيس ثم آل بعد ذلك إلى تميم وذكر علة بدء الشعر في ربيعة وأولهم المهلهل الذي كان أول من قصّد القصيد وذكر المواقع في قتل أخيه كليب .

٤ — وهو أول من أرخ نشأة علوم العربية في مقدمة « طبقات الشعراء » .

وبعد هذا العرض الواسع ، ينتقد ابن سلام ويلحظ عليه عدم ذكره للشعراء الذين عاصروه ، كمروان بن أبي حفصة وأبي نواس وبشار ومسلم بن الوليد ، وأبى تمام ويقترح عذرا له في أن الشعراء الذين عاصروهم ابن سلام لم تكن الأقوال فيهم قد تبلورت بعد ، بحيث يعتمد عليها ، ولعل أولئك العلماء كانوا يخشون مما قد ينالهم من أولئك الشعراء من الهجاء المقذع إذا عرضوا لشعرهم بالنقد والتحليل والإشارة إلى مواطن الضعف فيه فضنوا بأغراضهم أن يمتنحها الشعراء .

وهذان السببان وجيهان بالاضافة إلى أن طبقة العلماء ومعاصري ابن سلام والسابقين له يعتبرون أن العصر الذهبي للغة والشعر هو الجاهلية وصدر الإسلام مع العصر الأموي وشعراؤهم هم قادة الشعر وقولهم هو المنبع والمصدر ، والشعراء بعدهم عيال عليهم .

ويقول الدكتور بدوى طبانة أخيرا « إن الكتاب أقدم وثائق النقد المدونة فيه كثير من آراء الأدباء واللغويين التي انتفع فيها فيما بعد ، من كتبوا في نقد الأدب أو في سير الشعراء ، كالأمدى صاحب « الموازنة بين الطائيين » ، وأبى الفرج الأصفهاني صاحب كتاب « الأغاني » ، وحسب كتاب ابن سلام أن يكون جُماع القول في الشعر العربى في الجاهلية والإسلام (١) .

والكتاب الخامس : للدكتور محمد مندور « النقد المنهجي عند العرب » وهو يتحدثنا عن الأطر الكبيرة التي اتخذها ابن سلام هيكلها في تقسيمه الشعر كنظرته إليهم من حيث الزمان والمكان والفن الادبى ، ثم يتحدث عن فطنة ابن سلام إلى كثير من الشروط التي يجب أن تتوافر في الناقد وفي النقد مثل الدورية والممارسة والدوق الأدبى ، وكذا انتباه ابن سلام إلى ضرورة تحقيق صحة النصوص

(١) الدكتور بدوى طبانة : دراسات في نقد الأدب ١٢٦ — ١٤٣

وصحتها وصحة نسبتها ويقول (ولاتقف الروح العلمية عن ابن سلام عند ملاحظة تلك الظواهر بل تمتد ، إلى تفسيرها حتى لنراة يفصل الأدلة العقلية والنقلية على انتحال الشعر^(١) كما اتضح عند تفسيره الظواهر الأدبية كقلة الشعر في أماكن دون أماكن ثم قياس اساس المفاضلة على الكثرة والجودة .

ويقول الدكتور محمد مندور « والواقع أنه إذا كان ابن سلام مصيبا في نظره إلى انتحال الشعر فإنه أقل إصابة فيما عدا ذلك فتفسيره لندرة شعر بعض القرى مردود ، لأن الشعر ليس كله في الحرب ولا هو قاصر عليها بل إن فيه مصادرة على المطلوب فليس بصحيح أن الشعر كان نادرا في مكة مثلا خصوصا بعد الإسلام ، وإنما أسقط ابن سلام من حسابه لسبب لانعرفه — الكثير من الغزليين وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة الذي لم يذكره أصلا .

والدكتور : أولا : يرفض مبدأ تفسير القلة على أساس الارتباط بالحرب ورأينا أننا يجب أن نربط الحرب بالعرب الجاهليين ، لنفهم طبيعتها والمقصود بها .

فالحروب في الجاهلية كانت شبه مستمرة على مستوى الجزيرة العربية كلها ، ما بين حى وحى ، وقبيلة وقبيلة ، وقبائل أخرى ، وفي الحرب يظهر لون الشعر الحماسي لدفع المحاربين إلى الجهاد ، ويظهر الفخر بالنصر والمدح للقواد والهجاء للأعداء ، والرثاء للمقتولين ، وتظهر النقائص الشعرية ، وفي الحرب يخرج المحارب العربى عن دائرة قبيلته ، وتطول به مدة الاغتراب عن بيته وذريته وعشيرته ويحلوا له أن يثبت لحبيته أنه ثابت القدم ، مغوار لاينى عن الدفاع عن قبيلته وعنما ، وأنه عائق الكمأة ، وهزم الأسود ، وفلّ حمى الأعداء .

وفي الحرب تهيج كوامن النفس ، فتجيش الشاعرية مندفعة بحب الشاعر لوطنه ويتقديره لدوره في مجتمعه .

وابن سلام قد قرن مكة بالمدينة وقال إن المدينة كانت بها حرب الأوس والخزرج وأن مكة في ذلك الوقت — لم يكن بين عربها نائرة ولم يحاربوا ، وقلة الشعر شيء وعدم وجوده شيء آخر لأن قلته هذه كثرت في مكة حين الإسلام ،

(١) الدكتور محمد مندور : النقد المنهجي ١٩

فانبرى شعراء مكة الكافرين يصدون شعراء المدينة المسلمين ، وعَدَّدَ منهم ابن سلام : ابن الزُّبَيْرِ ، وأبا طالب بن عبد المطلب ، والزيبر بن عبد المطلب ، وأبا سفيان ، ومسافر بن أبي عمر ، وضرار بن الخطاب وأبا عزة الجمحي ، بينما كان في المدينة قبل الإسلام شعراءها بالإضافة إلى شعر اليهود الذين كان من دواعي كثرة شعرهم ، المناورات التي قامت بينهم وبين عرب المدينة .

فيكون أقحام عمر بن أبي ربيعة في الأمر في غير موضعه لأنه تلميذ علي ، وإذ أن الفرج سنة ٩٣ هـ في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ هـ) (١) فعمر ابن أبي ربيعة يدخل في حكم آخر وقاعدة أخرى .

وننظر إلى اسقاط ابن سلام الكثير من الغزلين ونجد أنه حكم جائز ، فقد ذكر لنا ابن سلام كثيراً (٢) وابن قيس الرقيات (٣) والأحوص (٤) وجميلاً (٥) ونصيباً (٦) وغيرهم ويكون عدم معرفتنا لإسقاط عمر بن أبي ربيعة سبباً لا يرجع إلى ابن سلام في الغالب ولكنه قد يرجع إلى الهيئة التي وصل إلينا بها الكتاب .

ويقول الدكتور مندور « ولكن شعر عدى بن زيد لا يكفي لتعليقه قوله إنه سكن الحيرة ومراكز الريف ، وإلا لحنا في تعليل « نحت الفرزدق من صخر » واغتراف جبرير من بحر » (ص ٢٠) .

(١) يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه « النظم والتحديد في الشعر الأموي » ص ٢٢٢ عن وفاة عمر بن أبي ربيعة « والروايات تضطرب في تحديد وفاته ويقول أبو الفرج أنه عاش سبعين سنة ، وأنه ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب (الهامش : انظر الأغاني ط دار الكتب ٧١/١ — أي سنة ٢٣ للهجرة . ومعنى ذلك أنه توفي سنة ٩٣ هـ في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ هـ) وهناك رواية تزعم أن سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ) نفاه إلى الطائف (الهامش : الأغاني (١٧/٩) وأخرى تزعم أن عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ) نفاه إلى ذَهْلَك (الهامش : الأغاني : ٦٤/٩ ، والشعر والشعراء (٣٤٩) والروايتان مدخولتان ، لأنه لم يلحق عَصْرُ سَلِيمَانَ ولا عصر عمر — ويزعم بعض الرواة أنه عزا في البحر ، فأحرقت سفينته فاحترق (الهامش : الشعر والشعراء (٣٤٩) ، وليس معقول أن يذهب إلى الغزو في سن السبعين ويزعم آخرون أنه تغزل بسيدة وهي تحج فدعت عليه فمات » (الأغاني ٣٤٧/١) ، وهذه الرواية أقرب إلى القصص منها إلى الحقيقة .

(٢) ابن سلام : الطبقات ٥٤٠

(٣) المصدر السابق ٦٤٨

(٤) المصدر السابق ٦٥٥

(٥) المصدر السابق ٦٦٩

(٦) المصدر السابق ٦٧٥

ونقول وتعليل ابن سلام للين شعر عدى سندر عليه بفقرة اختارها الدكتور لكتابه من كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومة" وردت (ص ١٧ و ١٨) تحت عنوان تطور الشعر ولغته ، يقول الجرجاني « كانت العرب ومن تبعها من السلف تجرى على عادة في تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألف غيره ولا أنسها سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أن يختص بفضيل تهذيب ، ويفرد بزيادة عناية ، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها العمل والصناعة ، خرج كما تراه فخما جزلا قويا متينا ، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض التوعر ، ... ولأجله قال النبي ﷺ « من بدأ جفا » ولذلك تجد شعر عدى وهو جاهلي ، أنلس من شعر الفرزدق ، ورجز رؤية ، وهما أهلان ، لملزمة عدى الحاضرة وإيطانه الريف وبعده عن جلالة البدو ، وجفاء الأعراب ، وتري رقة الشعر أكثر ماتأتيك من قبل العاشق المتيم المتهالك ، فإن اتفقت لك الدماثة والصبابة وانضاف الطبع إلى الغزل فقد جُمِعَت لك الرقة من أطرافها .

وأما نحت الفرزدق من الصخر ، وغرف جرير من البحر ، فهو رأى الأخطل فيهما (١) ويقصد به جزالة شعر الفرزدق ومتانته ، مع سلاسة شعر جرير وسيرورته ، وابن سلام يقول لنا « الفرزدق أشعر عامة (أى عند عامة العلماء) وجرير أشعر خاصة (٢) » ، وأن الفرزدق أكثرهم بيتا مقلدا ، والبيت المقلد هو المستغنى بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل (٣) وكان يداخل الكلام وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو (٤) بينما كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق (٥) وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب (٦) ولقد ماتت النوار فقاموا يتوحدون عليها بشعر جرير (٧) وقال عنه الفرزدق ، مأجوجه مع عفته إلى صلابة شعري ومأجوجنى إلى رقة شعره لما ترون (٨) .

(١) ابن سلام : الطبقات ٤٥١

(٢) المصدر السابق ٤٩٩

(٣) المصدر السابق ٣٦٠

(٤) المصدر السابق ٣٦٤

(٥) المصدر السابق ٣٧٤

(٦) المصدر السابق ٣٧٥

(٧) المصدر السابق ٤٥٦

(٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٧٣/١

فالفردق كان يعجب العلماء لألفاظه وفخامتها ، وجريير يعجب الشعراء والجمهور لخلاوة شعره وسلاسته — فما سبب الحيرة ؟ وماصلة هذا بلين شعر عدى ؟ .

ويقول الدكتور مندور وأما عن تفضيله الكثرة على الجودة وتعدد الأغراض الشعرية على التوفر على الفن الذى تحزنا إليه ملابسات حياتنا ففي ظننا أنه من الواضح أن الكم ليس مقياسا صحيحا لقيم الشعراء والى هذا فطن ابن قتيبة (١) . واعتقد أن ابن سلام كان يقصد الكثرة الجيدة من الشعر أو الجيد الكثير منه ، لا يفرق بين كمية الشعر وكيفيته ، لأن الشاعر الحق هو: كثير الشعر جيده لا كثيره وغثه ، ولا جيده وقليله .

وابن سلام مع تصويره لهذا المبدأ لا يظلم الشاعر قليل الشعر وجيده فهو يعترف بأن طرفه وعبيداً وعلقمة وعديا من الفحول الشعراء وموضعهم مع الأوائل وإنما أدخل بهم شعرهم بأيدي الرواة (٢) ويقول طرفه وعبيد فحول على الرغم من أن الذى يصح لهما من قصائد يُقدَّر بعشرة ، وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وُضِعَا من الشهرة والتقدمة وإن كان ما يُروى من الغناء لهما ، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة (٣) . وإن سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب أربعة رهط مُحْكَمُونَ مُقْلُونَ وفى أشعارهم قلة فذاك الذى أُخْرِجَهُمْ (٤) فالجيد القليل يبعد الشاعر عن الصدارة والجيد الكثير يجعله فحلا ، أما التافة كثيره أو قليله فيجعله عالة على الشعر والشعراء .

وكثير لم يضعه ابن سلام مع جميل ، لأن جميلا يمتاز عنه فى فن التشبيب بصدق الصبابة ، بينما كان كثير يتقول ولم يكن عاشقا ، وقد رأى ابن سلام أنه بطائفة المديح ألصق منه بطائفة النسب ، وذكر أن ابن أبى حفصة كان يعجبه مذهب كثير فى المديح جدا ويقول : كان يستقصي المديح (٥) فحينما يتفق شاعران

(١) الدكتور مندور . القدر المنهجي ٢٠

(٢) ابن سلام : الطلقات ١٣٧

(٣) المصدر السابق ٢٦

(٤) المصدر السابق ١٥٥

(٥) المصدر السابق ٥٤٠

كثرة وجوده فعلى ابن سلام أن يبحث عن معيار آخر يُقيّمُهُما به ، وهو الصدق في القول وبه تفوق جميل على كثير .

ويقول الدكتور مندور ■ إننا نلاحظ أنه يورد ما يختاره للشعراء المختلفين ، أو يورد مطالعه ، ولكنه لا يحلله ولا ينقده ولا يظهر مافيه من جمال أو قبح ، وإن حكم على بعض القصائد أو بعض الشعراء فأحكامه في الغائب هي الأحكام التقليدية التي كانت على الألسن تتداولها عن السابقين ... (وضرب عدة أمثلة) ثم يقول : « وهو أن أورد حُكْمًا لنفسه كقوله عن أصحاب المراثي » « والمقدم عندنا متمم بن نويرة » أو « من الناس من يفضل قيس بن الخطيم على حسان ولا أقول ذلك » لم يَسَبِّبْ أحكامه ، بتحليل النص أو ذكر لصفات مميزة ، وإن أورد خصائص جاءت عامة غامضة غير دقيقة كقوله عن أبي ذؤيب الهذلي إنه « شاعر فحل لاعجيزة فيه ولا وهن » وعن عبد بن الحسحساس أنه « حلو الشعر رقيق حواشي الكلام » وعن البعيث « أنه فَاخِرُ الكلام حي اللفظ » وأمثال ذلك مما لا تحديد فيه ولا تفضيل (١) .

وإذا علمنا أن ابن سلام وازن بين أقوال الشعراء وفاضل وقيم معتمدا على رأى العلماء ورأيه في الشعراء وشعرهم — ما لاداعى معه لتكرار الأمثلة فقد سبق لنا ذكرها وهي موجودة في الكتاب ومقام به ليس التحليل — بديها — ولكنه الخطوة الأولى للتحليل وَمَنْ حَلَّلَ من النقد بعد ابن سلام اعتمد على أقوال ابن سلام وأقوال غيره من العلماء والنقاد .

وفي سنة ١٩٥٦ ظهرت دراسة للدكتور ناصر الدين الأسد وموضوعها « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » (٢) وهي دراسة توفر عليها صاحبها ، وأعطاها من الجهد الصادق ، والاطلاع الواعي ، والصبر الجميل ما جعلها أحد المصادر الأساسية في البحث عن بعض جوانب العصر الجاهلي .

وكان بحث الدكتور متعدد المناحي ، متشعب الأفكار ، وقد أفدنا به أيما إفادة في بحثنا ، ووفر علينا كثيرا من المشقة والجهد في معالجة بعض المسائل

(١) الدكتور مندور : النقد المبهجى ٢٠ ، ٢١

(٢) الطبعة الثانية لهذه الدراسة ظهرت سنة ١٩٦٣م وتوالت بعدها الطبعات حتى سنة ١٩٧٨م

الشائكة التي يموج بها العصر الجاهلي ، ولكننا دائما نبحث عن ابن سلام فيما نقرأ وكان نصيبه في هذا المرجع كبيرا .

يقول الدكتور ناصر الدين (١) :

«أورد ابن سلام في طبقاته قول عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه ، ثم عقب عليه بقوله : فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولغت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الشعر وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا روايه الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك ، بالموت والقتال فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير.» ٤

وكلام ابن سلام هذا ثلاثة أشرطة : آخرها حق ، وموسطها باطل ، وأولها يحتاج إلى فصل بيان يوضحه ، أما الحق الذي لامرئة فيه فقوله « فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير » ٥

وسنعود إلى هذا القول ونفصل وجه الحق فيه .

وأما الباطل الذي لم نعد نشك في بطلانه وفساده ، فهو هذا التعميم الواسع في قوله (فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب) وقد كان في البابين الأول والثاني من هذا البحث من البيان والتفصيل مانحسب أنه يغنينا عن تكرار القول ■

وحسبنا أن نورد ثلاثة أمثلة من كتاب ابن سلام نفسه تنقض هذا القول : أو على الأقل تضيق مافيه من تعميم واسع . فقد عاب ابن سلام بعض علماء قبله — أي علماء القرن الأول — الهجري — باكتفائهم بالأخذ عن الدواوين المدونة والكتب المكتوبة فنيزهم بأنهم صحفيون وذلك قوله عن الشعر القديم . « وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء وليس لأحد — إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى » ٦

(١) مصادر الشعر الجاهلي — ص ١٩٤ وما بعدها الطبعة الخامسة ١٩٧٨م

وقد قال عقب قوله السابق الذى أنكر فيه هذه المدونات « وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، ومأمّدح هو وأهل بيته به صار ذلك إلى بنى مروان أو صار منه » ثم ذكر ابن سلام نفسه أنه رأى شعرا جاهليا في كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا ، منذ أكثر من مائة سنة ، « فإذا أضفنا إلى كلام ابن سلام ما فصلنا فيه القول في البابين الأول والثاني وضح لنا ما في قوله (فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب) من خلل وفساد ،

أما الشطر الثالث الذى يحتاج إلى فضل بيان يوضحه فهو قوله « فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوها بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل) ، ولايستبين لنا خطر هذا القول إلا حين نتطرق إلى الحديث عن الشك في الشعر الجاهلى ونحله — فى الباب الرابع من هذا الكتاب — ولابد لنا من قبل ذلك من أن نتساءل هنا : أحق أن العرب قد لهُوا عن رواية الشعر فى هذه الفترة من حياتهم فغفلوا عنه ونسوا ذكره وأضربوا عن روايته ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فكم من السنين أو من القرون بلغت هذه الفترة ؟ ثم أمن الحق أنهم حينما راجعوا روايته — إذا سلمنا بانقطاعهم عنها ألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ؟ ،

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد لنا من استقراء تاريخى نتبع فيه حياة الرواية عند القدامى مبتدئين بالمعالم الواضحة فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، ومتدرجين منها إلى الوراء حتى نصل إلى أقصى ما نستطيع أن نصل إليه من معالم حياة الرواية الأدبية ،

فاذا ما بدأنا بعهد بنى أمية ، وجدنا أن بعض القوم آنذاك كان يرى العلماء العارفين بالشعر الجاهلى قد ماتوا ، ونحن نحسب أن هذا الضرب من الكلام موجود فى كل عصر وأنه لا يصح أن يُحمل محملا لفظيا قاطعا ، وإنما هو ضرب من التحسر على الماضى ، وتمجيد القدماء ، والإقرار بضعف الحاضر وعجزه ، إذا ما قيس بالقديم السابق عليه .

فأبو عمرو بن العلاء حينما سُئل عن قول امرئ القيس :

نَطَعْنُهُمْ سُلْكِي وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^(١)
قال : قد ذهب من يحسنه .

وحين سُئل عن قول الشاعر :
زعموا أن كل من العير موالٍ لنا وأنا الولاء
قال : مات الذين يعرفون هذا .

بل أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال على المنبر « ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك، اندرأس الكلام ... وبين الحجاج وأمّية بن أبي الصلت نحو من ثمانين سنة ٤

وسنسوق في إيجاز بعض ما يكشف لنا عن عناية القوم حتى منتصف القرن الأول برواية الشعر الجاهلي وأخبار الجاهليين ، وسنصرف أكثر كلامنا إلى زمن عبد الملك بن مروان ومعاوية بن أبي سفيان ليكون ذلك أبعد زمنا وأدل على مانقصد إليه . »

وإلى أن انتهى الدكتور ناصر الدين الأسد من ذكر أمثلته هذه التي ابتداءً من أجلها الحديث عن ابن سلام في (ص ١٩٤) كانت صفحة (٢٢١) قد أقبلت . وأقبل معها الفصل الثاني من الباب الثالث من الكتاب .

ونرد بأن ابن سلام دقيق في ألفاظه ، ويحاول تحديد المعنى باستخدام الألفاظ المؤدية له بوضوح . وقد استعمل فعل (تشاغل) ولم يقل (امتنع) العرب عن رواية الشعر ، وقال (هت) عن الشعر وروايته ولم يقل « حَرَّمُوهُ » على أنفسهم ، ولما استقرت الحال بهم لم يرجعوا إلى ديوان ولا إلى كتاب مدون لماذا ؟ لأن الدواوين كانت موجودة والكتب كانت موجودة ، ولكنها غير موثوق بها ، دواوين وكتب مُحَرَّفَةٌ مُصَحَّفَةٌ ، فالأفضل الرجوع إلى الرواة والأعراب والقراء ، وأَيْنَ هُمْ هل فنوا كلهم ؟ لا ، هلك منهم بالموت والقتل من هلك ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه كثير . »

(١) سلكي : طعنا مستويا « المخلوجة : المعوجة عن تبيين وعن شمال ، الكَرَّ : الرد ، اللأمان السنيماك .

وهذه القضية بهذا الشكل تخدم قضية الدكتور ناصر ، لأنه يحاول إثبات أن التدوين موجود ، وابن سلام يقول له : نعم كان موجودا ، والرواية أيضا كانت موجودة ، ولكن العرب لم تكن تثق بالمدونات ، ذلك ، للتصحيح الذي هيمن عليها ولشدة ثقتهم بالذاكرة القوية .

والمسألة لها مثيل ، وهو تدوين المصحف ، يقول ابن الأثير « نزل القرآن مَنَجَّمًا في بضع وعشرين سنة ... فلما انتقل الرسول إلى جوار ربه ، وقامت حروب الردة وقُتل فيها أكثر القراء من الصحابة ، وخاصة في يوم اليمامة » حيث قُتل منهم زهاء سبعين ، هال هذا الأمر عمر بن الخطاب ، وكان مستشار أبي بكر وساعده الأيمن وذهب إلى أبي بكر وقال له : إن القتل قد كثر واستَحَرَّ بقراء القرآن يوم اليمامة ، وإني أخشى أن يَسْتَحِرَّ القتل بالقراء ، فيذهب من القرآن الكثير ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن — فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرِّقَاع والعُسْب (١) وصدور الرجال (٢) .»

والقضية واحدة لا تختلف سوى في قدسية القرآن وأهمية جمعه ، وجوهريته ، مع ثانوية جمع الشعر وعدم التزمّت في التنقيب عنه والجرى وراء مظانه ، ومهما دوناه وسجلناه فلن نأتى على نهايته .

والفتوح الإسلامية بعد وفاة الرسول كما هي معروفة حرب الردة ، وجيش أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام التي أعدها الرسول ، ولم يتمكن من إرسالها لقضائه ، ثم أنفذ إلى أبي بكر خالدا إلى الحيرة حين أراد هرقل الانتقام من جيش أسامة ، وجمع جيشا جرارا ، ودعا أبو بكر المقاتلين من جميع أرجاء الجزيرة العربية فلبوا الدعوة بحمية وحماس شديدين ، وسرعان ما أنفذ الجيوش نحو الشمال عقب تجمعهم بالمدينة ، بعد أن عقد اللواء لأربعة من الأمراء هم أبو عبيدة ابن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، على أن يكونوا جميعا تحت إمرة أبي عبيدة ، وأن يستقل عمرو بفتح فلسطين ، وفي عهد عمر تم فتح فارس وفلسطين والشام ومصر ، وفي عهد عثمان فتحت برقة صُلِحًا سنة ٢١هـ

(١) جمع « عسيب » وهو السعفة أو جريدة الحبل إذا يست وكشط حوصنها

(٢) ابن الأثير — الكامل ٤١/٢ . وابن عساکر — هديب التاريخ الكبير ١٣٢/٥

وفتح طرابلس عَنوة سنة ٢٢ هـ ، وفي سنة ٢٧ هـ فكر عبد الله بن أبي السرح في غزو افريقية ، ولما غابت أخباره عن المدينة أرسل إليه عثمان جيشا كبيرا وعلى رأسه عبد الله بن الزبير الذي عَدَّل من منهج جيش ابن أبي السرح وإذ كان يحارب في الصباح ويستريح في المساء وانتصر ابن الزبير على جرير مَلِكهم وعاد بالغنائم إلى المدينة (١) .

وهأنح نرى أن كل الكفاءات العربية ، من بَشَرٍ وعتاد هبت للكفاح في سبيل نشر الإسلام ولم يبق في الجزيرة سوى الشيوخ والصبيان والنساء والعجزة فأين مكانُ الشعر هنا ؟ وأين جلساته وندواته ومناقشاته وتحزبه ؟ أين الجزيرة تُخْرِجُ آخر أسهمها من جَعِبَتِهَا لتقوم برسالتها المكلفة بها .

إذن تشاغلت ولهت ، وهلك منها الكثير ، وحين استقرت بحثت عن نفسها فلم تثق بالدواوين الموجودة واكتفت بالمروى الموثوق به من قصائد شعرائها وبطولات فحولها وهذا أدى إلى انتحال الشعر والوضع فيه .

وإذا أردنا أن ننقض هذا القول على ابن سلام فعلينا أن نبحث في حدود عهد الرسول ﷺ ، ثم عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، حيث كانت الجزيرة في شغل شاغل عن الشعر وروايته والأحداث التي نشبت بين كل من على ومعاوية كان ميدانها العراق والشام لا الجزيرة العربية .

فإلى سنة ٣٠ هـ نبحت عن نقض قضية ابن سلام ورد قوله عليه ، أما الدكتور ناصر الدين الأسد فجعل رده يبدأ بمعاوية وعصره ، وعبد الملك والحجاج وغيرهم . والاستقرار بدأ يضرب أطنابه منذ عهد عثمان الذي بدأ بقتل عمر سنة ٢٣ هـ ، فكيف نبحت عن أرجاء الدولة الأموية عن شواهد لتؤكد لنا أن المسلمين لم يشغلوا عن الشعر في عهد صدر الإسلام ، وإذا روى أبو بكر وعمر ، وعثمان والصحابه الشعر فهل معنى ذلك أن الناس تركت الحروب والفتوح والغنائم والسبايا وانهمكت في الشعر ؟ لقد كان هناك شعر ونستطيع أن نشير إليه في هذه الفترة بالذات ، ولكن لم يكن هِمَّ العرب آنذاك .

(١) الطبري : تاريخ الأمم / ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ١٩٥/٢ ، البلاذري . فتوح البلدان ٢٣١/٢٣٤

الخاتمة

عاش ابن سلام في العصر العباسي الأول ، الذي احتوى مباحج العلم والفكر والأدب ، والبيئة التي عاش فيها ابن سلام هي البصرة ، ريبة الفكر اليوناني وقد فرضت عليها ظروف حياتها التجارية أن تكون واقعية منطقية متكيفة مع الأحداث .

والبيت الذي عاش فيه ابن سلام حوى أباه مُحبّ العلم وأخاه الفقيه وهو الناقد الراوية ، فكان ابنه عَوْنٌ محبا للأدب أيضا وابن اخته الفضل بن الحباب القاضي الأديب الفقيه الورع .

وبنو جمح — القوم الذي ينتسب إليهم ابن سلام ولأء — قوم عرب عدنانيون مُضَرِّيون قرشيون مكيون — أبناء عمومة لفرع النبي ﷺ قد توارثوا المجد والسؤدد منذ بزوغ رفعة شأن قريش الأباطح .

وقدامة بن مظعون مولى سالم — الذي من ولد عبيد الله وعبدالرحمن ، وفيما نعتقد أن عبد الله أيضا ، كان بدريا مهاجرا ، وذهب إلى البحرين ووليها لعمر بن الخطاب وشرب الخمر فحده عمر وانتهر فرصة فك الحصار المضروب على الصحابة في المدينة فهاجر قدامة بن مظعون إلى البصرة وفيها عاش معه سالم وأبنائه .

ومحمد بن سلام الجمحي ولد عام ١٤٩ هـ وتوفي عام ٢٣١ هـ وله من الأبناء ولد يسمى « عون » .

وكتب ابن سلام كثيرة ، ومنها « الفاضل في ملح الأخبار والأشعار » « وبيوتات العرب » و « طبقات الشعراء الجاهليين » « وطبقات الشعراء الإسلاميين » وكتاب « الحلاب وإجراء الخيل » ثم « غريب القرآن » ..

والكتابان « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات الشعراء الإسلاميين » ألفا في زمنين متعاقبين بمقدمتين مختلفتين ، ولإيماء ابن سلام في مقدمة طبقات الشعراء الإسلاميين إلى مقدمة « طبقات الشعراء الجاهليين » ولضياح جزء —

لأندرية من مقدمة طبقات الشعراء الإسلاميين ضم الناسخون^٢، الكتاين، وأدجموا
مقدمتيهما وجعلوهما كتابا واحدا .

وهو في وضعه الأول — كتاين — فَقَدْ طبقة للشعراء الفرسان ، أغلب الظن
أنها كانت ملحقة بكتاب طبقات الشعراء الجاهليين .

وقد كانت لابن سلام مصادر لروايته وتركزت في الأعراب والعلماء والشعراء
والكتب والمكتبات العامة منها والخاصة .

وأما عن شيوخه فيبرز لنا في المقدمة يونس بن حبيب مع أستاذية والده عبيد
الله له ، وهما مع أبي الغراف السلمي ، وشعيب بن صخر جد أبي خليفة
الجمحي ومعهم غيرهم .

وتلاميذه كثيرون في مقدمتهم أبو خليفة الفضل بن الحباب وإسحق بن إبراهيم
الموصلى وعمر بن شبة والرياشى وغيرهم .

وكان لابن سلام اتجاهان كبيران وهما النقد الأدبي والرواية الشعرية . وكتابه
العظيم « طبقات الشعراء » اقتبس له عنوانا جامعا للرواية بطرفيها دينية وهى فى
لفظ « طبقات » وأدبية وهى فى لفظ « الشعراء » .

ووجدنا مخطوطات للكتاب سبقت مطبوعاته ، وهى تلك التى توجد فى دار
الكتب بالقاهرة تحت رقم (٣٦ أدب ش) وهذه المخطوطة كتبت سنة ١٣٠٣ هـ
ونسخ منها نسخة ثانية سنة ١٣١٠ هـ وهى تحت رقم (٣٧ أدب ش)
ونسخ منها أيضا نسخة لمكتبة الاسكندرية العامة « البلدية » سابقا وهى تحت رقم

١٧٧ تاريخ

٨١٦٧ ج

ومطبوعات الكتاب كثيرة أولها طبعة يوسف هـل وكانت سنة ١٩١٦ م ثم
طبعة السعادة نشر حامد محمد عجان وكانت سنة ١٩٢٠ م ثم طبعة المحمودية
ووصلت إلى دار الكتب سنة ١٩٣٤ م وهى بدون تاريخ ثم طبعة دار المعارف
تحقيق الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر وكانت سنة ١٩٥٢ م .

ولاحظنا على تحقيق الأستاذ شاكر بعض الملاحظات وهي :

أنه أضاف لفظ « فحول » على عنوان الكتاب بلا مبرر ، وأنه لم يرجع إلى المخطوطة (٣٦ أدب ش) أو غيرها من المخطوطتين ، كما أنه أضاف فقرات إلى صلب الكتاب بدعوى وجود شبه بين سياق الكلام في كتاب الطبقات وبين بعض الأخبار لابن سلام في الأغاني والموشح وأمالى المرتضى . ولم يكلف نفسه أن يضع ثبوتاً بالمراجع وطبعاتها كى سهّل الرجوع إليها عند الحاجة ، كما أنه لم يصور بعض الصفحات من مخطوطته دليلاً مادياً على وجود المخطوطة التى قام بتحقيقها .

وعاد الأستاذ شاكر ونشر الكتاب بعد عثوره على المخطوطة الأم البعثة التى افتقدها . ومراجعتها على مخطوطة المدينة صدر الكتاب في سفرين كبيرين سنة ١٩٧٤ ط المدنى ، فهما الجهد المتوقع من الأستاذ المحقق الكبير ولكن الطبعة الجديدة أبقت على لفظ (فحول) في العنوان واحتوت على إضافات في النصوص . وليس بها ثبت لمصادر التحقيق .

وقد تضمنت مقدمة الكتاب ثلاث قضايا ، هى قضية انتحال الشعر ، وقضية الكوفة والبصرة وما بينهما من تنافس واختلاف ، وقضية اللحن .

وقد قسم ابن سلام الطبقات إلى عشر طبقات للجاهليين وطبقات لأصحاب المراثى وطبقة شعراء القرى العربية وطبقة شعراء اليهود وأخيراً عشر طبقات للشعراء الإسلاميين .

وقد رفضنا فكرة الطبقات هيكلاً عام يوضع فيه الشعراء لأنه لا يبين الفروق الدقيقة بينهم ولأنه لم يوضع لهم من البداية .

واقترحنا نظاماً آخر من الطبقات أسميها « الطبقات المفتوحة » وتلك التى تقوم أساساً على المبادئ الكبرى أو الأغراض العامة فى الشعر مثل المديح والفخر

أو الهجاء أو الزمان أو المكان أو الأساليب البلاغية الخ مما يتيح للشاعر الواحد أن يدخل في عدة طبقات على حسب قدراته الشاعرة .

وعن ابن سلام في عصرنا الحديث قَسَّمْتُ الحديث إلى فصلين :

الفصل الأول : كان بعنوان « أزمة الثقة بالشعر الجاهلي وموقفها من كتاب ابن سلام » حيث سلطت الأضواء على الكتاب حين أثار الدكتور طه حسين الشكوك حول مانتداوله فيما بيننا من شعر جاهلي .

الفصل الثاني : كان بعنوان « مؤرخو النقد الأدبي وموقفهم من كتاب ابن سلام » تلك المرحلة التي بدأت بكتاب تاريخ النقد الأدبي للأستاذ طه إبراهيم، وفيه ناقشنا آراء النقاد والمحدثين في ابن سلام وكتابه، وامتدت هذه المرحلة إلى ما بعد هدوء الثورة التي سببها كتاب في « الشعر الجاهلي » وبعد أن أثمرت جهود مؤرخي النقد الأوائل ظهرت بحوث قد أفادت كثيرا من التجارب التي خاضها الرعيل الأول من الأدباء والنقاد .

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

1

الفهارس الفنية

- ١ — فهرست المخطوطات والمصادر والمراجع .
- ٢ — فهرست الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
- ٣ — فهرست الأبيات الشعرية .
- ٤ — فهرست الكتب التي وردت في البحث .
- ٥ — فهرست الأعلام
- ٦ — الفهرست التفصيلي

١ — فهرس المخطوطات والمصادر والمراجع

(أ) المخطوطات

- ١ — الحاكم النيسابوري : محمد بن عبد الله بن حمدويه .
« معرفة علوم الحديث وأنواعه » . مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية برقم ١٢٢٣ ب .
٨٥ و ١٩٥ .
- ٢ — الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي .
« الكاشف في أسماء رجال الكتب الستة والسنن الأربعة » ، وهو مختصر كتاب تهذيب الكمال . مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية — برقم ٥٨١٦ ح .
٧٩ و ٩٢ .
- ٣ — العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر .
(أ) تقريب التهذيب في أسماء الرجال ، ومعها كتاب « لب البيان في تحرير الانسان » لجلال الدين السيوطي ، مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية برقم ١٤٠٦ ب .
٨٠ و ٩٢ .
(ب) لسان الميزان ، وهو مختصر كتاب « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية « مكتبة البلدية » برقم ١٠٢٢ ب .
٨٥ و ٨٩ و ٩٣ و ١٢٧ و ١٥٣ .
- ٤ — ابن قاضي شنبه : تقي الدين أبو بكر بن محمد الأسدي الدمشقي .
طبقات النحاة واللغويين ، مصور بدار الكتب ، القاهرة برقم ٤٣٨ .
تاريخ ص ٨٦ ، ٨٩ .

٥ — ابن منجويه ، أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه .
رجال صحيح مسلم ، مخطوط بالمكتبة العامة بالإسكندرية (السند)
برقم ١٢٤٥ ب ص ٩١ .

(ب) المصادر

- ١ — القرآن الكريم .
- ٢ — ابن الأبرص : عبيد بن الأبرص .
« ديوان عبيد » ط ليدن ١٩١٣ م ومعه ديوان عامر بن الطفيل .
٢٣٣ .
- ٣ — ابن الأثير — أبو الحسن علي بن محمد الشيباني .
« الكامل » — ط الحلبي ، القاهرة ١٣٠٣ هـ وعلى هامشه مروج
الذهب و ط الأزهرية ، القاهرة ١٣٠١ هـ .
٦٣ و ٧٧ و ٨١ و ٨٥ و ٨٩ و ٩٣ و ١٢٦ و ١٢٧ و ٢٩٧
- ٤ — ابن الأثير — عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري .
« أسد الغابة » ط المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٠ هـ .
٨٤ .
- ٥ — الأخطل — غياث بن غوث .
« شعر الأخطل ، رواية أبي عبد الله محمد اليزيدي ، تعليق الأب
صالحاني ، ط بيروت ١٨٩١ م .
٤٠ .
- ٦ — الأصبهاني : أحمد بن عبد الله ■ أبو نعيم » .
« حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . ط السعادة ، القاهرة ١٩٣٢ م .
٦٠ و ٨١ و ٨٤ .

٧ — الأصبهاني : علي بن الحسين أبو الفرج .

« الأغاني » ط المؤسسة المصرية العامة من (١-١٦) و ط محمد ساسي المغربي من (١٧-٢٠) و ط دار الكتب ، القاهرة ١٩٣١ م ، بعضها ، و ط الأميرية — القاهرة ١٢٨٥ هـ ، بعضها .

١٧ و من ٢٠-٢٢ ومن ٢٦-٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٠ ومن ٤٢-٤٤ ومن ٤٦-٥٠ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ و ٨٢ و ٨٤ و ٩١ و ٩٩ و ١٠٦ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢٠ و ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٤٢ و ١٥٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٦ و ٢٠٤ و ٢٥٥ و ٢٩٨ .

٨ — الأصمعي : عبد الملك بن قريب .

« فحولة الشعراء » تحقيق الزينى وخفاجى ط المطبعة المنيرية ، القاهرة ١٩٥٣ م .

٣٩ و ١٨٨ .

٩ — ابن أبي أصيبعة : أبو العباس أحمد بن القاسم .

« عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » المطبعة الوهبية ، الأولى ، الجزء الأول ١٢٩٩ هـ والثانى ١٣٠٠ هـ .

٦٤ و ٨٧ و ٨٨ .

١٠ — امرؤ القيس : ابن حجر بن الحارث الكندى .

« الديوان » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ١٩٦٤ م ، الطبعة الثانية .

٢٣٣ .

١١ — الأنبارى : أبو البركات ، عبد الرحمن محمد ط القاهرة ١٢٩٤ هـ .

« نزهة الألباء فى طبقات الأدباء » أى النحاة .

٨٥ و ١٢٨ و ١٥٣ .

- ١٢ — البخارى — أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة .
 التاريخ الصغير . ط حيدر آباد — ١٣٢٥ هـ ، الأولى .
 * التاريخ الكبير ، ط حيدر آباد — ١٣٦٠ هـ ، الأولى .
 ٨٠ و ٨٤ .
- * الصحيح ، بحاشية السندی ، ط مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .
 ١٣٧ .
- ١٣ — البغدادى ، الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت .
 * تاريخ بغداد ، ط السعادة ، القاهرة ١٩٣١ هـ ، الأولى .
 ٦٦ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٢ و ١١١ و ١٢٧ و ١٥٣ .
- ١٤ — البغدادى — عبد القادر بن عمر .
 * خزانة الأدب ولب لباب العرب ، ط السلفية . القاهرة ١٣٤٧ هـ .
 ١٨٧ و ١٩٦ .
- ١٥ — البكرى ، أبو عبيد الله : عبد الله بن عبد العزيز .
 .. معجم ما استعجم ، ط مصر ١٣٦٤—١٣٧١ هـ .
 ٧٧ و ٧٨ و ٨٤ .
- ١٦ — البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر .
 .. أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ط القاهرة ١٩٥٨ م .
 ٧٧ و ٨٠ و ٨١ .
- فتوح البلدان ط ليدن ١٨٦٦ م و ط الموسوعات القاهرة ١٩٠١ م —
 الأولى .
 ٣٧ و ٦٩ و ٢٩٧ .
- ١٧ — الترمذى — محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) .

صحيح الترمذى ، بشرح ابن العربى ، المطبعة المصرية ، القاهرة ،
الأولى من ١٩٣١ م .

٧٩ و ٨١ و ٨٤ و ٨٥ .

١٨ — ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف .
* النجوم الزاهرة — ط دار الكتب ، القاهرة من ١٩١٢—١٩٢٩ م .
٨٥ و ٩٣ و ١٢٨ .

١٩ — التنوخى ، المحسن بن على .
* نشوار المحاضرة ، تحقيق غبور الشالحى ، ط بيروت ١٩٧١ م .
٩٣ و ٩٤ .

٢٠ — ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) .
مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف ، القاهرة
سنة ١٩٤٨ م .
١٠١ و ١٢٠ .

٢١ — الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) .
* البخلاء ، تحقيق الدكتور طه الحاجرى ط دار الكاتب المصرى ،
القاهرة ١٩٤٨ م .
٦٦ .

* البيان والتبيين . تحقيق السندوبى ، ط الاستقامة القاهرة ، الطبعة
الرابعة ، وتحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٦١ م .
٢٨ و ٢٩ و ٤٦ و ٦١ و ٦٥ و ١٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣
٢٠٥ و

* التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق دار الفكر ودار البحار ، بيروت
١٩٥٥ م .
١٤٠ .

« ثلاث رسائل ، ط المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

. ٥٩

« الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الحلبي ، القاهرة ١٩٢٨ م ،
الاولى .

٣٨ و ١٠٠ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٨٩ و ١٩٦ و ١٩٨ .

« القول في البغال ، تحقيق الدكتور شارل بلا ، ط الحلبي ، القاهرة
١٩٥٥ م .

. ١٠١ و ١١٩ .

٢٢ — ابن الجراح ، أبو عبد الله محمد بن داود .

« الورقة ، ط دار المعارف . القاهرة ١٩٥٣ م .

. ١٠١

٢٣ — الجرجاني — عبد القاهر .

« الدلائل .

. ١٩

٢٤ — ابن الحزري : الدين أبو الخير محمد بن محمد .

غاية النهاية في طبقات القراء . ط السعادة ١٩٣٣ م ، نثر

برحستراسر .

. ٩٣

٢٥ — ابن جنجل ، أبو داود ، سليمان بن حسان الأندلسي .

طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، ط المعهد العلمي

الفرنسي لآختار . القاهرة ١٩٥٥ م .

. ٦٤

— بن جماعة : بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله .

• تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، ط أم القرى
١٣٥٨ هـ .

١٢٦ و ١٩١ .

٢٧ — ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد .
• صفة الصفوة ، ط حيدر آباد ، ١٣٥٥ هـ ، الأولى .

٦٠ .

٢٨ — الجهشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس .
• الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، ط الحلبي ،
القاهرة ١٩٣٨ هـ .

٣١ .

٢٩ — أبو حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن الإمام .
• الجرح والتعديل ، ط حيدر آباد ، ١٩٦١ م ، الأولى .

٨٦ .

٣٠ — ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري .
• الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ط المطبعة الأدبية ، القاهرة
١٣١١ هـ .

٦٣ .

• جمهرة أنساب العرب ، ط دار المعارف ١٩٦٢ م ، تحقيق
عبد السلام هارون

٨٠ و ٨٣ .

٣١ — الحموي — شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت .
• معجم الأدباء ، ط دار المأمون ، الحلبي ، القاهرة ١٩٣٦ م
٨٥ و ٨٨ و ٩٣ و ٩٥ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٩٦ و ٢٠٣ و ٢٠٤ .

* معجم البلدان ط صادر ودار بيروت ١٩٥٥ م .

٤٤ و ٦٩ و ٩٤ .

٣٢ — ابن حنبل ، أحمد .

* المسند ، ط الحلبي ، القاهرة ١٣١٣ هـ و ط دار المعارف ، القاهرة
١٣٤٦ هـ بتحقيق أحمد شاکر .

٧٩ .

٣٣ — الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحی ، ابن العماد .

* شذرات الذهب فی أخبار من ذهب ، ط القدسي ، القاهرة
١٣٥٠ هـ .

٨٩ و ٩٣ و ١٢٨ و ١٥٥ .

٣٤ — الخزرجي : صفي الدين الخزرجي .

* خلاصة تهذيب الكمال فی أسماء الرجال ، ط المطبعة الخيرية ،
القاهرة ١٣٢٢ هـ ، الأولى .

٩٢ .

٣٥ — ابن خردادبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله .

، المسالك والممالك ، ط دي غويه ، ١٨٨٩ . وبديله نبذة عن كتاب
« الخراج ، وصناعة الكتابة » لأبي الفرج قدامة بن جعفر .

٦٩ .

٣٦ — ابن حلدون ، عبد الرحمن بن محمد .

، المقدمة ، تحقيق ، لجنة البيان العربي ١٩٥٧ م .

٦١ و ١٥٥ .

٣٧ — أبو داود : سليمان ، أبو داود بن جازود الطبراني .

، المسند ، ط حيدر آباد ، ١٢٣١ هـ الطبعة الأولى .

٨٠ .

١٣٢٠
٣٨ — ابن دريد ، أبو بكر بن دريد .
* الاشتقاق ، ط السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٨ م ، تحقيق عبد السلام هارون .
٨٠ .

٣٩ — الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي .
* تذكرة الحفاظ ، ط حيدر آباد ، بدون تاريخ ٩٣ و ١١٣ .
* دول الإسلام ، ط حيدر آباد ١٣٦٤ هـ الطبعة الثانية .
٩٣ .
* سير أعلام النبلاء ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٧ م ، تحقيق .
٧٩ .
: ميزان الاعتدال ، ط السعادة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ ، الأولى .
٩٣ .

٤٠ — الراغب الأصبهاني ، حسين بن محمد .
* محاضرات الأدباء ، ط ابراهيم المويلحي ، ٥٩ القاهرة ١٢٨٧ هـ .
٤١ — ابن رُسْتَة ، أبو علي أحمد بن عمر .
* الأعلام النفيسة ، ط ليدن ١٨٩١ م المجلد السابع .
٦٢ .

٤٢ — ابن رشيقي ، أبو علي الحسن القيرواني .
* العمدة ، ط السعادة ، القاهرة ١٩٠٧ م .
٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ١١٨ و ١٥٣ .

٤٣ — الزبيدي — أبو بكر محمد بن الحسن .
« طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤ م ، الأولى .

٨٦ و ٨٩ و ٩٣ و ٩٤ و ١٠١ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٩ و ١٢٤
و ٢٨٣ .

٤٤ — السخاوى : شمس الدين محمد عبد الرحمن .
« الإعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ ، ط الترقى — دمشق ١٣٤٩ هـ .
١٥٤ .

٤٥ — ابن سعد ،
« طبقات ابن سعد محمد بن سعد ، كاتب الواقدي
٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٣ و ١٣٨ و ١٩٥ .

٤٦ — ابن سلام . محمد بن عبد الله — أبو عبد الله .
« طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين :
(أ) تحقيق يوسف هـل ، ط ليدن ١٩١٦ م .
(ب) نشر حامد عجمان الحديد ، ط السعادة ١٩٢٠ م .
(ج) طبعة المحمودية وصلت إلى دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م .
(د) نشر محمود على صبيح ، ط السعادة ، بدون تاريخ .
(هـ) تحقيق محمود شاكر ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٢ ، وبها
لفظ « فحول » .
(و) تحقيق محمود شاكر ، ط المدني سنة ١٩٧٤ م . وبها لفظ
« فحول » .

في مواطن عديدة ...

٤٧ — السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد .
« الأنساب ، ط ليدن ١٩١٢ م .
٨٨ .

٤٨ — السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله .
« أخبار النحويين والبصريين ، تحقيق الزيني وخفاجي ، ط الحلبي ،

القاهرة ١٩٥٥ م ، الأولى .

٨٥ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٦ و ١٩٩ و ٢٠٣ .

٤٩ — السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن .

* الأشباه والنظائر ، ط حيدر آباد ، ١٣١٦ هـ .

٦٦ و ١٣٧ .

* الاقتراح ، ط حيدر آباد ، الركن ، ١٣١٠ هـ .

١٩٨ .

* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط السعادة ، القاهرة ١٣١٦ هـ ، الأولى .

٨٦ و ٨٩ و ٩٣ و ١١٣ .

* تاريخ الخلفاء ، ط المدني ، القاهرة ١٩٦٤ م ، الطبعة الثانية .

٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٧ .

* المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ط الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وزملائه .

٩٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١١٣ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٧ و ١٥٤ و ١٨٨ و ٢٠٤ .

٥٠ — سيبويه : أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر .

* الكتاب ، ط بولاق ١٣١٦ هـ .

١٩٩ .

٥١ — الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، ط الحلبي ، القاهرة ١٩٦١ م .

٤٢ و ١٢٠ .

٥٢ — أبو طالب : الفضل بن سلمة بن عاصم .

* الفاخر ، تحقيق عبد العليم الصاوى ، ط وزارة الثقافة ١٩٦٠ م .
١٠٥ .

٥٣ — الصَّفَدَى : صلاح الدين خليل بن أيبك .
* نُكْتُ الهَمَيَّانِ فى نُكْتُ العَمِيانِ ، ط الجمالية ، القاهرة ١٩١١ م .
٩٤ .

٥٤ — الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير .
* تاريخ الأمم والملوك .
(أ) ط الحسينية ، القاهرة ، الأولى ، بدون تاريخ .
(ب) ط دار المعارف ، الجزء الأول والثانى ، تحقيق عبد السلام
هارون — القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٥٦ و ٥٩ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٩ و ٢٩٧ .
٥٥ — ابن الطقطقى : محمد بن على بن طباطبا .
* الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تحقيق محمد عوض
وعلى الجارم ، ط دار المعارف ١٩٣٨ م .
٥٥ و ٦١ و ٦٤ .

٥٦ — أبو الطيب اللغوى — عبد الواحد اللغوى الحلبى .
* مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط نهضة مصر
١٩٥٥ م .

٨٥ و ٩٣ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٥ و ١٢٤ و ١٢٧ و ١٥٣ .
٥٧ — ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله القرطبى المالكى .
(أ) الاستيعاب .
٨٠ و ٨١ و ٨٥ .

(ب) مختصر جامع بيان العلم وفضله .
١٩٧ .

٥٨ — ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد .

* العقد الفريد ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ م .

٤٩ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٨٠ و ١٠٠ و ١٤٠ .

٥٩ — أبو عبيدة : معمر بن المثنى .

(أ) نقائص جرير والفرزدق ، ط ليدن ، ١٩٠٥ م .

١٨٩ .

(ب) كتاب « الخيل » ، ط حيدر آباد ١٣٥٨ هـ ، الأولى .

١٨٩ .

٦٠ — أبو العتاهية .

* الديوان ، تحقيق الأب شيخو ، ط بيروت ١٩١٤ م .

٦١ .

٦١ — ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله .

* تهذيب التاريخ الكبير ، ط روضة الشام ١٣٢٩ هـ .

٧٩ و ٨٣ و ٢٩٦ .

٦٢ — العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر

العسقلاني .

(أ) تهذيب التهذيب ، ط حيدر آباد ١٩٢٧ م ، الأولى .

٩٢ و ١١٣ و ١١٥ .

(ب) فتح الباري في شرح صحيح البخاري .

١٣٧ .

٦٣ — العسكري — أبو أحمد ، الحسان بن عبد الله .

* شرح ما يقع فيه التصحيف .

٨٧

٦٤ — أبو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن علي .

المختصر في أخبار البشر ، ط الحسينية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ ، الطبعة الأولى .

٧٧ و ١٢٦ .

٦٥ — ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني .

« مختصر كتاب البلدان ، ط ليدن ١٣٠٢ هـ .

١٩٩ .

٦٦ — القالي ، أبو علي بن اسماعيل بن القاسم .

ط بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ ، الطبعة الأولى .

(أ) الأمالي : ٧٢ و ١٠١

(ب) ذيل الأمالي : ١٠٤ و ٢٠٣ .

٦٧ — ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .

(أ) تأويل مختلف الحديث ، ط كرديستان العلمية ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

١٩٧ و ١٩٨ .

(ب) الشعر والشعراء . تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط الحلبي ، الجزء

الأول ١٣٦٤ هـ والثاني ١٣٦٩ هـ .

٢٢ و ٢٦ و ٢٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٨ و ٩٠ و ١٠١ و ٢٩٠

(ج) عيون الأخبار ، ط دار الكتاب ، القاهرة ١٩٢٥ م .

١٠٠ و ١٠١ و ٢٠١ .

(د) المعارف .

٦٩ و ٨٥ .

٦٨ — قدامة بن جعفر — أبو الفرج .

« نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ط الخاشجي والمثنى ١٩٦٣ م .
١٩ .

٦٩ — القفطى : جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف .
« إخبار العلماء بأخبار الحكماء .
٨٧ .

« إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار
الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
٨٥ و ٨٨ و ٩٢ و ٩٣ و ١١١ و ١١٢ و ١١٥ و ١١٦ و ١٢٨
و ١٥٣ .

٧٠ — القلقشندى : أبو العباس سليمان بن إسماعيل .
« نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . ط الرياض ، بغداد ، ١٣٣٢ هـ .
٧٧ و ٨٠ .

٧١ — ابن القيسراني : أبو الفضل محمد بن طاهر بن على القدسي .
« الجمع بين رجال الصحيحين ، ط حيدر آباد ١٣٢٣ هـ ، الطبعة
الأولى .
٧٩ و ٨٣ و ٨٤ و ٩٢ .

٧٢ — الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي .
« فوات الوفيات ، ط بولاق ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .
٦٥ .

٧٣ — ابن كثير : عماد الدين بن إسماعيل القرشي .
« البداية والنهاية ، ط السعادة ، الطبعة الأولى بدون تاريخ .
٧٧ و ٨١ و ٨٥ و ٩٣ .

- ٧٤ — ابن ماجة — أبو عبد الله محمد بن يوسف .
* السنن ، الطبعة الأولى ، المطبعة العلمية ١٣١٣ هـ .
٨٠ و ٨٥ .
- ٧٥ — المبرد — أبو العباس محمد بن يزيد .
* الكامل ، ط التجارية القاهرة .
٢٨ و ٣٤ و ٤٥ و ٥٠ و ٥٥ و ٢٠١ .
- ٧٦ — المرزبانى ، أبو عبيد الله ، محمد بن عمران بن موسى .
* معجم الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج الطبعة الأولى ،
الخلبي .
١٠١ و ١٠٦ و ١٢٤ و ١٣٠ و ١٩٦ و ١٩٧ .
* الموشح ، تحقيق على محمد البجاوى ، ط دار نهضة مصر ١٩٦٥ م .
١٩ و ٢٠ و ٢٤ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٧
٤٨ و ٤٩ و ٦٦ و ٩١ و ١٠١ و ١٠٧ و ١١٥ و ١٢٧ و ١٣٠
و ١٨٨ و ٢٠٣ و ٢٠٤ .
- * نور القبس من المقتبس ، تحقيق رودلف زهايم ، ط بيروت ١٩٦٤ م .
٩٢ .
- ٧٧ — المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على .
* مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط بولاق القاهرة ١٢٨٣ هـ .
٣٦ و ٣٧ و ٥٦ و ٥٩ و ٦٤ و ٩٠ و ٩٥ .
- ٧٨ — المصعب الزيرى : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله .
* نسب قريش ، تحقيق ا. ليفى ، بروفنسال ط دار المعارف ، سنة
١٩٥٣ م .
٨٣ .

٧٩ — ابن المعتز : أبو العباس عبد الله .
« طبقات الشعراء . تحقيق عبد الستار فراج ، ط دار المعارف
١٩٥٦ م .
٥٥ و ٥٩ .

٨٠ — ابن النديم ، محمد بن إسحق ، أبو الفرج .
« الفهرست ط التجارية .
٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٨٥ و ٩٣ و ٩٤ و ١٠٦ و ١١١ و ١١٣
و ١١٦ و ١١٧ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٨ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٥٤
و ١٦٤ و .

٨١ — ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام .
« السيرة النبوية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط حجازي ،
القاهرة ١٩٣٧ م ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، ط الحلبي ،
القاهرة ١٩٣٦ م .
١٧ و ٢٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٤ ومن ٢٣٤
إلى ٢٣٩ .

٨٢ — اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليمنى .
« مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٣٨ هـ ،
الطبعة الأولى .

٦٥ و ٨١ و ٩٣ و ١٠٣ .

٨٣ — ابن أبي يعلى ، أبو الحسن محمد .
« طبقات الخنابلة ، ط السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٢ م .
٩٣ و ٩٤ .

(ج) المراجع

- ١ — إبراهيم أنيس (دكتور) .
في اللهجات العربية .
١٨ .
- ٢ — إحسان عباس (دكتور) .
« شعر الخوارج » ط دار الثقافة بيروت .
٤٢ .
- ٣ — أحمد أمين .
(أ) ضحى الإسلام ، ط الاعتماد ، القاهرة ١٩٣٨ م . ثلاثة
أجزاء ، و ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١ م ،
السادسة .
٣٨ و ٤٣ و ٦٦ و ٦٨ و ٦٩ و ١٣٨ .
(ب) فجر الإسلام ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة
١٩٥٥ م ، السابعة .
٣٢ .
- (ج) النقد الأدبي ، ط لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٢ م .
٤٣ و ٢٣٠ و ٢٨٤ .
- ٤ — أحمد الرفاعي (دكتور) .
« عصر المأمون » ، ط دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٧ م ، الطبعة الأولى .
٥٥ و ٥٦ .

- ٥ — أحمد الشايب .
(أ) تاريخ الشعر السياسى ، ط نهضة مصر ، القاهرة ١٩٤٥ م .
٢٣٧ .
(ب) تاريخ النقائض ، ط النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٤ م .
الطبعة الثانية .
٢٣٣ .
- ٦ — أحمد شلبى (دكتور) .
« تاريخ التربية الاسلامية .
٢٠٥ .
- ٧ — أحمد ضيف .
« مقدمة لدراسة البلاغة العربية ، الطبعة الأولى ١٩٢١ م مطبعة السفور
بالقاهرة .
٢٦١ .
- ٨ — أحمد كمال زكى (دكتور) .
« الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى . ط دا
الفكر ، دمشق ١٩٦١ م ، الأولى .
٧٠ .
- ٩ — أمين الخولى .
« مالك « تجارب حياة » سلسلة أعلام العرب رقم ١١ ، ط وزا
الثقافة والارشاد القومى .
٣٥ .
- ١٠ — بدوى طبانة (دكتور) .
(أ) دراسات فى نقد الأدب العربى ، ط الرسالة ، القاه
١٩٦٠ م ، الثالثة .

١٩ و ١٦٥ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ .

(ب) قدامة بن جعفر ، ط مخيمر ، القاهرة ١٩٥٦ م ، الأولى .

. ١٥

١١ — البستاني .

دائرة المعارف .

٨٦ و ٨٩

١٢ — جورجى زيدان .

« تاريخ آداب اللغة العربية ، ط دار الخلال ، القاهرة ، بتعليق الدكتور

شوقى ضيف .

٦٣ و ٦٥ و ٦٧ و ١٦٥ .

« تاريخ التمدن الإسلامى ، ط دار الخلال ، القاهرة ١٩٥٨ م . بتعليق

الدكتور حسين مؤنس .

٦٦ و ١٣٩ و ١٤٠ .

١٣ — جوستاف لوبون .

« حضارة العرب ترجمة عادل زعتر — الطبعة الثانية — الحلبي .

. ٢١

١٤ — حاجى خليفة .

« كشف الظنون ، ط وكالة المعارف ١٩٤٣ م .

. ٨٩

١٥ — حسن إبراهيم (دكتور) .

« تاريخ الإسلام . ثلاثة أجزاء . ط النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤

م ، الطبعة السابعة .

٥٦ و ٥٧ و ١٥٥ .

- ١٦ — الخربوطلى ، على حسنى .
* المهدي العباسي ، ط. المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، سلسلة
أعلام العرب .
٥٦ .
- ١٧ — الرافعي ، مصطفى صادق .
* تاريخ آداب اللغة العربية ، ط. الاستقامة ، القاهرة ١٩٤٠ م .
١٣٧ و ١٣٨ و ١٩٩ و ٢٥٩ و ٢٦٠ .
- ١٨ — الزركلي : خير الدين .
* الأعلام ، ط. بيروت الخامسة ١٩٨٠ م .
٣٦ و ١٢٧
- ١٩ — سيد قطب .
* النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه . ط. دار الفكر العربي ، القاهرة
١٩٦٠ ، الطبعة الثالثة .
١٥ .
- ٢٠ — سيدة إسماعيل الكاشف (دكتورة) .
الوليد بن عبد الملك ، ط. المؤسسة المصرية العامة — القاهرة
١٩٦٣ م .
٣٧ .
- ٢١ — السندوي ، حسن .
* أدب الجاحظ .
ط. الرحمانى ، القاهرة ١٩٣١ م ، الطبعة الأولى
٨٧ .
- ٢٢ — سهير القلماوى (دكتورة) .

أدب الخوارج في العصر الأموي ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ١٩٤٥ م .

. ٤٣

٢٣ — شارل جيمس ليال :

* ديوان المفضليات ، شرح الأنباري .

. ٢٦٢

٢٤ — شوقي ضيف (دكتور) .

(أ) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٦٥ م الثالثة .

. ٣٨ و ٤٥ و ٤٦ و ٢٨٩ .

(ب) العصر الإسلامي ، ط دار المعارف .

. ١٧

(ج) العصر العباسي الأول . ط دار المعارف ، بدون تاريخ

٢٠٤

(د) النقد . ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ م .

. ١٥

٢٥ — صالح أحمد العلي (دكتور) .

* التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري .

ط دار المعارف بغداد ١٩٥٣ م .

٧٠

٢٧ — طه أحمد إبراهيم :

تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة

. ١٩٣٧ م .

١٨ و ١٦٥ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢

٢٧ — طه الحاجرى (دكتور) .

(أ) فى تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ط رويال ، الاسكندرية
١٩٥٣ م .

١٩ و ٤٢ .

(ب) الجاحظ ، ط دار المعارف الثالثة .

٧٠ .

٢٨ — طه حسين .

(أ) حديث الأربعاء ، الجزء الأول ط دار المعارف ، القاهرة
١٩٢٥ م .

٣٢ و ٦٣ .

(ب) الفتنة الكبرى ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٥ م .

٣٢ .

(ج) فى الأدب الجاهلى ، ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

من ٢٦٣—٢٧٠ .

(د) فى الشعر الجاهلى ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٢٦ م .

٢٦٣ .

٢٩ — عبد الحليم عباس .

أبو نواس ، سلسلة اقرأ (٢١) الطبعة الثانية .

٧٠ .

٣٠ — عمر رضا كحالة .

« معجم المؤلفين ، ط الترقى ، دمشق ١٩٦٠ م .

٨٦ .

٣١ — فان فلهوزن

* سيادة العرب والشيعة والاسرائيليات ، ترجمة ونقد وتعليق د. حسن إبراهيم ومحمد ركي إبراهيم ، ط السعادة ، القاهرة ١٩٣٤ م ، الأولى .
٦٨ .

٣٢ — محمد أحمد الغمراوي .

* النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي ، المطبعة السلفية ، القاهرة
١٩٢٩ م .
٢٧٩ .

٣٣ — محمد عجاج الخطيب .

* السنة قبل التدوين . ط وهبة ، القاهرة ١٩٦٣ م .
١٣٧ .

٣٤ — محمد عطية هاشم .

* الأدب العربي وتاريخه ، ط العلوم ، القاهرة ١٩٦١ م .
٢٧٤ .

٣٥ — محمد فريد وجدى .

* نقد كتاب الشعر الجاهلي .
ط ، القاهرة ١٩٢٦ م ، الأولى
٢٧٣ .

٣٦ — محمد كرد على .

* الإدارة الاسلامية- في عز العرب .
ط مصر ، ١٩٣٤ م .
٣١ .

٣٧ — محمد مصطفى هدارة (دكتور) .
المأمون ، سلسلة أعلام العرب رقم (٥٩) ط الدار المصرية للتأليف
والنشر .

٦٤

٣٨ — محمد مندور (دكتور) .
النقد المنهجي عند العرب ، ط دار نهضة مصر ، الطبعة الحديثة بدون
تاريخ .

١٥ و ٢٨٨ و ٢٩١ و ٢٩٢ .

٣٩ — محمود شاكر (شيخ المحققين)
مقدمة « طبقات فحول الشعراء » ط المدنى ١٩٧٤ م .

١١٧ و ١٤٧ و ١٦٠ .

٤٠ — ناصر الدين الأسد (دكتور)
« مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » .
ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ م .

١٣٩ و ٢٩٣ و ٢٩٤ .

٤١ — يحيى الخشاب (دكتور)
« تراث فارس ، تأليف نخبة من المستشرقين بإشراف ا.ح. اربرى ، وترجمة
أساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة بإشراف الدكتور يحيى الخشاب » .
ط الحلبي ١٩٥٩ م .

٦١ .

٤٢ — يوسف خليف (دكتور)
(أ) حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة . ط دار
الكاتب العربى ، ١٩٦٨ م .

١٩٥ .

(ب) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ م .

٢٣٧

٤٣ — يوهان فك

« العربية » دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ط دار الكتاب

العربي ، القاهرة ١٩٥١ م . ترجمة الدكتور عبد الحلیم النجار .

٢٠٢ .

٢ — فهرست الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

(أ) الآيات القرآنية ^(١) :	(ب) الأحاديث النبوية :
٢ — البقرة	١ — ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات ... ص ١٤٥
* وسع كرسيه السموات والأرض ...، آية ٢٥٥ ص ٢٦٠ .	٢ — إنما الشعر كلام ، ومن الكلام خبيث وطيب ص ٢٥
٣ — آل عمران	٣ — إن الله لم يبعثني بالرهبانية . ص ٨١
* ليس لك من الأمر شيء ... آية ١٢٨ ص ٧٩	٤ — الشعر كلام من كلام العرب ... ص ٢٥
١٠ — يونس	٥ — لو سمعت شعرها هذا قبل قتله لمننت عليه ، ص ٢٦
* فاليوم نُنَجِّيكَ يَبْدَنِكَ ... آية ٩٢ ص ١٠٤	٦ — نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك ... ص ٧٨
٢٦ — الشعراء	٧ — الولاء لمن أعطى الثمن ... ص ٨٤
* قالوا إنما أنت من المُسَحَّرِينَ . آية ١٥٣ ص ١٠٤	
٢٧ — النمل	
* ... وجئتكَ من سبأ نبأً يقين آية ٢٢ ص ٢١٤	

(١) الرقم الذي بجوار اسم السورة ، رقمها في نسخة الشريف .

٣ - فهرست الآيات الشعرية

(ب)

- * مابال عينك - سربُ
٤٧
* أم هل طعائن - والشنب
٤١
* وددت - نهرب
٣٦
* قد علمت - مجرب
٢٣٥
* قد علمت - صُلب
٢٣٥
* من يسأل - لا يخيب
٢٢
* أقول لركب - قارب
٤٩
* ألا يالهف - يصابوا
٢٣٣
* وقاهم جدهم - العقاب
٤٠
* أشاقتك برق - فالمسارب
٣٣

- * وركب - بالعصائب
٤٨
* إياك - غالب
١٢٤
* أتوعد - الغراب
٢٣٣
* فغض الطرف - طلابا
١٢٥ و ٢٤٨
* إذا غضبت - غضابا
١٢٤
* نَحِذِ الله - جَانِبَا
٦٠
* عصافير - بالشراب
١٠٥
* فأتتها طبة - باللعب
٣٤

(ث)

- * إن حلمي - رزيت
٢٣٩

* ولولا الحبشى — يموتوا
٢٣٧

* ألى الفضل — مقيت
٢٣٩

(ج)

* يأبها المزمع — الشاحج
١٨٩

(ح)

* ألتهم خير — راح
٢٤٨ و ١٢٤٢

* دان مسف — بالراح
٢١٣ و ١٠٤

(د)

* مازال حينك — الأسود
١٨٩

* اذا ابتدرت — يسود
٢٩

* ومن كان محزوناً — غدا
٣٤

* وما العيش — وفندا
٣٥

* نظرت بأعلى — مسرد
٢٣

* إنى لمستيقن — غد
٢٤٠

* وقوفا بها صحبى — وتجلد
٢١٩

* أهيم بدعد — بعدى
٤٨

* مقدوفة — بالمسد
٤٤

* سقط النصيف — اليد
١٨

* أمن آل — مزود
١٨

* أحين أعاذت — من الغمد
٢٤٣

* أيها المادح — العباد
٤٢

(ر)

* وإن تسألينا — المسحر
١٠٥

* وما كنت زواراً — سيزور
٣٦

* ماذا تقول — شجر
٢٨

* نعم المجير — مُضَر
٢٤٩

* ثلاثة أهليين — المستآسى

٩٢

* دع المكارم — الكاسى

٢٨

(ض)

* وليس المرء — والنقض

١٨٧

(ع)

* فبت كآنى — ناقع

٢٠٧

* أَمَنَزَتِى — رواجع

٣٩

(ف)

* إن تفخروا — الأشرف

٢٣٩

* عرفت أصدف

٢٣٨

(ق)

* أحمد — معرف

٢٦

* من لم يمت — ذائقها

١٨٧

(ك)

* شقيتم — مالك

٢٣٥

* قذى بعينيك — الدار

٢١

* عجبت — قاهر

٢٣٤

* عجبت — بصائر

٢٣٤

* كأن الغطامط — غفارا

٤٢

* إذا ما الهجارس — الوبارا

٤١

* بكى صاحبى — بقيصرا

٢١٥

* قال ريم — والنظر

١٢٩

* لقد خاب — البر

٤٧

* ما أنس — الوثر

٣٥

* سرى همى — فتر

٣٣

* ذهب الفرزدق — جرير

١٢٦

(س)

* إلى امرؤ — مُضَرَّسَا

٣٨

* أبوك — وخالكا

٢٣٢

(ل)

* إنا إذا نحكم — الفاصل

٢٣٩

* وإني وما نحروا — العُقل

١١٤

* وإني امرؤ — البغل

١١٩

* فمن للقوافي — جرول

٢٣٣

* وأنت امرؤ — بُهِّل

١٣٢

* قبيلة — خردل

٢٨

* نطعنهم سلكي — نابل

٩٦٥

* فإن لم — العواذل

١٩٣

* إن الكريم — فضولا

٢٣٩

* تلك المكارم — أبوالا

٢١٩

* إذا ما الثريا — المفصل

٢٢٣

* وقفا بها صحبي — وتجمل

٢٢٠

* وباستك إذ — ولم أتنحل

٢٣٣

* قالوا نصيبك — أشبالى

١٢٥

* صرمتني — من الحال

١٢٥

* قريبا مربط — خيال

١٨٨

* رقد النوى — والترحال

٤٤

(م)

* من سبأ — العرما

٢١٤

* ما مَرَّ يوم — دما

٤٤

* يحاذرن — تبسما

٣٦

* لنا الجففات — دما

١٩

* فتنّج — ففطم

٢٢٣

* ألا أبلغا — أو حكم

١٣٢

* يادار سلمى — سمسم

٤٥

* ومن يجعل — يشتم

٢٢

* وقد أتناسى — مكدم

٢٠

* ألا أنعم — لم تكلم

٢٠

* أبا مالك — لأم

٢٤٩

* شهدن مع النبي — الكلام

٢٤٩

* تعدو الذئاب — الحامى

٢١٩

* قالت بنو عامر — لأقوام

٢١٩

* طرقتك — بسلام

٣٢

* أبك بكّت — سجّام

٢٣٤

(ن)

* اذا ما قلت — العجان

٢٤٢

* ونبتت — اليمن

٢٠

* أرمى بها — غضون

٢٣

* باتت تشكى — سبعين

٢٢٠

* وكم من قتيل — منى

٤٩

* فألفيت الأمانة — لا يخون

٢٢٠

* إن العيون — قتلانا

١٢٥ و ٢٤٨

* هذا ابن عمى — قطينا

٤٧

(هـ)

* قد وردت — خرشائها

٤١

* لعيمرك — جلودها

١٠٧

* أثاني يؤامرنى — غادها

٤٧

* لعلك — تستخيرها

٢٢١

* تَقَدَّتْ — ونهارها

٣٤

* كَأَن رَّبِيعًا — حمارها

٢٤٢

* ياذا الذبى — أهله

هامش — ١٢٦

* طرقتك زائر — دلالها

٤٣

* ترجى كليب — قديمها

٢٤٢

(ى)

* عميرة — ناهيا

٢٨

* فيات وسادانا — تهاديا

٢٩

* من مبلغ عنى — غاليه

٦٠

* لا يغرنك — دوبا

٥٥

٤ - فهرست الكتب التي وردت في البحث

(أ)

• الأدب العربي وتاريخه
محمد عطية هاشم - ٢٧٤

• أدب الكاتب ، لابن قتيبة
١٦٢ و ١٦٣

• أحبار الدُّلال ، للموصل
١١١

• أخبار طويس ، للموصل
١١١

• أحبار محمد بن عائشة ، للموصل
١١٢١

• أخبار معبد وابن سريج وأغانيهما للموصل
١١١

• أخبار الشعراء ، لعبد الله بن هارون
١٦٤

• الأصمعيات - للأصمعي
٦٦

• أصول الشعر العربي ، لمرجليوث
٢٦٢

• الأعالى ، لأبي الفرج الأصفهاني
١٣١ و ١٦٣ و ١٦٩ و ١٧٠ و ٢٨٨

• أغاني معبد ، للموصل
١١١

• الأعالى ، المنسوب للموصل
١٦٤

• الأمثال ، ليونس بن حبيب
١٠٦

(ب)

• البهاء فيما تلحن فيه العامة للفراء
٢٠٤

• بيوتات العرب لابن سلام
١١٧ و ١١٨ و ٢٩٨

(ج)

• الحلاب وإجراء الخيل لابن سلام
١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ٢٨٣ و ٢٩٨

• الحيوان ، للجاحظ
١١٨

(ت)

• تاريخ آداب اللغة العربية ، لمصطفى صادق الرافعي
٢٥٩ و ٢٧٢

• تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، أحمد طه إبراهيم
٢٨١ و ٣٠١

(د)

• دراسات في نقد الأدب العربي للدكتور بدوي طانة
٢٨٤

(هـ)

• شرح المعانيات للأندلسي
٦٦

• شرح المنهاج ، للأندلسي
٢٦٠

(ط)

• طبقات الأطباء
٦٤

• طبقات أهل العلم والخير ، لواصل بن عطاء
١٣٩

• طبقات أخابطة ، ابن أبي أخابطة
١٤٦

• طبقات ابن سعد
١٣٨

• طبقات ابن سلام
ط دار المعارف ، ٣٠٠
ط السعادة ، ٢٨٥ و ٣٠٠
ط المدني ، ٣٠١

(ك)

• الكتاب ، لسيبويه
٦٦

• الكامل ، للمبرد
١٥٣

(ل)

• لحن العامة ، للكسائي
٢٠٤

• لحن العامة ، لأنى الهيدام كلاب العقيل
٢٠٤

• اللغات ، ليونس بن حبيب
١٠٦

(م)

• مجلة تراث الانسانية
١٦٦

• مجلة الكاتب
١٤٦ و ١٧٢

• محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية...، لمحمد
الخصري حسين
٢٧٣

• محمد ^{عليه السلام} ، لمرحليوث
٢٦٢

• مسند أحمد بن حنبل ،
١٤٥

• مصادر الشعر الجاهلي ، للدكتور ناصر الدين الأسد
٢٩٣

• معاني الشعر ، لابن قتيبة
١٦٢ و ١٦٣

• معاني القرآن ، لابن سلام
١٠٦

• معاني القرآن ، للفراء
٦٦

• معاني القرآن ليونس بن حبيب
١٠٦

• معجم الشعراء ، للمرزبانى
١٣٠

ض يوسف هـ ، ٣٠٠

مختصره رقم ٣٦ أدب ش ، ٣٠٠

مختصره رقم ٣٧ أدب ش ، ٣٠٠

طبقات الشعراء

١١٧ و ٢٦٣ و ٢٧٤ و ٢٨١ و ٢٨٤ و ٢٩٩

• طبقات الشعراء أو الشعر والشعراء ، لعمر بن شبة
١١٣

• طبقات الفقهاء واخترت للهيثم بن عدى
١٣٨

• طبقات اصحابين ، للريدى الأندلسى
٢٨٠ و ٢٨٣

• الثعنى ، للتحليل بن أحمد
١٦٤

• عيون الأخبار ، لابن قتيبة
١٦٣

(غ)

• عرب القرآن ، لابن سلام

١١٧ و ١٦٣ و ١٦٨ و ٢٨٤ و ٢٩٩

• العرب ، لابن عبيدة
٢٠٤

(ف)

• الفاضل في شرح أخبار ، لابن سلام
١١٧

• الفاضل في شرح أخبار وأخبار لابن سلام
١٠٦ و ٢٩٩

• الفرسان لابن سلام
١٦٨

• في الأدب الجاهلي ، للدكتور طه حسين
٢٦٣ و ٢٧٢ و ٢٧٤

• في الشعر الجاهلي ، للدكتور طه حسين
٣٠٢

• في الشعر الجاهلي والرد عليه للدكتور محمد حسين
٢٧٣

(ق)

• قصص الرشح ، لإبراهيم المازنى
٢٧٤

• القول في البعال لنجاحظ
١١٩

« مع زعيم الأدب العرفى ...، لعبد المتعال الصعبدى
٢٧٣

« معلمة الدين والأخلاق » لمرحلوئث
٢٦٢

« المفضليات، للمفضل الضى
٦٦

« مقدمة لدراسة بلاغة العرب، لأحمد ضيف
٢٦٠

« مقدمة المفضليات » لشارل جيمس نبال
٢٦٢

« ملح الأخبار لائن سلام
١١٩ و ١٦٨ و ٢٨٤

« الموشح للمرزبانى
١٦٩ و ١٧٠

« المواراة بين الطائين للآمدى
٢٢٨

« موطأ مالك
٦٦

(ن)

« النقد الأدى، لأحمد أمين
٢٨٤

« النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى، لمحمد أحمد
العمراوى
٢٧٤

« نقد كتاب الشعر الجاهلى لمحمد فريد وحدى
٢٧٣

« النقد المنهجى عند العرب للدكتور محمد مدور
٢٨٨

« نقض كتاب فى « الشعر الجاهلى » لمحمد الخضر حسين
٢٧٢

« النوادر لائن الأعرابى
٢٠٤

« النوادر ليونس بن حبيب
١٠٦

« النوادر الصغير ليونس بن حبيب
١٠٦

« النوادر الكبير، ليونس بن حبيب
١٠٦

(و)

« الوساطة بين المتنبي وحصومه للجرجاني » على بن عبد العزيز
٢٨٠

٥ - فهرست الأعلام

أحمد بن حبل	الأمدي
٩٣ و ١٤٥	٢٨٨
أحمد بن أبي نعيثة	أبان بن عثمان البجلي
١٠٩ و ١١٠	١٠٢ و ١٢٠
أحمد بن شاعر النجم	إبراهيم عليه السلام
٦٥	٢٦٤
أحمد الشاب	إبراهيم بن أدهم
٢٨١ و ٢٣٣	٦٠
أحمد ضيف	إبراهيم بن التمدى
٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢	٩٢
أحمد بن عبد العزيز	إبراهيم بن شهاب
١١٥	١٦٩ و ١٧٦
أحمد بن عيسى الكرخي	إبراهيم بن طيمان (أخذت)
١٣٠	٩٢
أبو أحمد الخطري	إبراهيم عبد القادر المارئي
٩٣	٢٧٤
أحمد بن محمد بن يعقوب	إبراهيم بن مسلم
٨٨	٩٣
أبو أحمد الملبى	إبراهيم بن المنذر
١٥٤	١١٣
أحمد بن غداة	إبراهيم بن المهدي العباسي
٢٤٥	٦٣
الأخوص الشاعر	أبي بن حب بن وهب
٣٦ و ٤٦ و ٥٠ و ١٢١ و ٢٥٥ و ٢٩٠	٧٨
الأحطل	أبي كعب
٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٦ و ٧٢ و ١٠٧ و ١١٥ و ١٢١ و ١٢٥ و ١٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٦١ و ٢٨٢ و ٢٨٦ و ٢٩٠	١٤٦
الأخفش الأثير - عبد الحميد بن عبد العزيز أبو الخطاب	ابن الأثير (س) بن أحمد أبو الكرم المؤرخ
٧٣	٨٥ و ٨٩ و ١٢٧ و ٢٩٧
الأخفش الأوسط - سعيد بن مسعود	أحمد أحمد بدوي
٧٣	١٦٠
	أحمد أمين
	٩٣ و ١٣٨ و ٢٣٠ و ٢٨٤

الأوراق

٣٩

آبري « المستشرق »

٧٤

ابن أبي إسحاق

٢١٧ و ٢٣٦ و ٢٩٦ و ٢٧٦ و ٢٧٨

إسماعيل بن إبراهيم

١٩٢ و ١٩٦ و ٢٦٤

الأسود : رئيس الرباب يوم السار

١٨٩

أبو الأسود الدؤلي

٤٣ و ١١٦ و ١٩٠ و ١٢١ و ٢٠٠—٢٠٦

الأسود بن يعفر (أبو الخراج)

١٤٩ و ٢١٤

الأسدي « أحر بهي سلامة »

٢٤٧

الأتوريون

٣٦

الأشعث بن قيس

١١٨ و ١٩٦

الأصمعي

١٦ و ٣٨ و ٤٣ و ٤٤ و ٦٥ و ٦٧ و ٧٢ و ٩٥ و ١٠٢ و

١٠٨ و ١١١ و ١١٩ و ١٢٣ و ١٦٠ و ١٨٧ و ١٨٨ و

١٨٩ و ٢٠٠ و ٢٠٦ و ٢٧٨

ابن الأعرابي

٦٦ و ٢٠٤

الأعشى (أبو نصر)

١٧ و ٢٠ و ٢٢ و ٤٣ و ٤٧ و ١١٤ و ١٤٢ و ١٤٣ و

١٤٨ و ١٩٣ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢٢٥

أعشى باهلة

٢٢٤ و ٢٢٧ و ٢٥٤

أعشى تعب

٤٦

أعصر بن سعد بن قيس عيلان

١٩٣ و ٢٠٩ و ٢٨٢

الأعبل (الشاعر)

١٨٨ و ٢٥٥

الأقيشر (الشاعر)

٤٨ و ١٢١

امرؤ القيس

١٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٤٠ و ١١٣ و ١١٨ و ١٤١ و ١٤٣ و

١٤٨ و ١٥٠ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و

٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٣ و ٢٦٦ و

٢٩٦

أبو موسى الأشعري

ع ١٩-

الأمويون

٥٦

أمية بن حزنان

١٤٤

أمية بن خلف

٧٨

أمية بن أبي الصلت

١٨٨ و ٢٣٠ و ٢١٤ و ٢٩٦

أبو أمية عبد الكريم المعلم

٢٥ و ١١٩

الأمين « الخليفة العباسي »

٥٧ و ٥٨ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٧ و ٨٩ و ١١٣

أمين الخائني

١٧٤

الأنباري (أبو البركات — عبد الرحمن محمد)

٨٥ و ١٥٣ و ١٥٨

أنس بن حجة

٧١

أنس بن مالك

١٤٦ و ١٩٥

الأنصاري

٢٦ و ٢٧

أوس بن حجر

١٠٥ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٤ و ٢٤١ و ٢٤٢

أوس بن مغراء

١٠٧ و ١٢١ و ٢١٠

و

١١٤

أبو إياس الصديقي	البيضا
١١٩	٢٤٢
أبو أيوب المديني	بكر (قبيلة)
١٠٩ و ١١٠ و ١٢٩ و ١٣٠	١١٨
(ب)	بكر بن أدية
	٣٣
البابليون	أبو بكر بن الأسود
٢٦	٢٣٥
الثانوي الحمصي	أبو بكر الحماني
٨٣	٩٣
البحتري الشاعر	أبو بكر الصديق
٢٢٠	٢١١ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٩٧ و ٢٩٨
الحارثي	أبو بكر بن محمد حرم الانصاري
٨٤	٢٤٥
أبو البختري بن هشام	بكر بن النعلاء
٧٨	١٢١
آل نختيشوع	أبو السائد الكوفي
٦٥	١٩٥
بو بدر	علاء مودود الرسولي
١١٩	٨٤
بدوي طمانه	علاء بن مرده
١٦٥ و ٢٨٤ و ٢٨٦ و ٢٨٨	٢٧٨
البرامكة	أبو السائد الرباحي
٥٧ و ٦١ و ٦٢	١٢٣
بروجلستان	(ت)
١٦١ و ١٦٣	نادية شبرا
المستان « صاحب دائرة المعارف »	٢٣٧
٨٦ و ٨٩ و ١٦٦	تاج الدين بن مكتوب السجوي
رشامة بن ثور العديري المزي	١٢٢
٢١٥	ابن قعري مودي (أبو الحسن)
بشار بن برد	٨٩ و ٨٥
١٢١ و ١٢٢ و ١٢٥ و ١٢٩ و ٢٤٧ و ٢٨٨	بدر نفلت (قبيلة)
بشر بن الحارث الحافي	٢٥٠ و ١٢٥
٦٠	أبو نواف الطائي
بشر بن أبي حاتم	٢٢٠
١٥٢ و ٢١٥ و ٢٢٤	٨٠ و ٨١
بشمس (المعية)	١٢٥
١٢١	

١٢٤ و ١٢٦ و ٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٥ و ٢٤٧ و ٢٤٨
٢٦١ و ٢٨١ و ٢٨٦ و ٢٩٢ و ٢٩٣

جوير بن الحسن
١١٢

جوير بن عبد المسيح
١٢١

جوير الماسي
١٠٢ و ١٠١

ابن أبي جروش
٦٦

جشم بن المخرج
١٨٨

ابن حمدة — يزيد بن عيان
١٠٢

جعفر البرمكي
٦١

أبو جعفر الرؤاسي
١٩٥

جعفر بن سليمان
١٢٤

أبو جعفر المنصور بن المياد (الحامنة العاصي)
٥٦ و ٥٨ و ٦١ و ٦٣ و ٨٢ و ٨٩ و ٩٦

حلقة بن عميد البكري
١٩٦

بنو جمع
٧٧

جميل شينة
٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٥ و ٢٨٤ و ٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤

جميل بن معمر الحمصي
٨٣ و ٨٠

حملة المعية
١٢١

حاددة (قبيلة)
٨٤

ابن حنبل المذلي
٣٥

التوحى
٩٤

التيامة بن أمة الحمصي
٨٤

(ث)

أل ثات المواني
٦٥

ثات بن قرة
٦٥

ثات قنلة الشاعر الأموي
٦٨

ثعلب (أحمد بن يحيى النحوي)
١١١ و ١٢٠

ثو ثعلبة
٢٥٠

أبو تمام
٦٥

(ج)

حاتر بن جندل
١٠٢

حاتر بن عبد الله
١٤٦

الحاحط

٢٩ و ٦٧ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٢
و ٢٠٥ و ٢٧٠

حملة بن الأيهم
١٨

الحجاب السلمي
٢٤٨

حذنة الأثرش
١٩٣

الحرجاني — علي بن عبد العزيز
٢٨١

جبر الشاعر

٣٢ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٦ و ٤٧ و ٥٠ و ٩١ و ١٠٧ و ١٢١

ابن أبي الحديد
 ١٧٦
 بنو حرام بن شمال
 ٢٤٥
 أبو حرب . عبد الرحمن بن سلام
 ٩٠
 الحرورية
 ٤٢
 أبو حزام العكلى
 ١٨٨
 الحسن بن أهيم
 ١١٩
 الحسن البصرى
 ٢٤٧
 أبو الحسن على بن هارون
 ١٦٤
 حسان بن ثابت
 ١٧ و ١٩ و ٢٦ و ٢٨ و ١٤٩ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و
 ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٥٤ و ٢٥٩ و
 ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٨٣ و ٢٩٣
 أبو حسان الزبائدى
 ١٦١
 الحسين بن شاذان المصم
 ٦٥
 الحسين بن أبى صالح
 ١٥٣
 الحسين بن على بن أبى طالب
 ٣٢ و ٣٧
 الحسين بن فهد
 ٨٨ و ٨٩
 الحسين بن يحيى
 ١١٢
 حصين بن الحمام
 ٢٩٢
 الحصري ، ابن أبى اسحاق
 ٤٣ و ٩٠
 الخطبة
 ٢٢ و ٢٨ و ١١٢ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٣٥ و ١٤٢ و ٢٩٣

أبو جهل
 ١٧ و ٢٥ و ٢٣٥
 جورجى زبدان
 ١٥٨ و ١٦٥
 جورجيو ليفى دالافيدا
 ٢٦٢
 (ح)
 ابن حاتم (صاحب المبرج والتعديل)
 ٨٦
 حاجب بن رزاة
 ٢١٤
 حاجب بن يزيد
 ١٠٢
 حاجز الأردى
 ٢٣٦
 حاجى خليفة
 ٨٩
 الحارث بن حاطب الجمحى
 ٨٠
 الحارث بن حنيفة
 ١١٤ و ١٤٢ و ١٤٤ و ١٤٩ و ١٨٩ و ١٩٣ و ٢٨٢
 الحارث بن خالد
 ١١٤
 الحارث بن عباد
 ١٨٧
 الحارث بن كعب
 ٢٢٧
 الحارث بن هشام
 ٧٩ و ٢٢٤
 حامد عجاج الحيدى
 ١٥٨ و ١٦٦ و ٢٨٦
 حانة (المنية)
 ١٢١
 حيش الأعمش الدمشقى
 ٦٥
 الحجاج بن يوسف
 ٣٧ و ٣٩ و ٩١ و ١٩٦ و ٢٠٣ و ٢٩٦ و ٢٩٨

و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٢٣ و ٢٢٣

حفص بن عمر الخوضي
٩٣

حفصة بن عمر بن الخطاب
٨٣

الحكم المستنصر الأموي
١٥٤

حكيم بن أمية
٢٤٩

حمدان بن صفوان الجمحي
٨٢

حماد الراوية

٦٣ و ٦٦ و ١٢٣ و ١٩٠ و ١٩٦ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٦٠
و ٢٦١ و ٢٧٠

حماد بن الزبير
٢٠٦

حماد بن سلمة
٩٢ و ١٠٣

الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي
٨٥ و ٨٨ و ٩٥ و ١٥٣

حميد بن ثور
٢١٢

الحبلي ، ابن العماد
٨٦ و ٨٩

حنظلة (قبيلة)
١١٨

حنظلة بن أبي سفيان الجمحي
٨٣

أبو حنيفة (العمان بن ثابت)
٦٣

آل حنين
٦٥

حبش بن اسحاق
٦٥

حنين بن بلوع الحميري
١٩٦

(خ)

خالد الصقعب الهدي
١٢٠

خالد بن عبد الملك الجمحي
٨٢

خالد بن الوليد
٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٩٧

الختعمي
١٩٥

خرقاء ، ساحبة ذي الرمة
٩٠

آل الخطاط
٢٨

خطاب بن الحارث الجمحي
٨٠

أبو الخطاط الزراري ، صاحب بن زيد
١٠٢

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، المؤرخ
٨٥ و ٨٨ و ٨٩ و ١٢٧ و ١٥٣

حناف بن ندبة
١٦١

خلف الأحمر : خلف بن حيان أبو محرز
٤٤ و ٦٣ و ٨٧ و ٢٠٦ و ٢١٤ و ٢١٩ و ٢٦٠ و ٢٧٠ و ٢٨٦

خلف بن وهب الجمحي
٧٨ و ٨١ و ٢٥٥

خلاد بن يزيد الخاهلي
٢٧٦

أبو خليفة ، الفصل بن الحجاب ، ابن أنخت ابن سلام
٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ١٠٩ و ١١٠ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٩ و ١٧٦

الخليل بن أحمد

٦٧ و ٧٣ و ١٠٤ و ١٢٤ و ١٣٨ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٦٤
و ١٩٩ و ٢٥٥ و ٢٠٦

الخنساء بنت عمرو

٢١ و ٢٢٤ و ٢٢٦ و ٢٥٤

دو كزار — عمار بن عسر
 ١٦٩
 أبو الذبيل
 ٢٤٠
 (ر)
 رؤية من الحاج « الراجز »
 ٤٥ و ١٢١ و ٢٥٥ و ٢٩١
 الراعي ، الشاعر
 ٣٠ و ٧٢ و ١٠٧ و ٢٤١ و ٢٤٢
 الريح من الحقيق
 ٢٤٠
 الريح من مسلم
 ٩٢
 ربيعة « قبيلة »
 ٢٠٩ و ٢٧٧
 ربيعة من حشم
 ١٨٧
 ربيعة من أمية من حلف الجمحي
 ٨٢ و ٨٣
 (ز)
 البرقان من بدر
 ٢٦ و ٢٨ و ١٩١ و ٢١٩ و ٢٢٣ و ٢٣٦
 البرقان من حذار الأسدي
 ٢٢
 ابن الزبير
 ٢٩
 أبو ريد النضال
 ١٥٦ و ٢١٥
 زبدة ست أبي جعفر المبصير
 ٥٧
 الزبيدي الأندلسي ، أبو بكر محمد بن الحسن
 ٨٦ و ٨٩ و ١١٩ و ٢٨١
 الزبير من عبد المطلب
 ٢٣٧ و ٢٩٠
 الزحاحي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق
 ١٦٩ و ١٧٢

الخوارن
 ٤٢ و ٥٦
 حنبل بن خالد ، أبو دؤيب
 ٢١٧
 (د)
 أبو دؤاد
 ١١٤
 الدار قطنى
 ١١٣
 الدار وزيدى
 ٩٢
 ابن داود بن مقيم من نورة
 ١٠٨ و ١٠٩ و ٢٧٨
 دريد بن الصمة
 ١٢١ و ١٦٠ و ٢٥٥
 أبو بكر من دريد
 ٩٤ و ١١٦ و ١١٧
 الدلال المعنى
 ١١١
 دويد بن زيد بن نهد
 ١٧٢ و ١٩٣ و ٢٠٩
 أبو دحل الجمحي
 ٨٢
 ديكارت
 ٢٦٤
 (ذ)
 أبو ذؤيب الهذلي
 ٢٢١
 ذو الإسع العدوي
 ١٨٧
 ذو الأهدام الشاعر الكلافي
 ٢٤٥
 ذو الجاسد : عامر بن حشمه
 ٩١١
 ذو الرمة
 ٣٩ و ٤١ و ٦٤ و ٩٠ و ١٠٧ و ١٢١ و ٢١٣ و ٢٤٣ و ٢٤٧

أبو ربيعة ، المحدث

٩٢

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبيد الله

١٣٧

رغيث بن نسير العبيري

٢٤

الزنادقة

٥٦

زهير بن جناب الكلبي

١٩٣

الزهرى ، الفقيه

٩٢

زهر بن أبي سلمى

٢٧ و ٢٩ و ١٢١ و ١٤٢ و ١٤٨ و ٢١٧ و ٢٢٣ و ٢٢٥

أبو الزوائد

١٢١

زياد بن أبيه

١٤٠ و ٢٠٢

أبو زياد الأنصاري ، سعيد بن أوس اللغوي

٧٣ و ١١٥ و ١٩٥ و ١٩٧ و ١٩٩

زيد بن ثابت

٢٩٧

ابن أبي زيد الخطابي

٢٦١

زينب بنت مظلوم

٨٣

(س)

السائب بن مظلوم

٨٠ و ٨١

سجاح بنت الحارث « المتنبئة »

١٨٨

السجستاني ، أبو حاتم

٩٢

سحيم ، عبد بن الحماص

٢٨ و ٢٩ و ١٢١ و ٢١٥ و ٢٢٢ و ٢٩٣

السخاوي

١٥٣

سديف الشاعر

٥٥

ابن سريج ، المغني

١١١ و ١١٢ و ١٢١ و ١٣٠

السري عبد الرحمن

١٢١

السريان

٣٦

سعد (قبيلة)

١١٨

ابن سعد ، صاحب الطبقات الكبرى

١٣٨ و ١٤٣

نور سعد بن بكر بن هارون

١٠٦

سعد بن مالك

١١٤ و ١٩٣

سعد بن أبي وقاص

١٩٥

أبو سعيد

١١٧

سعيد بن عامر الجمحي

٨٣

أبو سعيد الخدري

١٤٥ و ١٤٦

سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل

١٩٥

سعيد بن عبد الرحمن

٨٢

سعيد بن عثمان بن عفان

٣٢

سعيد بن أبي العروبة

١٢٤

أبو سفيان بن حرب بن أمية

١٦ و ١٧ و ٧٨ و ٧٩

أبو سفيان بن الحارث (الشاعر)

٢٣٢ و ٢٣٥ و ٢٧٦ و ٢٩٠

السموأل بن عادياء
 ٢٣٩ و ٢٦٨
 السندي
 ٨٧
 سودة بن جرير
 ٤٠ و ١٢٥
 سويد بن أبي كاهل البشكري
 ١٤٢ و ١٤٤ و ١٤٩ و ٢٨٢
 سيوية
 ٦٣ و ٦٦ و ٧٣ و ٩٠ و ١٠٤ و ١١٥ و ١٢٣ و ١٢٤
 السيرافي السحوي
 ٨٥
 ابن سيرين
 ٢٤٧
 السيوطي
 ٨٦ و ٨٩ و ١١٣ و ١٢٢ و ١٥٤ و ١٥٨
 (ش)
 شارك جيمس ليال
 ٢٦٢
 الشافعي (الإمام)
 ١٢٦ و ١٢٧ -
 شاعر : الأستاذ محمود شاعر المحقق
 ١١٧ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٥٢ و ١٥٤ و ١٦ و ١٦١ و
 ١٦٢ ومن ١٦٥-١٦٩ ومن ١٧٢-١٧٧
 الشراة (الخوارج)
 ٤٢
 شرحيل بن حسنة
 ٢٩٧
 شريح بن عمران -
 ٢٤٠
 الشعمي
 ١٩٠ و ٢٦٠ و ٢٢٠
 شعراء يهود
 ١٤٩
 شعيب بن صخر الحمصي (حد أبي خليفة الحمصي)
 ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٨ و ١١٩ و ١٦٩

سفيان بن عيينة
 ١١١
 ابن السكيت - يعقوب
 ١٣٨ و ١٦٤ و ١٩٩
 سكينه بنت الحسين
 ٣٢ و ٣٣ و ٣٥
 سلمة بن عباش
 ٣٩
 أبو سلمى : أبو زهير الشاعر
 ١٣٢
 سلامة بن خندل
 ٢٩٢
 سلامة المعية
 ١٢١
 سلام الجمحي : سلام الأب
 ٩ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١٠٦ و ١٠٧
 ابن سلام الجمحي أبو عبد الله
 في مواطن عديدة
 السليك بن السليكة
 ٢٣٧
 سليم (قبيلة)
 ١١٨
 بنو سليم
 ١٥
 سليمان بن الأحفش
 ١٢٠
 سليمان بن حرب
 ٩٣
 سليمان بن عبد الملك
 ٥٥ و ٤٨ و ٤٩
 سليمان بن هشام بن عبد الملك
 ٥٥
 سمالك الأزدي
 ٢٤٩
 سمالك اليهودي
 ٢٤٩

شكيب أرسلان

٢٧٤

الشماع الشاعر

١٤٤ و ٢١٧ و ٢٨٤

الشنفرى ، الشاعر الصعلوك

٢٣٧

ابن شهاب ، الزهرى

٣٥

نور شيبان

١١٨ و ١٩٣

شيبان بن عبد الرحمن التميمى

١٩٥

شينة بن ربيعة

٢٥ و ٧٨

(ص)

صاحب جرير

٣٨

صاحب الفرزدق

٣٨

صالح بن نهان

٨٤

صخر

٢١

صخر أحو الخنساء

٢٢٦

صخر بن عمرو الشريد

١٦١ و ٢٥٥

صفوان بن أمية الجمخى

٧٨ و ٧٩

أبو الصلت بن أمية ربيعة الثقفى

٢١٩

أبو الصلت (أبو أمية الشاعر)

٢٣٠

الصول ، أبو بكر محمد بن يحيى

١٧٦

(ض)

الضبي ، أبو يحيى

١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠

ضرار بن الخطاب

٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٩٠

أبو صمرة ، يزيد بن سنان بن أبى حارثة

١٩١

أبو ضمضم الكلابى

١٢٣ و ٢٧٨

أبو طالب بن عبد المطلب

١٤٩

(ط)

أبو طالب بن عبد المطلب

٢٩٠

أبو طاهر ، محمد بن أحمد

١٥٧ و ١٦١

الطبرانى ، الفقيه

٨٩ و ٩٣

طرفة بن العبد

١١٤ و ١٤٢ و ١٤٤ و ١٤٨ و ١٩٠ و ٢٩٣ و ٢٢٠ و

٢٩٢

الطرماع بن حكيم

٢٨٣

طلحة

٣٧ و ٦٧

طه أحمد إبراهيم

١٦٥ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣

طه الحاجرى

٢٨٤

طه حسين

٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٩

أبو الطمحات القينى

٢٣٦

الطوسى

١٦٤

العباس بن محمد الحاتمي
١٤٦
عباس بن مرداس
١٩٣
العباس بن يزيد الكندي
٢٤٤ و ٢٤٥
العباسة بنت المهدي
٦١
عبد الأعلى بن عبد الله الجهمي
٨٢
ابن عبد البر ، القرطبي الأندلسي
١٩٧
عبد الدار بن قصي
٧٧
بنو عبد الدار
٧٨
عبد الحكم الجهمي
٨٣
عبد الرحمن بن الأشعث
٣٧
عبد الرحمن بن أبي بكر
٣٢
عبد الرحمن بن دوى
١٦٠
عبد الرحمن بن سلام
٩١
عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب
٨٣
عبد العزيز عمر بن مرحوم
٢٤٥
عبد العزيز الجني الراحكوتي
١٧٤
عبد الله بن أبي اسحق
٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧
عبد الله بن جعفر
٢٤٦

طويس ، المعنى
١١١ و ١١٢
أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد الحلبي
٨٥ و ٨٩ و ١٢٧ و ١٥٣ و ١٥٤
(ع)
السيدة عائشة ، أم المؤمنين
٣٧ و ٦٧ و ١٤٦
عائشة بنت طلحة
١٦٩
ابن عائشة ، محمد (المعنى)
١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٣١
عائكة
٨٢ و ٩١ و ١١١
عاصم بن الخديان
٤٢
أبو عاصم النبيل
١١٣
بنو عامر
٢١ و ١٨٩
عامر بن عبد الملك
١٨٧
عامر بن مسعود الجهمي
٨٢
عامر بن مسمع
١٠٢
عناد بن الحجاج أبو الخطاب
٣٩
عناد بن قرص
٨٥
آس عباس ، عبد الله
٢٩
أبو العباس الأعمى
٤٦
أبو العباس السفاح
٥٥ و ٥٦ و ٦١
العباس بن محمد
٥٧

عبد الملك بن مروان
 ٣٧ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٨٣ و ٩١ و ١١٥ و ٢٠٢ و
 ٢٤٦ و ٢٩٦ و ٢٩٨
 ابو عبد مناف
 ٧٨
 عبد مناف بن قصي
 ٧٧
 عبد القاهر بن السري
 ٢٤٩
 عبد الواحد بن زيد
 ٦٠
 عبد الوهاب بن عبيد الله الجهمي
 ٨٢ و ٨٣
 عبيد بن الأبرص ، الشاعر
 ٢٢ و ١١٤ و ١٤٤ و ١٤٨ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٩٠ و
 ٢١٣ و ٢٩٢
 عبيد الله بن زياد
 ٢٠٢
 عبيد الله بن العباس بن عبد مناف
 ١٢٠ و ١٢١
 عبيد الله (أو عبد الله) بن قيس الرقياتي
 ٣٤ و ٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٨٤ و ٢٩٠
 عبيد بن أبي وخرزة السعدي
 ١٠٥ و ١٠٦
 عبيد بن أبي
 ١٢١
 أبو عبيدة بن الجراح
 ٢٩٧ و ٢٩٨
 أبو عبيدة معمر بن المثنى
 ٧٣ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٢٠ و ١٢٣ و
 ١٦١ و ١٦٤ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩٢ و ١٩٧ و ٢٠٠ و
 ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢١٤ و ٢٧٨
 أبو العتاهية
 ٦٠ و ١٢١ و ١٢٦
 عتبة بن ربيعة
 ٢٥ و ٧٨

عبد الله بن رواحة
 ٢٦ و ٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٣٢
 عبد الله بن الزبير
 ٨٢ و ٢٣٤ و ٢٣٥
 عبد الله بن الزبير
 ٣٢ و ٣٧ و ٦٧ و ٨٢ و ٨٣ و ٢٩٨
 عبد الله بن الزبير الأسدي
 ٤٦
 عبد الله بن أبي السرح
 ٢٩٨
 عبد الله بن صفوان الحمصي
 ٨٣
 عبد الله بن عباس
 ١٩٥
 عبد الله بن علي
 ٥٦
 عبد الله بن عمر بن الخطاب
 ٣٢ و ٨٣ و ١٤٦
 أبو عبد الله بن عمر الواقدي
 ١٣٨
 عبد الله بن عمرو الثقفي
 ٢٠٤
 عبد الله بن عطفان
 ١٣٢ و ١٩١
 عبد الله بن مسعود
 ١٤٦ و ١٩٥
 أبو عبد الله هارون بن علي
 ١٦٤
 عبد الله بن همام
 ١٠٧
 عبد المتعال بن عبد مناف
 ١١١ و ١٩٣ و ٢٠٨ و ٢٨٧
 عبد الله بن مطعون
 ٨٠ و ٨٣
 عبد الملك بن الحكم
 ٥٥

عطار بن حاجب
٢٦
أبو العطاء (جرير بن خرقاء)
٢٣
عك بن عدنان
١٩٣
العلاء بن جرير العسري
٢٤٧
علقمة الشاعر
١٤٨
علي بن أمية بن خلف الجهمي
٨١
علي بن أبي طالب
٦٧ و ٦٨ و ١٤٦ و ١٩٥ و ٢٥٠
عمر بن لال الأسدي
٩١
أبو عمر الحمصي
٩٥
عمر بن الخطاب
٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و
١٠٥ و ١٠٦ و ١٤٦ و ١٩٥ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و
٢٣٧ و ٢٥٢ و ٢٦٥ و ٢٩٤ و ٢٩٧ و ٢٩٨
عمر بن أبي خزيمة العبدي
١٣٠
عمر بن أبي ربيعة
٢٤ و ٤٩ و ١١٤ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٣١ و ٢٣٩ و ٢٤٦ و
٢٦٤ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٩ و ٢٩٠
عمر بن شبة
١٠٩ و ١١٠ و ١١٣ و ١١٥ و ١٥٤
عمر بن عبد العزيز
٤٩ و ٨٢ و ٩١ و ٢٠٣
عمد بن عبد الله ، ابن معمر
١٦٩
عمر كحالة
٨٦
عمر بن الحارث
٤٠ و ٧٢ و ١٠٧ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥

ابن أبي عتيق
٣٢ و ٣٤ و ٣٥
عثمان بن سعد
٨٢
أبو عثمان الضرير الكوفي
١٩٧
عثمان بن عفان
٢٧ و ٣١ و ٣٧ و ٢٩٨
عثمان بن مظعون
٨٠ و ٨١
العجاج الرازي
٤٥ و ٢٥٥
بنو العجلان
٢٨
الحجير السلوي
١٠٧ و ١٥٦
عدي بن الربيع العاملي
١٢١
عدي بن زيد
١٤٤ و ١٤٨ و ٢١٤ و ٢٢٨ و ٢٦٨ و ٢٩١
عدي بن كعب
٧٧
المرجسي
٣٥
عروة بن أدية
٣٣
عروة بن الورد العسلي
٢٣٧
أبو عزة الجهمي
٨٢ و ٢٤٩ و ٢٩٠
ابن عساكر
١٧٦
العسقلاني
٨٥ و ٨٩ و ١٢٨ و ١٥٣
العسكري ، أبو أحمد
٨٧

العنبر بن عمرو	عمرو (قبيلة)
٢٠٩	١١٨
العنبري ، الشاعر	عمرو بن أحمـر الباهلي (ابن أحمـر)
١٢١	٢١٥
عترة بن شداد العسي	عمرو بن شأس
١٤٢ و ١٤٤ و ١٤٩ و ١٨٨ و ٢٨٢	١٤٤
عوف بن عطية التيمي	عمرو بن شفيق
١٨٩	١٢١
عون بن محمد بن سلام	أبو عمرو الشيباني
٩٠ و ٩٢	٢٧٠
عيسى بن إسماعيل	عمرو بن الظرب العدواني
١٠٩ و ١١٠	٦٥ و ٢٣٥ و ٢٩٧ و ٢٩٨
عيسى اسكندر المعلوف	عمر بن عبيد
٢٠٤	٦٤
عيسى بن عمر الثقفي	أبو عمرو بن العلاء
٤٣ و ٧٣ و ٢٠٤—٢٠٧	١٥ و ٤٣ و ٤٤ و ٧٢ و ٨٧ و ١٠٣ و ١٢٢ و ١٣٨ و ١٥٥ و ١٨٧ و ١٩٥ و ٢٠٧ و ٢١٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٩٦
عيسى بن عمرو	عمرو بن قميصة
١٩٥	١١٤ و ١٩٣ و ٢١٥
عيسى بن القمان الجمحي	عمرو بن كركرة ، أبو مالك
٨٢	١٢٣
عيسى بن موسى	عمرو بن كلثوم
٥٦	١٤٢ و ١٤٤ و ١٤٩ و ٢٨٢
أبو العيـاء . محمد بن القاسم	عمرو بن سعد يـرب
١٣٠	١١٨ و ١٢٠
عياد بن الحجاج ، أبو الخطاب	أبو عمرو الشيباني
١١٥	١٨٨
ابن عياد ، المغني	عمرو بن يـروع
(غ)	١١٩
غالب أبو الفرزدق	عـمران بن حـطان
٢٤٥	٤٢
أبو الغراف السلمي ، عمرو بن فريد	أبو العـمـيثـل = عبد الله بن حـليـد
١٠٠ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٧ و ١٠٨	١٢٣
الغريض ، المغني	عـمـر بن وهـب الجـمـحـي
١١١ و ١٢١ و ١٢٢	٧٩
ابن غزالة	
١١١	

غولفاد (قبيلة)

١١٨

الحمراوى محمد أحمد

٢٧٤ و ٢٧٦

عيلان بن سلمى

٢٣

(ف)

فاطمة بنت خرقاء

٩٠

فتيلة بنت النصر بن الحارث

٢٦

ابو العدا ، المؤرج

١٢٦

الفراء

٦٣ و ٦٦ و ٩٠ و ١٠٩ و ١١١ و ٢٠٤

أبو الفرج الأصفهاني

٢٩ و ٩٢ و ١١١ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٩

و ١٣٠ و ١٣١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و

١٦٠ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٢ و ١٧٦

المرزوق .

٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٨ و ٧١ و ٩١ و

١٠٧ و ١٢١ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ٢٠٧ و ٢٣٢ و ٢٤١ و

٢٤٢ و ٢٣٤ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٦١ و

٢٨١ و ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢

الفرس

٣٦

الفضل بن الربيع

٥٧ و ٦١

الفصل بن سهل

٦١

الفصل بن عبد الرحمن

(ابن أبى اسحاق)

١٢٤

فصل بن عياض

٩٢

بنو فهد ، قبيلة

١٢٠

(ق)

ابن قاصى شهية

٨٥ و ٨٩

قتادة بن دعامة السدوسي

٢٠٦ و ٢٢١ و ٢٤٧

ابن قتيبة

١٥ و ١٨ و ١٦٢ و ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٩٢

قدامة بن مفلح

٨٠ و ٨١ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٩١ و ٢٣٢ و ٢٧٦

قراد بن حش

٢١٥

القرشي (ابن الحارث)

٨٤

قسطل لوقا البعلبكي

٦٥

القشيري (أبو حيا القشيري)

٢١٩

قصي بن كلاب (القرشي)

٧٧

قضاة (قبيلة)

٧٧

القطامي : عمير بن شثيم

٤٦

قطرب : محمد بن المستنير

٧٣ و ١٣٨

القفطسي

٨٥ و ٨٨ و ٩٢ و ١٥٣

ابن قنير

١٢١ و ١٢٥

قيس (قبيلة)

٢١ و ٢٠٩

ابو قيس بن الأسلت

١٤٩

بنو قيس بن ثعلبة

١٩ و ٢١٥

قيس بن الحداية	قيس بن الحداية
٢٣٦	١٩١
قيس بن الخطيم	الكلدانىون
٢٣٢ و ٢٩٣	٣٦
قيس بن الشماس	كليب وائل
٤٦	٣١٤ و ١٩٣ و ٢٠٩ و ٢٩٨
قيس بن معد يكرب	كثانة بن عبد ياليل
١٧ و ٢٠	٢٣٠
قيس بن الطيم	الكميت ، الشاعر
٢١٥	٤١ و ٤٢ و ٢٠٤ و ٢٨٣
(ك)	الكميت بن معروف
أبو كامل ، المعنى	١٤٤
١١٢	كيساك
كثير بن الصلت الكندى	١٢٠
١٣١	ليد بن ربيعة الكلانى
كثير عزة	٢١ و ٢٨ و ١٤٢ و ١٤٤ و ١٩٠ و ١٩٣ و ٢١٧ و ٢٢٠
٣٥ و ٣٦ و ٥٠ و ٦٨ و ٨٥ و ٩١ و ١٢١ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٥ و ٢٨٤ و ٢٩٠ و ٢٩٣	٢٨٤ و
كثرة بن : مسمع بن عبد الملك	اللعين الممرى
١٨٧ و ٢١٤	٢٤٤
آل الكرخى	لقبط من زارة
٦٥	١٨٩
الكسافى : على بن حمزة	(م)
٦٣ و ٦٤ و ٩٠ و ١٠٤ و ١٠٩ و ١٩٥ و ١٩٦ و ٢٠٤	المأمون بن هارون الرشيد
كعب الأشقرى	٥٧ و ٥٨ و ٦١ و ٦٢ و ٦٤ و ٦٦ و ٨٧ و ١١٣ و ١٢٦
٤٧	مؤرج السئوس
كعب بن سعد بن جهم	١٦٤
٧٧	المازنى النحوى ، أبو عثمان
كعب بن جميل	١١٥
٢١٥	آل ماسرجويه اليهودى
كعب بن زهير	٦٥
١٣٢ و ١٤٢ و ١٩١ و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٢٣ و ٢٢٣	ماسويه الطيب
كعب بن سعد	٨٧ و ٨٨
٢٢٤ و ٢٢٧ و ٢٥٤	مالك بن أسى (الإمام)
كعب بن مالك	٣٥ و ٦٦
٢٦ و ١٤٩ و ٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦	مالك بن أسماء بن خارجة
٢٣٩ و ٢٧٧ و ٢٨٢	١٩٦
	مالك بن حمار التميمى
	٢٦١ و ٢٥٥

محمد الخضرى حسين	مالك بن نويرة
٢٧٢ و ٢٧٣	١٦١ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٥٥
محمد بن حلف ، وكيع	مسارك بن فصالة
١٣٠	٦٤ و ٩٢
محمد بن زياد	المبرد ، محمد بن يزيد السجوى
٨٤	٤٧ و ١٢٠ و ١٥٣
محمد بن شاعر المحم	التملمس ، الشاعر
٦٥	١١٤ و ١:٣ و ١٩٣ و ٢٩٢
محمد عطية هاشم	متمم بن نويرة
٢٧٤	١٠٩ و ١٩٢ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٥٤ و ٢٩٣
محمد بن سفوان الجمحى	المتوكل بن عبد الله اللبتي الشاعر
٨٢	١٩٦
محمد فريد وحدي	المتوكل ، الخليفة العباسى
٢٧٣	٥٨ و ٨٧ و ٩٩ و ١١٣
محمد عبد اللطيف هاشم	الثقف التكرى
١٥٩	٢٣١
محمد بن عبد الله بن قفرجل	أبو محجن عمر بن حسب التقى
٨٨	٢٣٠
محمد بن عمر بن غالب	محمد ، أم عمر بن أنى ربيعة
٨٩	١٣١
محمد بن كثير	محنون للى
٩٤ و ٩٥	١٢١
محمد محمد حسين	أبو محذورة ، أوس بن الوزان الجمحى
٢٧٣	٨٠
محمد بن فريد بن أنى الأهر	أبو محم (الشيان
١١٢	١٣١
محمد مندور	محمد بن إسحاق بن يسار
٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٣	١٩٠ و ٢٠٦ و ٢٦٠ و ٢٨٦
محمد بن يحيى ، أبو عسان	محمد إبراهيم الحمير ، الساج
١١٤	١٥٧ و ١٥٨
محمد بن يحيى	محمد بن أحمد بن ورق
١١٦	٨٩
محمد رشاد سالم	محمد بن حاطب الجمحى
١٧٤	٨٠
عمود الشكرى	محمد بن الحسن
١٥٧ و ١٥٨	١٢٧

أبو مسلم الخراساني	محمود علي صبيح
٥٦ و ٦١	١٥٨
مسلم بن عمر	المخل السعدي
١١٩	١٥١ و ١٥٢ و ١٥٦
مسلم بن الوليد	المختار التقفي
٢٨٨	٣٧
مسلمة بن عبد الملك	مرة بن كعب
٩١	٧٧
المسيب بن علس	مرحليوث
١٩ و ٢٠ و ١١٤ و ١٩٣ و ٢٩٢	٢٦٢ و ٢٧٤
مصطفى صادق الرافعي	مريح اليهودي
٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٧٢	٢٣٥
مصطفى مدور	المرزبان
١٦٦	٢٠ و ١١٥ و ١٣٠ و ١٦٩ و ١٧٢ و ١٧٦
مصعب بن الزبير	المرقش الأصغر
٣٧	١٩٣
آل المطلب بن أبي وداعة السبيعي	المرقش الأكبر
١٣١	١١٤ و ١٩٣
مطعون الحمصي	مروان بن أبي حفصة
٨١	٤٣ و ٥٧ و ٩١ و ١٢١ و ١٢٦ و ٢٠٤ و ٢٤٧ و ٢٨٨ و ٢٩٣
معاذ بن حل	مررد ، أخو الشماع
١٤٦	١٣٢ و ١٩١ و ٢٢٣
معاذ الخراء	مسافر بن أبي عمر
١٩٥	٢٩٠
معاوية بن أبي سفيان	المستنصر ، الحكم المستنصر
٤٦ و ٥٥ و ٦٧ و ١٩٦ و ٢٠٢ و ٢٩٦	١٥٥
معاوية بن عمرو الشريد	المستوغر بن ربيعة
١٦١ و ٢٢٦ و ٢٥٥	١٩٣ و ٢٠٩ و ٢٨٢
أبو معاوية الصريبر	ابن مسجح ، المنفى
٦٤	٨٤
معد ، المعني	مسدد ، القنده
١١١ و ١١٢ و ١٣٠	٩٣
معد بن رزاة	المسعودي ، صاحب « مروج الذهب »
١٨٩	٩٤
المعتصم بن الرشيد (الخليفة العباسي)	مسلم ، الإمام ، صاحب الصحيح
٥٧ و ٥٨ و ٨٩ و ١١٣	٩٠ و ٩٢

المعتضد بالله « أبو العباس أحمد ، الموفق

١٥٤

معمر بن حبيب الجمحي

٨٤

أبو المعيار بن سعد

٢٢٧ .

المفصل الضبي

٦٦ و ٩٠ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٩ و ٢١٣ و ٢١٤

المفصل النكري

٢٣١

ابن المقفع

١٢٤

المكّاء ، من سى الحارث بن دهل بن شيان

٩١

الملا ، المغيرة

١٢١

ملوك غسان

١٧

المرقي العبدى

٢٣١

المنتشر بن وهب الباهلي

٢٢٧

آل المحم

١٦٤

المذخر بن المحرق

١٧

منصور التمرى

٦٨

المهدي العباس « الخليفة »

٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٨٢ و ٨٩ و ١٣٠

المهلب بن أبي صفرة

٣٩ و ٤٧

الميلى

١٦٤

المهلب بن أبي ربيعة

١٥ و ٢٢ و ١١٤ و ١٨٨ و ١٩٣ و ٢٠٩ و ٢٨٨

موسى شيهوات

١٢١

موسى بن حارون

٨٩ و ٩٢

الموصلى : إبراهيم

٥٧ و ١٠٩

الموصلى ، اسحاق بن ابراهيم

١١٠ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٦ و ١٣١ و ١٥٤ و

١٦٤

الموصلى : حماد بن اسحاق

١١٢ و ١٣٠ و ١٦٣

الموصلى : محمد بن اسحاق

١١١

ابن ميادة

١٢١ و ١٩٦

(ن)

الناقة الحمدي

١٧ و ٤٠ و ٩٢ و ١٠٧ و ١٢١ و ١٤٤ و ١٩٣ و ٢١٤ .

٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٨ و ٢٨٤

الناقة الذبياني (رباد)

١٧-٢١ و ٢٣ و ٢٧ و ٤٤ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٨ و

١٩١ و ١٩٣ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و

٢٢٣ و ٢٢٨ و ٢٦١ .

ناصر الدين الأسدي

١٣٩ و ٢٩٣ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨

ابن نافع

٨٩

الناشئ، الشاعر

٢٨

أبو الجهم العجلي

٨٥ و ٨٨ و ٩٤ و ١١١ و ١١٧ و ١٣٨ و ١٥٤ و ١٦٣ و

١٦٧

نزار ، قبيلة

١١٨

نصيب

٤١ و ٤٢ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٢٩٠

بنو هاشم ، قبيلة
١٣٩

هاشم بن عبد مناف
١١٤ و ١٩٣ و ٢٠٨

هاشم بن محمد الخزاعي
١١٦

هيرة بن أبي وهب الخزومي
٢٣٥

هرقل
٢٩٧

أبو هريرة
١٤٦

ان هاشم ، صاحب السيرة
٢٣٤ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٧٧

هشام بن عبد المحكم
١٢٠

هشام بن عبد الملك
٤٩ و ٥٥

هشام المري
٢٤٣

هشام بن عبد مناف
٢٧٦ و ٢٨٧

هشيم بن بشر
١١٢

هشيم بن كعب
٧٧

الهيثم بن عدي
١٣٨

أبو الهيثم كلاب بن حمزة العقيلي
٢٠٤

هوازن ، قبيلة
١١٨

(و)

الوائقي ، الخليفة العباسي
٥٨ و ٨٩ و ١١٣

نصر (قبيلة)
٧٧

نصران الخراساني
١٦٤

النضر بن الحارث
٧٨

النضر بن شميل
٧٣

أبو النضر بن أبي اسماعيل
٨٤

سو النضير ، اليهود
٢٣٨

العماد بن المنذر
١٧ و ١٨ و ٢١

ابن الطاح
١٢٠

الطام
١٩٧

التمر بن توب
٢١٥

التمر بن قاسط
١٨٧

بو ثمر
٤

ابن نوح العطاردي
١٠٨ و ١٩٢

النوار ، روج الفرزدق
١٢٥ و ٢٩٢

أبو نواس
٦٨ و ٧٢ و ٢٨٨

(ه)

الهادي ، الخليفة العباسي
٥٧ و ٥٨ و ٨٩

هارون بن عبد الله
١١٣

واصل بن عطاء

١٣٩

الواقسدي

١٣٨

الروحشي أبو ثوران العكلى

١٢٣

وخزة بن السعدى

١٢١

أبو الوردة الكلابى

٢١٤

وفد تميم

٢٦

وكيع ، أبو بكر محمد بن حلف

١٦٣

وهيب بن خالد بن حوزان

١٠٥

أبو الوليد الطالس

٩٣ و ٩٤ و ٩٥

الوليد بن عبد الله

٢٩٠ و ٢٤٥ و ٢٠٣ و ٤٨

الوليد بن المتى

٨١

الوليد بن يزيد

١١٢ و ١١٣

يحيى بن الحصين الرقاشى

٤٠

يحيى بن حكيم الجمحى

٨٢

يحيى بن عبد الله بن حسن الشيعى

٦١

يحيى بن على

١٢٩

يحيى بن البصر

١١٩

يحيى بن يعمر

٤٣ و ٢٠٥ و ٢٠٦

يزيد بن الطنبة

١٠٧

يزيد بن الملك

٩١

يزيد بن معاوية

٣٢ و ٤٦ و ٨٢ و ١٩٦ و ٢٩٧

اليزيد بن المقنع

٤٦

يزيد بن المهلب

٩١

اليزيدى ، أبو عبد الرحمن

٧٣ و ١٦٤ و ١٩٦

يسار أبو فكيهة

٨٤

اليقوسى

٧١

ابن ألى يعلى

١٤٦

أبو يوسف ، القاضى الخفى

٥٧

يوسف جب

٢٦٢

يوسف بن سعد

٢٦٤

يوسف جبل

١٤٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٥ و ٧٢

يونس بن حبيب

٤٣ و ٤٤ و ٧٣ و ٩٠ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤

١٠٦ و ١٠٨ و ١١٩ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٥٥

١٩٦ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٩

٢٤٨ و ٢٧٨

٦ — فهرست التفصيلي

تمهيد :

النقد الأدبي إلى نهاية القرن الثالث الهجري

أولا : النقد في العصر الجاهلي ١٥ — مقياس النقد في العصر الجاهلي
١٧ — مقياس الذاتية ٢١ — المقياس البيئي ٢٣—٢٤

ثانيا : النقد في عصر صدر الإسلام ٢٥—٣٠

ثالثا : النقد في الحجاز ٣١ — النقد في العراق ٣٦ — النقد في الشام
٤٥—٥٠

الفصل الأول : ابن سلام الجمحي ٥١—١٣٢

أولا : عصره ٥٥—٧٣ ، الحياة السياسية ٥٥ ، الحياة الاجتماعية ٥٨ ، الحياة
العقلية ٦٣—٧٣

ثانيا : حياته ٧٥—٩٥

بنو جمع ٧٧ ، قدامة بن مظعون الجمحي ٨٣ ، أسرة ابن سلام
الجمحي ٨٤ ، مولده ووفاته ٨٨ ، سلام الجمحي : الأب ٩٠ ، عبد
الرحمن بن سلام : الأخ ٩١ ، عون بن محمد بن سلام — الابن
أبو خليفة الفضل بن الحباب ٩٣—٩٥

ثالثا : نشاطه العلمي ٩٩—١٣٢

شيوخه ٩٩ ، تلاميذه ١٠٩ ، كتبه ١١٧ ، مصادر رواياته ١٢٢ ،
اتجاهه ١٢٧—١٣٢

الفصل الثاني : كتاب « طبقات الشعراء » ١٣٧—٢٥٥

تمهيد : مفهوم الطبقة (بين كتب « الحديث » وكتب « النقد »)
١٣٧ ، مفهوم الطبقة عند الأستاذ شاکر في كتاب « الطبقات » ١٤٥—١٥٠

أولاً : « طبقات الشعراء » أم ■ طبقات فحول الشعراء « ١٥٠-١٥٦

ثانيا : طبقات الكتاب ١٥٦-١٧٧ ، « طبعة ليدن » ١٥٩ ، طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٢ م ، بتحقيق الأستاذ محمود شاكر ١٦١ ، طبعة المدنى سنة ١٩٧٤ م — ١٧٣ ، قصة الطبعة الجديدة ١٧٤ ، قصة الإضافات ١٧٥-١٧٧ ، ■ طبقات الشعراء « وليس « طبقات فحول الشعراء » ١٧٧-١٨٥ .

ثالثا : قضايا في المقدمة ١٨٧-٢١٠

١٨٧ (١) قضية انتحال الشعر

١٩٤ (٢) الكوفة والبصرة

٢١٠-٢٠٠ (٣) قضية اللحن

رابعاً : منهج ابن سلام في الطبقات ٢١٣-٢٥٥

أولاً : طبقات الشعراء الجاهليين ٢١٣-٢٢٤

ثانياً : طبقة أصحاب المراثي ٢٢٤-٢٢٧

ثالثاً : طبقة شعراء القرى العربية ٢٧٧-٢٣٧

رابعاً : طبقة شعراء يهود ٢٣٧-٢٤٠

خامساً : طبقات الشعراء الإسلاميين ٢٤٠-٢٥٠

سادساً : رأى في الطبقات ٢٥١-٢٥٥

الفصل الثالث : ابن سلام في العصر الحديث ٢٥٩-٢٨٩

أولاً : أزمة الثقة بالشعر الجاهلى وموقفها من كتاب ابن سلام ٢٥٩-٢٧١

ثانيا : موقف نقاد « فى الشعر الجاهلى » من طبقات الشعراء ٢٧٩-٢٧٢

لأبن سلام

ثالثاً : مؤرخو النقد الأدبى وكتاب ابن سلام ٢٨١-٢٩٨

الخاتمة

٣٠٢—٢٩٩

الفهارس الفنية

٣٦٦—٣٠٣

٣٣١—٣٠٥

١ — فهرست المخطوطات والمصادر والمراجع .

٢ — فهرست الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

٣٣٨—٣٣٣

٣ — فهرست الآيات الشعرية .

٣٤١—٣٣٩

٤ — فهرست الكتب التي وردت في البحث .

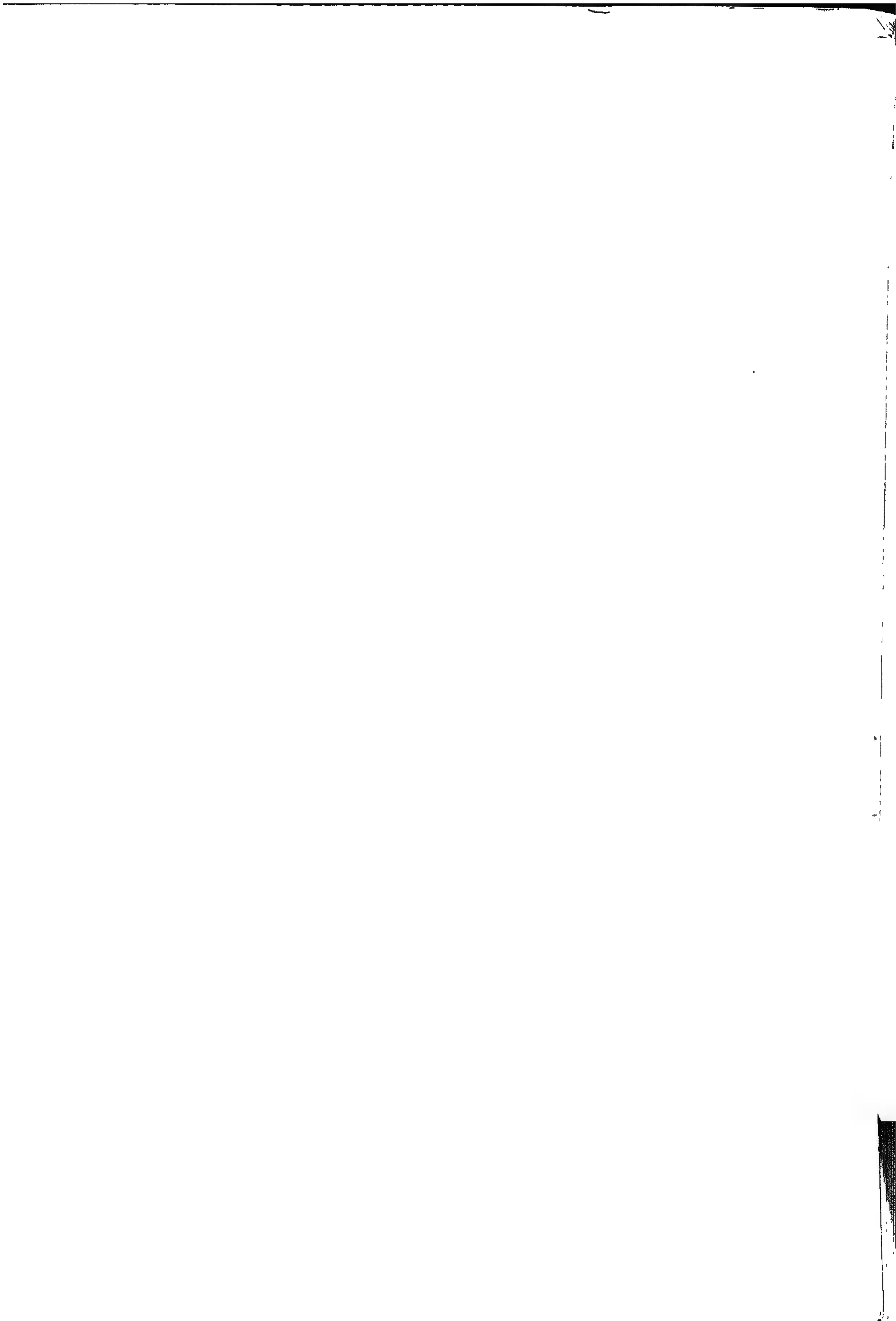
٣٦٣—٣٤٢

٥ — فهرس الأعلام .

٣٦٦—٣٦٤

٦ — الفهرست التفصيلي .

والحمد لله رب العالمين .



رقم الايداع ٨٦/٥٥٢٩
الترقيم الدولي ٤ - ٢٩٨ - ١٠٣ - ٩٧٧

مركز الدلتا للطباعة

٢٤ شارع الدلتا - اسبورتنج

تليفون ٥٩٧٠١٤١





VO/29